# الأقلام في عام

بسم الله وبتوفيق منه تخطو الأقلام خطوتها الاولى في عامها الثاني . بعد أن خطت اثنتي عشرة خطوة موفقة في عامها الأول . ذلك العام الذي ولدت فيه بعد أن اكتملت في أذهان المسؤولين فكرة كانت تراود أحلامهم باصدار مجلة فكرية ثقافية تجمع بين العلم والأدب ، والفائدة والمتعة ، والقـديم والجديد ، والعربي والمترجم ، وتكون سفيرا أمينا بين الأقلام العربيـة في العراق والقراء العرب ، كما تسفر بين أقلام الاخوة العرب والقراء في العراق . وتصبح بعد ذلك كله سجلا صادقا للحقبة التي تصدر فيها في مقبلات الأيام .

وهيئة التحرير حين تودع العام الاول من عمر الأقلام لتستقبل العام الثاني بروح من الأمل والتفاؤل ، لا تنسى أن تستشعر ما كانت تستشعره يوم خطت الأقلام خطوتها البكر . لا تنسى أن تستشعر مشاعر الخشية والاشفاق على وليدها أن تزل قدمه في عارضة من عوارض الطريق أو أن يأخذه البهر والاجهاد في مرحلة من مراحل السير، ذلك ان السبيل ـ سبيل المجلات الادبيـة والفكرية ـ لا يخلو من عقبات ولا يأمن السائر فيه من عثار . بيـد أن الاتزان الذي صحب خطوات الأقلام في سنتها الاولى ، والرعاية التي اولاها اياها الحافون بها من هيئة التحرير وكتاب المجلة، والقبول الحسن الذي تقبلهـا به القراء في العراق والوطن العربي ، كفل للأقلام خطوات ثابتة في المرحلة الاولى من عمرها المديد باذن الله .

ذلك كله لا يصرف هيئة التحرير الى الزهو بما حققته ، ولا يصم آذانها عن النقد الذي يوجه اليها من هنا وهناك في فترة واخرى .. فقد استوعب التحرير ما قيل وما كتب ..

قيل ان المجلة تحتفل بفريق من الكتاب وتهمل فريقا ، وقيل انها لا تساير فيما تقدمه للقراء آخر ما يحفل به عالم الفكر والأدب من تيارات ومذاهب .. وقيل غير هذا وذاك ..

ولا يريد التحرير أن يدفع عن نفسه ولكنه يحيل الى أعداد السنة الاولى ليرى القراء رأيهم .. ليروا أسماء يعرفونها من قبل وأسماء تبرق حروفها أول بريقها ، وليروا المجلة وقد قدمت ما ورد اليها من الجديد كما قدمت ما ورد اليها من التراث ، وليروها قد أبرزت الشعر ملتزما ومتحررا .. وليس ذنبها أن يربو ما قدمته من لون على ما قدمته من غيره ، فانها تقدم افضل ما تتلقى ، وهل ذنبها أن تتلقى من لون أكثر مما تتلقى من غيره ؟..

وبعد ، فلا نريد أن نزيد . ولكننا نريد أن نستزيد .. نستزيد الأقلام الخيرة من الآثار النيرة .. ونعد بعد ذلك أن نكون عند حسن الظن ، وأن نتقبل التوجيه الحسن فنأخذ به ، ونتلقى النقد المنصف فلا نعرض عنه ، ومن الله السداد والتوفيق .

ــ التحرير ــ

# معالم الفلسفة السياسية العربية الاسلامية

الدكتور فاضل زكي محمد

**مقدمــة :**

على الرغم من ان الفلسفة السياسية العربية الاسلامية تشكل حلقة وسطى من سلسلة حلقات الفكر الانساني ، الا انها لم تنل ما تستحقه من اهمية ولم تحض الا بالقليل من أهتمام المفكرين الاجانب في العصور الحديثة(١) ومن بين أسباب قلة اهتمام المفكرين الاجانب .. وعلى الاخص الغربيين منهم .. هو ان القسم الاكبر من الفلسفة السياسية العربية الاسلامية قد كتب باللغة العربية تلك اللغة التي يجهلها اغلبية هؤلاء المفكرين . والاهم من ذلك هو قلة معرفتهم بالحضارة العربية الاسلامية بالرغم من دورها العظيم في النهضة الاوربية . وحتى حين نرجع الى القلة القليلة من المفكرين الغربيين ــ وخاصة في عصر النهضة ــ نجد أنهم ، اللهم الا النزر اليسير ، لم يتعبوا انفسهم في حفظ امانة ذكر مصادر معرفتهم . ومن هنا كانت الفلسفة السياسية العربية الاسلامية فلسفة غريبة بالنسبة للاوربيين . وازاء كل هذا فان الغاية من هذا البحث تقديم استعراض عام للفكر السياسي العربي الاسلامي يتناول دراسة طبيعة الفلسفة السياسية العربية الاسلامية ، خصائصها الاساسية ، نظرياتها المهمة الخاصة بالدولة من حيث منشأوها وشكلها وواجباتها وادارتها .

**طبيعة الفلسفة السياسية العربية الاسلامية :**

يجدر بنا وقبل الدخول في التفاصيل التحدث عن طبيعة الفلسفة السياسية العربية الاسلامية بوجه عام . ولتفهم الفلسفة السياسية العربية الاسلامية تفهما صحيحا علينا أن نعلم أن القاعدة الاساسية الاولى في هذه الفلسفة هي النظرة اليها ككيان مستقل وليس على ضوء اية فلسفة سياسية اخرى . فليس من الصحيح أن نقول مثلا ان الفلسفة السياسية العربية الاسلامية هي صورة مشابهة للفلسفة الديمقراطية الغربية . فاذا كانت الفلسفة السياسية العربية الاسلامية تتشابه في بعض اوجهها مع الفلسفة

الديمقراطية فليس معنى ذلك انها تتطابق معها • اذ ان هناك من المبادىء الفلسفية الاسلامية كالترابط بين الاخلاق والسياسة مثلا مالا يوجد شبه له في الديمقراطية الغربية •

والطريق القويم لنفهم الفلسفة السياسية العربية الاسلامية أو ايـة فلسفة اخرى هو ان نأخذ بنظر الاعتبار الارتباط بين الفلسفة والسياسة نفسها وبين البيئة الخاصة التي نشأت فيها • ولقد ادرك ذلك المفكر جاى فيـكز (J. Figgs) في كتابه « الحقوق الالهية للملوك » اذ قال ان نظرية الحقوق الالهية للملوك تعكس بالاساس الاحوال السياسية السائدة في عصرها • والادق من ذلك قوله ان نظرية الحق الالهي ان هي الا نتيجة لتطور الحوادث أكثر منها فكرة محضة(٢) وقد جاءت اراء جاى ماترن (J. Mattern) مؤكدة نفس الناحية حيث يقول في معرض حديثه عن النظريات السياسية ان المعنى البعيد لنظرية كل من هوبز ولوك وروسو السياسية هي انهـا عكست تفاعل الافكار لزمنها(٣) • وعلى ضوء ما تقدم فان الفلسفة السياسية العربية الاسلامية ما هي الا انعكاس للمحيط وحصيلة للتطور التاريخي الذي مر به المجتمع العربي الاسلامي • فلقد دارت هذه الفلسفة في البداية حول نظرية الخلافة ( أو الامامة ) ثم تطورت من بعد ذلك الى اراء وافكار تدور حول أصل الدولة وشكلها وسياستها ومكانها • حتى اذا ما استقرت هذه الافكار نجدها وقد تحولت الى نظريات سياسية ومدارس فكرية تقوم على المنطق الاستنتاجي المنبثق من التعاليم الاسلامية •

وما يميز الفلسفة السياسية العربية الاسلامية ، بالاضافة الى ما تقدم هو ان نظرياتها تقوم على أساس قانوني ــ وذلك هو القانون او الشريعة الاسلامية • ومنذ ان كانت الشريعة الاسلامية تضع اهمية كبيرة على سعادة المجتمع ، لذا جاءت النظريات السياسية الاسلامية هي الاخرى مهتمة بالمجتمع وبسعادته بوجه عام • وفي الحقيقة فان اساس نظرية الدولة في الفكـر العربي الاسلامي يدور حول توفير الامن والاستقرار والسعادة للامة • وعلى ضوء ذلك فان الافراد على الرغم مما يحتلونه من اهتمام في الفكر السياسي العربي الاسلامي ، الا انهم مع ذلك ينظر اليهم كونهم اعضاء مرتبطـين بالمجتمع •

وثمة ناحية مهمة اخرى يتميز بها الفكر السياسي العربي الاسلامي الا وهي خاصيته المرنة باعطاء الحرية للافراد للكشف عن ارائهم وهذا ما يصطلح عليه في الشريعة الاسلامية « بالاجتهاد » وما الاجتهاد في الواقع الا اعتراف بتغير ظروف الانسان وتغير طريقة التفسير نتيجة لها • اما الاجتهاد في اعمق معانيه فانه يعني احترام أكيد لرأى الفرد ، وفي هذا مجال واسع من الحرية السياسية • وهذا الطابع بعينه هو الذي مكن المفكرون السياسيون العرب والمسلمون الى التعمق في دراستهم وتطوير افكارهم الى نظريات • الا ان ما هو جدير بالذكر هنا هو ان تباين وجهات النظر في المسائل الفلسفيـة

المختلفة ادى الى تكوين المدارس السياسية المتعددة . ففي ذلك نجد ان كل مدرسة سياسية من المدارس الاسلامية المتعددة(٤) كان لها موقفها تجاه نظرية الخلافة أو غيرها من المواضيع السياسية المختلفة .

والخاصية الاخرى التي تتميز بها الفلسفة السياسية العربية الاسلامية هي تلك الخاصية التي يطلق عليها بالترابط العضوي بين النظرية السياسية ونواحي المعرفة الاخرى . والمقصود بذلك ان دراسة الافكار السياسية في التعاليم الاسلامية يشكل دراسة جزء من كيان عضوي مترابط الاجزاء . وهكذا نجد ان الفكر السياسي العربي الاسلامي ، مع انه متميز الا انه غير منفصل عن نواحي المعرفة الانسانية الاخرى كالتاريخ والاجتماع والقانون وغيرها . وهذه النظرية التي استخدمها الاغريق والعرب والمسلمون هي بعينها آخذة في الظهور ثانية لدراسة الفكر السياسي في عصرنا الحاضر .

وليس ما تقدم فحسب ، فانه لتفهم طبيعة الفلسفة السياسية العربية الاسلامية تفهما كليا لا تزال هناك الحاجة الى الاشارة الى ناحية مهمة اخرى ، الا وهي عدم وجود خط فاصل بين السياسة والاخلاق . ذلك ان الفكر السياسي العربي الاسلامي يقر اخضاع اعمال وسلوك الانسان الارادية لنظام معين وهذا النظام هو المقياس الخلقي للتمييز بين الاعمال السياسية القائمة على الخير والنفع وتلك القائمة على الشر والضرر(٥) . وعن طريق هذا التمييز يمكن الوصول بالدولة الى اهدافها في اسعاد المجتمع ورقيه ودوامه . وبعكس ذلك تنحط الحضارة وتنقرض بسرعة . وهكذا تكون الوسيلة الى السعادة والتقدم في الفكر السياسي العربي الاسلامي متطابقة مع الهدف .

**الفكر السياسي العربي الاسلامي ومنشأ الدولة :**

تستحق الدراسات التي قام بها المفكرون العرب والمسلمون في نواحي الدولة المختلفة عناية واهتماما خاصة حين نعلم ان مفكرين سياسيين عديدين في العصر الحديث يحملون افكارا سياسية تمتد جذورها الى الفكر العربي الاسلامي .

واحدى النواحي التي شملها الفكر السياسي الاسلامي بعنايته هي ناحية اصل الدولة . فنحن نجد الفارابي (٨٧٠-٩٥٠م) أحد اعلام الفلسفة السياسية العربية الاسلامية قد بحث من بين ما بحثه في دراسة اصل الدولة . ومما يستحق الاشارة اليه الجزء الذي يدور حول ما يسمى « نظرية او عقد التنازل عن الحقوق » ففي هذه النظرية يشبه الفارابي حالة الانسان قبل قيام الدولة بعقد البيع والشراء غير العادل حيث يتغلب فيه القوي على الضعيف . ومثل هذه الحال تشبه كما يراها الفارابي حالة الانسان العامة قبل قيام الدولة . فالانسان في الاحوال التي يفتقد فيها العدل يعيش في حالة

من النزاع والخوف الدائم • وهذا النوع من الحياة ، هو الذي سبب عجز الفرد على تولي شؤونه وحملة على الاحتماء بغيره • فحالة الخوف هذه اذن هي التي حملت جميع الافراد الخائفين الى التجمع مع بعضهم والى الاتفاق فيما بينهم بالتنازل عن حقوقهم وسلطانهم واناطتها وكالة بيد فرد منهم يكون حاميا لهم وصاحب سيادة عليهم • ومثل هذا العمل الذي اقسم عليه الافراد ووعدوا أنفسهم فيه الى اختيار من يمثلهم ويحميهم قد شكل بحد ذاته تعاقدا بين الافراد جميعا من جهة وبين القائد صاحب السيادة من جهة اخرى •

ثم يناقش الفارابي بعد ذلك فيقول ان ما يساعد على الجمع بين الافراد وتاليف مجموعة واحدة تعيش حياة سلمية في اطار مجتمع سياسي هو رباطهم الثقافي والجغرافي • ومثل هذا النوع من التفكير يجعل من الفارابي الموجد الاول لنظرية العقد السياسي والاجتماعي في منشأ الدولة• ذلك ان مايستحق الملاحظة ويستلفت النظر هو ان الفارابي على الرغم من تشبيهه العقد السياسي بعقد البيع والشراء ، فان الخطوات التي يؤكد عليها هي نفس الخطوات التي اكد عليها المفكرون المحدثون بعدما يقارب الالف سنة من موته(٦) • والاهم من ذلك هو ان هذه النظرية لم تسبق النظرية التي نسبت بعد سبعة قرون الى هوبز (Hobbes) المفكر الانكليزي فحسب ، وانما كانت نظرية اقرب الى الواقع باعتمادها على أمثلة ملموسة في الحياة من تلك التي اتى بها هو نفسه •

ويمثل لنا الغزالي (١٠٥٨-١١١١) في بحثه حول نظرية التطور التي قدمها لنا علما آخر من اعلام الفكر العربي الاسلامي • فقد بين في كتابه « احياء العلوم » بان الانسان قد خلق بطريقة بحيث يظل فيها بحاجة الى تعاون الاخرين • وانه من طبيعة الاشياء أن يكون التعاون قائما بين عدد كبير من الافراد الذين لابد وان يخص كل منهم بحرفة او صناعة ما(٧) وان هذا التعاون بين الجماعات لابد وان يؤدي الى التطور والى قيام الفنون والصناعات الجديدة • فكما ان سنن بقاء المجتمعات تستدعي قيام تنظيمات حرفية وفنية وحربية جديدة ، فكذلك الحاجة الى تنظيم حياة المجتمع تستدعي قيام القانون والحكومة(٨) ، والى ظهور من تودع بيده مسؤولية القيادة والادارة : اي القائد صاحب السيادة •

ان نظرية التطور هذه التي اتى بها الغزالي ، هي نظرية تقوم على الحقيقة والواقع • وبالاضافة فان تحليل الغزالي لنشوء الدولة يرينا كيف ان علاقات الافراد بعضهم ببعض هي من الامور الطبيعية ، وكيف انها تعمل على قيام القانون والحكومة من جهة والى قيام القيادة السياسية ذات السيادة من جهة اخرى • وما هو جدير بالذكر هنا هو ان افكار الغزالي هذه في الفلسفة السياسية قد سبقت آراء كل من تحدث في هذا الموضوع من المفكرين الغربيين • ولذا فمن المستطاع القول ان الغزالي يمكن ان يعتبر ايضا اول فيلسوف سياسي يطبق هذه النظرية على السياسة وفي زمن تقدم على بحوث سبنسر (Spencer) وهكسلي (Huxley) المشابهة لها بنحو ثمانية قرون(٩) •

ومن بين الاعلام الاخرين الذين بحثوا في موضوع اصل الدولة هـو المفكر ابن جماعة (١٢٤١-١٣٣١م) • فيرينا ابن جماعة في كتابه « تحرير الاحكام » ان الدولة كانت قد ظهرت في البداية نتيجة لاستخدام القوة[١٠] • ويسمي ابن جماعة نظريته في منشأ الدولة «بنظرية القوة» ويوضح ابن جماعة نظريته هذه فيقول ان الدولة كانت قد ظهرت « عندما استطاع فرد ذو سلطان من اخضاع الناس من حوله بالقوة والسيطرة عليهم شخصيا[١١] •

وحينما نحلل اراء ابن جماعة في منشأ الدولة نجده يختلف عن سابقيه وخاصة الفارابي ونظريته في التعاقد • ذلك ان ابن جماعة لم يكن ليقتنع بان الانسان في بداية عهوده كان له قابلية التفكير البعيد بحيث يتنازل عن بعض حقوقه الى قائد صاحب سيادة يتولى ادارة شؤونه • على العكس ، فانه رأى ان عدم استطاعة الانسان للتوافق مع الاخرين وتنظيم حياته السياسية كان عاملا مهما لتمهيد الطريق امام شخصية قوية ذات سيادة للظهور وتمكنها من اخضاع الاخرين • وهكذا فأن قوة شخصية القائد القهرية وخوف المقودين هي التي مهدت الى قيام أولى مقومات استكمال الدولة •

ولقد ظلت آراء ابن جماعة كذلك الى ان اتى ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) الفيلسوف والمفكر العربي الاسلامي لبحث موضوع أصل الدولة على أسس اجتماعية - سياسية وبدرجة اكثر عمقا واقناعا • فابن خلدون يربط بين منشأ الدولة والمجتمع • وعلى هذا الاساس فانه يبني نظريته فيقول ان حاجة الفرد الى المجتمع ليست انها طبيعية فحسب وانما هي ضرورية ايضا • فالانسان لايمكن من البقاء الا بالعيش مع الاخرين وهنا ما يكون المجتمع[١٢] • وبتكون المجتمع تظهر الحاجة الى التنظيم والاستقرار : اي الحاجة الى قوة ضابطة تمنع دوافع الانسان الحيوانية من الاعتداء على الاخرين[١٣] • وتتمثل هذه القوة الضابطة بظهور شخصية لها من القوة الخارقة والشجاعة والحكمة ما يجعلها تمسك بزمام الامور بيد حازمة وبذلك يمنع اعتداء اي فرد على الاخرين[١٤] • ويسمى ابن خلدون هذه الشخصية المسيطرة بشخصية ذات سيادة •

فعلاقة الدولة بالمجتمع بناء على ما تقدم كتلك التي تقوم بين المـادة وهيأتها • ذلك ان أهمية المادة بطبيعتها تحفظ المادة وان كليهما غير ممكن الفصل بينهما • وعلى نفس الشاكلة لايمكن ان توجد الدولة من دون مجتمع • اما المجتمع فلا يمكن له ان يستقيم البتة من دون دولة بناء على ما يبدو من دوافع عدائية من قبل الافراد والتي تحتاج الى قوة ضابطة •

ويرى ابن خلدون ايضا ان قوة القائد السياسي صاحب السيادة لاتستند دوما على سند ديني • وذلك ان السند الديني يوجد حيث توجد الدولة القائمة على شريعة دينية يبشر بها رسول • ومن الجهة الاخرى، فقد تقوم قوة القائد السياسي صاحب السيادة ايضا على العصبية ، ومعنى ذلك ان الروابـط المشتركة ووحدة الرأي لمجموعة بشرية ما تساعد القائد على قيادته وتمكنه

من تأمين النظام والاستقرار . ومثل هذا النوع الاول من الدول يطلق عليه ابن خلدون بالدولة الدينية ، اما النوع الثاني فانه يطلق عليه بالدولة الملكية .

## الفلسفة السياسية العربية الاسلامية ونظرية الدولة

يكاد يسود في الفكر السياسي العربي الاسلامي مبدآن اساسيان :

الاول وهو الذي يرى ان المجتمع ضروري لدوام حياة الافراد ، والثاني الذي يقول ان المجتمع لا يمكن ان يستقيم من دون وجود سلطة يلقي عليها مسؤولية تحقيق التقدم والاستقرار . وهذه السلطة كما يراها ابن خلدون تتمثل بضرورة قيام الدولة في المجتمع السياسي . فيقول المفكر المشهور ابن خلدون ان وجود الدولة ضروري لانها تعمل كقوة منظمة للحياة السياسية .

اما بالنسبة للمفكر ابن رشد فأن التنظيم في الحياة السياسية أمر ضروري . فهو يرى انه ليس باستطاعة اي انسان ان يعيش في المجتمع من دون وجود هذا التنظيم السياسي(١٥) . وهكذا نجد أن الفكر السياسي العربي الاسلامي يعتبر الدولة قوة منظمة لحياة الانسان في المجتمع .

كيف يمكن توضيح هذه النظرية وللاجابة على ذلك فانه لابد من توضيح معنى الامة والدستور في الفكر السياسي العربي الاسلامي . والواقع ان الامة وحدة مترابطة الاجزاء ، أي انه ينظر اليها كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا . وما يكون هذا البنيان المترابط والذي يضم العرب وغير العرب هي التعاليم الاسلامية القائمة على أساس المساواة في كل نواحي الحياة . والذي يجدر الانتباه اليه هو ان حياة ورفاهية ووحدة الامة لايمكن لها ان تتحقق الا بوجود سلطة ـ وتلك الدولة(١٦) . والاهم من كل ماتقدم هو ان الدولة كقوة منظمة يشترط في قيامها ان تستند على أسس شرعية قانونية . وعلى هذا الاساس فان الدولة في الفكر العربي الاسلامي هي دولة تقوم على القانون وان هذا القانون هو القانون الاسلامي أو الشريعة الاسلامية(١٧) .

وعند تحليل مفهوم « دولة القانون » نجد ان ذلك لا يقتصر على الناحية النظرية وانما يمتد الى الناحية التطبيقية : ذلك ان القوانين التي هي بمثابة احكام منظمة لحياة المجتمع لا يمكن أن تكون فعالة الا اذا اكتسبت صفة التطبيق .

وكما ان من واجبات الدولة مراقبة سلوك الافراد فان لها مسؤولية تحقيق استقرار وسعادة ووحدة الامة باجمعها ايضا . ولا شك فان مثل هذه المسؤولية الملقاة على عاتق الدولة هي مسؤولية عظيمة كونها لا تعمل على سعادة مجموع افراد الامة فحسب وانما تتحمل مسؤولية الحفاظ على

التعاليم والاهداف الاسلامية السامية ٠

وعند بحث مقومات نظرية الحكم العربي الاسلامي بشيء من التفصيل نجد أن مبدأ ( العدالة ) يأتي في مقدمة هذه المقومات ٠ فيقول الريس في هذا الصدد ان العدالة هدف ما فوقه من هدف في نظرية الحكم الاسلامي(١٨)٠ وما يشير اليه الريس لايتعدى الحقيقة ٠ فالقرآن الكريم ، المصدر الرئيسى في الشريعة الاسلامية يعتبر العدالة شرطا اساسيا في الحكم(١٩) ٠ ثم انه يروى ان الرسول محمد (ص) مؤسس الدولة الاسلامية ، قال ما معناه ان السعادة تظل ملازمة الامة ما بقيت تحكم بالحق والعدل ٠

والعدالة الاجتماعية في الفكر العربي الاسلامي لا تعني جانبا منجوانب الحياة وانما تضم كل جوانبها بما فيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية وبالاضافة فان العدالة تفصل دوما بوحدة وتقديم الامة ٠ فلقد راى ابن خلدون الحقيقة عندما قال ان الدولة التي تقوم على العدل لها ان تامل تحقيق الرقي والحضارة ٠ وعلى العكس فان الدولة التي تقوم على الظلم لها أن تأمل الانحطاط السريع فالموت(٢٠) ٠

ونظرية الحكم الاسلامي بالاضافة الى ما تقدم تقوم على الترابط بين العدل والمسؤولية وهذا الترابط يعتبر في الفكر السياسى العربي الاسلامي من مقومات الدولة الاساسية ٠ ولتوضيح هذا الركن الاساسى في الحكم يقول الفارابي ان السلطة التي تفتقر الى الحكمة والتعقل والمسؤولية هي سلطة تؤول الى الخراب والدمار ٠ ويسمي الفارابي مثل هذا النوع من السلطة بالسلطة الجاهلة(٢١) ، اما السلطة التي تقوم على الحكمة والتعقل والمسؤولية فانها سلطة تؤول الى الرقي والسعادة ومثل هذه السلطة يطلق عليها الفارابي بالسلطة المستنيرة الراعية الواعية(٢٢) ٠

وبينما يربط الفارابي بين المسؤولية وتقدم الامة ورقيها نجد ان ابن باجة ( المتوفي في ١١٣٨م ) يرى ان مسؤولية الحاكم او عدمها يجب ان ينظر اليها كأهم أساس للحكومة الصالحة أو الطالحة(٢٣) ٠

وتعتبر دراسة الماوردى (٩٧٤ـ١٠٥٨م) وتحليلاته في دور المسؤولية في العلاقة بين الراعي والراعية او الحاكم والمحكوم من الدراسات الدقيقة في توضيح معنى المسؤولية في الحكم الاسلامي ٠ ومما يضفي على دراسات الماوردي فيجعله دقيقا بين المفكرين ما تناوله من تفصيل وشمول لموضوع المسؤولية في الحكم ٠ من ذلك انه لا يضع أهمية كبرى على رئيس الدولة فحسب وانما يرينا ان قيام رئيس الدولة بمسؤولياته الجسام خير قيام هو الذي يجعل منه حاكما عادلا ٠ ثم يأتي دور الماوردي بعد ذلك ليؤكد لنا ان الحاكم العادل يجب ان يكون مطاعا من قبل الرعية(٢٤) ٠

والركن الثالث من أركان نظرية الحكم العربي الاسلامي هو « مبدأ الشورى » ٠ ومبدأ الشورى يعني ادبيا تبادل الرأي ٠ ويعني في معناه

البعيد التفكير الجمعي في معالجة المشاكل في الحياة السياسية واستخدام التعليل العقلي في اتخاذ القرارات . اما مبدأ الشورى في وجهه السياسي فيعني طلب نصح ومشورة « أهل الحل والعقد » باعتبارهم ممثلي الامة عند اتخاذ القرارات . ويرى ابن تيميه في كتابه « السياسة الشرعية » ان الرسول محمد لم يكن ليكتفي بتطبيق مبدأ الشورى في جميع قراراته حسب ، وانما اكد عليها كمبدأ أساسي من مبادىء نظرية الحكم الاسلامي(٢٥) .

وتتجلى أهمية هذا المبدأ في كونه يقترب من النظرة الحديثة الى الدولة . وبعبارة اخرى فان دور أهل الشورى يقترب كثيرا من دور الهيئة التشريعية في النظام الديمقراطي في العصر الحديث .

## الفلسفة السياسية العربية الاسلامية وشكل الدولة

وفكرة شكل الدولة في التفكير العربي الاسلامي تعكس بكل وضوح المحيط والتقاليد الاسلامية . وعند دراسة التقاليد والمحيط بدقة يتضح ان الفكر السياسي العربي الاسلامي يدور من حيث الاساس حول نظام الخلافة . فيقول عبدالرزاق السنهوري ، احد اعلام الفكر العربي الاسلامي الحديث في كتابه الخلافة "Le Califat" بان الخلافة ( او الامامة ) تكون عقدا حقيقية(٢٦) . ويصف السنهوري عقد الخلافة فيقول انه عقد يتوفر فيه كل ما هو مطلوب في عقد قانوني(٢٧) . ويمثل هذا العقد القانوني يتكون نظام الحكم الاسلامي الذي يأتي رئيس الدولة فيه « الخليفة » عن طريق الانتخاب(٢٨) ثم يستمر السنهوري في وصفه للخلافة فيقول انها بالاضافة الى ما تقدم عقد حر يتم بين طرفين : الخليفة والامة(٢٩) . وغير خاف على المحلل لنظام الخلافة ان انتخاب الخليفه يجب ان يتم بموافقة الشعب العامة(٣٠) .

وتمارس الامة حقها في الانتخاب في بيعتين : البيعة الخاصة وهي التي يمارسها اهل الحل والعقد أو أهل الاختيار ويتبعها البيعة العامة والتي تمارسها الامة . وبالاضافة فان كلا من رئيس الدولة والامة يخضعان الى دستور اعلى ذلك هو الشريعة الاسلامية .

والشيء الذي تجدر ملاحظته في الفلسفة السياسية الاسلامية هو ان السلطات الثلاث ( التنفيذية والتشريعية والقضائية ) منفصلة عن بعضها . فالسلطة التشريعية موضوعة بيد الامة ونوابها والسلطة التنفيذية مودعة بيد الخليفة واما السلطة القضائية فهي مودعة بيد هيئة مستقلة من القضاة يحكمون وفق تعاليم الشريعة الاسلامية .

وعند ترجمة نظام الحكم الاسلامي الى المفاهيم الحديثة نجد ان نظام الخلافة يقترب كثيرا من النظام الجمهوري . فكلا النظامين يؤكد في الاتيان

برئيس الدولة عن طريقة الانتخاب الشعبي ويضعانه موضع المسؤول تجاه الامة • والفرق بين نظام الخلافة والنظام الجمهوري هو ان الاول يسمح ببقاء الرئيس لزمن غير محدود طالما انه يلتزم بتطبيق تعاليم القانون الاسلامي بينما يحدد النظام الجمهوري بقاء الرئيس لمدة معينة • والفلسفة السياسية العربية الاسلامية فلسفة أصيلة وغنية بنظرياتها ومبادئها • ويأتي في مقدمة هذه المبادىء مبدأ الفصل بين السلطات • فلقد ادرك المفكرون المسلمون مبدأ الفصل بين السلطات قبل ان يدركه المفكر الغربي مونتسكيو بزمن طويل كما ادركوا كذلك ما اتى به بعدئذ روسو في نظريته الموسومة بنظرية العقد الاجتماعي (Social Contract) • فما جاء به روسو من ان رئيس الدولة يمثل اختيار الامة لم يكن غير معروف في الفكر العربي الاسلامي • والاهم من هذا ان ما حلم به روسو في عقده الاجتماعي كان واقعا في النظام الاسلامي •

ولا يقل أهمية عما تقدم ما جاء به الفكر العربي الاسلامي من نظريات سياسية اخرى واخصها « نظرية الكفاية » • وتقوم هذه النظرية من حيث الاساس على فكرة السماح للذين تجتمع فيهم خصائص الدراية في الحياة السياسية والمسؤولية والاخلاص وغيرها بالانابة عن الامة في تمشية أمور الدولة(٣١) - والجدير بالذكر ان نظرية الكفاية في الفكر الاسلامي تشبه الى درجة كبيرة نظرية التمثيل في العصر الحديث(٣٢) •

**الفلسفة السياسية العربية الاسلامية والسيادة**

والبحث في هذه الناحية من نواحي الفكر السياسي العربي الاسلامي يدعو الى التطرق مرة أخرى الى موضوع الخلافة • فنظرية الخلافة كما مر بنا تشترط في ان الذي يعتلي هذا المنصب يجب ان ينتخب من قبل الامة • وانه بممارسته لسلطاته بموجب عقد سياسي يقوم بينه وبينها يظل مسؤولا تجاهها بالسهر على مصالحها وفق ما تمليه عدالة الشريعة الاسلامية • ومتى ما انحرف الخليفة عن تطبيق احكام الشريعة الاسلامية فان من حق الامة فسخ العقد واقصائه عن مركزه(٣٣) •

والسؤال الذي لا يزال ينتظر الاجابة هو أين تستقر السيادة في النظام الاسلامي ؟ هل هي تستقر في الامة وحدها كما هو الحال في النظام الديمقراطي ، ام أنها تستقر في يد رئيس الدولة كما هو في النظام الديكتاتوري • والجواب الصحيح على هذه الاسئلة يجب ان يتضمن كلا من الامة والقانون أو الشريعة الاسلامية(٣٤) • وهذه الخصائص تبعد النظرية والنظام الاسلامي عن الحكم الفردي ( الاوتوقراطي ) وكذلك عن الحكم الديني ( الثيوقراطي ) •

كما ان النظرية الاسلامية لا يمكن ان تتطابق مع النظرية الديمقراطية

طالما ان الامة لا تقرر أمورها كيفما اتفق وانما وفق تعاليم الدستور الاسلامي او الشريعة الاسلامية .. وعلى هذا الاساس فان السيادة في النظرية السياسية العربية الاسلامية تستقر في الامة زائدا الشريعة الاسلامية .

**الخلاصـــــة :**

ان اقل ما يمكن ان توصف به الفلسفة السياسية العربية الاسلامية هي انها فلسفة أصيلة . وهذه الاصالة يؤكدها ما قدمته الى حقل النظرية السياسية من مبادىء وأسس جديدة - والحقيقة أن الكثير من هذه المبادىء والاسس لا تزال متبعة في عصرنا الحاضر .

واى خلاصة عامة تقدم عن الفكر السياسى العربي الاسلامي يجب ان لا تغفل عن ذكر نظرية او ( عقد ) التنازل عن الحقوق للفارابي التي سبقت افكار كل من روسو ولوك ، ونظرية العمران في منشأ الدولة لابن خلدون ونظرية القوة لابن باجة ، اما نظرية السيادة التي تحدث عنهـــا الفارابي فليست هي سابقة لاراء بودان التي ظهرت في القرن السادس عشر وحسب ، وانما تستحق على أصالتها كل تقدير .

ومن بين ما قدمه الفكر السياسى العربي الاسلامي الى التراث الانساني مبدأ العدالة الاجتماعية الذي ظهر في العصر الحديث على صيغة مبـــادىء متعددة هي في الواقع اوجه لمبدأ العدالة الاجتماعية العام ، ومن هذه مبدأ المساواة أمام القانون الذي يمثل وجها معينا من أوجه العدالة الاجتماعية وذلك هو العدالة الاجتماعية القانونية ، ومبدأ تكافوء الفرص السياسية وهو الوجه السياسى للعدالة الاجتماعية والموسوم بالعدالة الاجتماعيـــة السياسية ومبدأ تكافوء الفرص الاقتصادية وهو ما يكون الوجه الاقتصادي في العدالة الاجتماعية ويطلق عليه بالعدالة الاجتماعية الاقتصادية .

والجدير بالذكر أيضا ما قدمه الفكر العربي الاسلامي من نظريات ومبادىء سياسية أخرى كمبدأ الاغلبية . ونظرية التطور التي جاء بهـــا الغزالي وسبق كل من كتب من المفكرين الغربيين في هذا المضمار .

ولا بد لنا قبل الانتهاء من هذه الدراسة الاشارة الى التعليقات الخاطئة التي أتى بها بعض المفكرين الغربيين حول الفلسفة السياسية الاسلامية .

يقول د.ب. ماكدونالد (D.B. MacDonald) في كتاب "Development of Moslem Theology" (ص٥٨) ان الامامة تخفي بين طياتها الحكم المطلق . ومثل هذه الملاحظة ولا شك تثير في نفس الباحث مسألة عدم امكانية الكاتب للتفريق بين النظام الاسلامي من حيث النظرية من جهة ، وتطبيقه من جهة اخرى . فعدم تطبيق بعض الخلفاء لمبادىء الفلسفة الاسلامية بصورة كلية لا يمكن ان يصوب ضد الفلسفة السياسية الاسلامية ذاتها .

ومن الامثلة الاخرى ما جاء في كتاب دبليو . موير (W. Muir)

المعنون بـ « الخلافة » من انتقادات خاطئة في (ص-٦٠) حيث يقول ان « نوع الحكم الاسلامي هو نوع يقوم على الحكم الملكي الاوتوقراطي المطلق » وهنا لا يحتاج الباحث اكثر من الاشارة الى مبدأ ( الشورى ) لابعاد كل صفة أوتوقراطية مطلقة عن النظام الاسلامي ٠

ومن الاخطاء الاخرى التي يقترفها بعض الكتاب المحدثين هي وصفهم للنظرية الاسلامية كونها تتطابق والنظرية الديمقراطية ٠ وفي الحقيقة فان النظرية السياسية الاسلامية هي نظرية اسلامية وحسب ٠ فهي لا شرقية ولا غربية في كل من فلسفتها ونظامها ولكن هذا لايعنى من الجهة الاخرى أن ليس هناك بعض المشابهة بينها وبين الديمقراطية ٠ فمثلا نحن نجد ان المبادىء الاسلامية والديمقراطية تتلاقى في كون كليهما يضع السيادة بيد الامة ويؤكد على المساواة امام القانون وبالتالى اعطائهما تكافوء الفرص السياسية والاقتصادية للجميع ٠

الا ان الفلسفة السياسية الاسلامية تختلف عن فلسفة الديمقراطية كون الفلسفة الاسلامية تؤكد وحدة العقيدة اكثر منه وحدة الاقليم[٣٥] ٠ والاختلاف الثاني بين الفلسفة الاسلامية والديمقراطية هو التأكيد في الفلسفة الاسلامية على الوحدة بين ما هو مادي وروحي بينما هي ليست كذلك في الديمقراطية ٠ وهذا يعني ان الفلسفة السياسية الاسلامية تستند على قواعد خلقية ٠ فهناك مقياس خلقي لكل عمل سياسي ٠ واخيرا الاختلاف في مركز السيادة ٠ فبينما تستقر السيادة في الديمقراطية بيد الشعب بصورة كلية فان الامة في الفلسفة السياسية الاسلامية مرتبطة سيادتها بتعاليم الشريعة الاسلامية ٠



وهكذا نجد ان الفلسفة السياسيا العربية الاسلامية تعكس لنا حياة وظروف الحضارة العربية الاسلامية ٠ واذ لا يمكن تسميتها بالديمقراطية كون بعض تعاليمها تختلف عنها ، فانها لا يمكن ان تسمى بالديكتاتورية أيضا لمناهضتها للفلسفة الديكتاتورية ٠٠ لان الفلسفة السياسية الاسلامية بعيدة عن التطرف والاكراه والتسلط ٠

## مصادر البحث الاساسية

### باللغة العربيـــة :

١ ـ محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية ٠
٢ ـ عبدالعزيز الدوري : النظم الاسلامية ٠
٣ ـ حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ٠
٤ ـ ابن خلدون : المقدمة ٠
٥ ـ ابن تيمية : السياسة الشرعية ٠
٦ ـ رشيد رضا : الخلافة ٠

٧ ــ الغزالي : احياء العلوم ٠
٨ ــ ابن جماعة : تحرير الاحكام ٠
٩ ــ الماوردي : الاحكام السلطانية ٠
١٠ــ علي عبد الرزاق : الاسلام واصول الحكم ٠

**باللغـــة الاجنبية :**

(1) E. Rosenthal: Political Thought in Midieval Islam, 1958.
(2) H. Sherwani: Studies in Muslim Political Thought and Administration, 1945.
(3) A. Sanhury: Le califat, 1926.
(4) Sir Th. Arnold: The Legacy of Islam, 1931.
(5) Sir Th. Arnold: The Califate, 1926.
(6) M. Macdonlad: Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory, 1903.
(7) De. O'Leary: Arabic Thought and its place in History.
(8) R. Hammond: The Philosophy of Al-Farabi and its Influence on Midieval Thought, 1947.
(9) T. DeBoer: The History of Philosophy in Islam, 1903.
(10) Gibb and Bowen: Islamic Society and the West, 1950.

---



(١) ان ما ينتقد عليه الكثير من الكتاب العرب حديثا ايضا هو تكريس معظم وقتهم للكتابة عن النظم الاجنبية أكثر منه في احياء التراث الحضاري العربي الاسلامي ٠

(٢) انظر J. figgs في كتابه ( ص [illegible] ) "The Divine Rights of Kings"

(٣) انظر J. Mattern في كتابه "Concepts of State, Sovereignty, and International Law"

(٤) ومن أهمها المدرسة الدينية ، المدرسة القانونية ــ السياسية ، المدرسة السياسية ــ الخلقية ، والمدرسة الفلسفية ٠

(٥) انظر E. Rosenthal في كتابه "Political Thought in Midieval Islam" ( ص ١١٨ ) ٠

(٦) انظر الشيرواني في كتابه ( دراسات في الفكر السياسي والادارة الاسلامية ) ص ٢٥٢ ٠

(٧) المصدر السابق ص ٢٥٢ ٠

(٨) للحصول على التفاصيل الاخرى راجع الغزالي في كتابه « احياء العلوم » كذلك الشيرواني المصدر السابق ص ١٥٩ ٠

(٩) الشيرواني ، مصدر سبق ذكره ص ٢٥٤ ٠

(١٠) انظر ابن جماعة : تحرير الاحكام ــ دراسة باشراف هانز كوفر ص ٣٣٢ ــ ٤١٣ ٠

(١١) انظر Sherwani مصدر سبق ذكره ص ٢٥٣ ٠

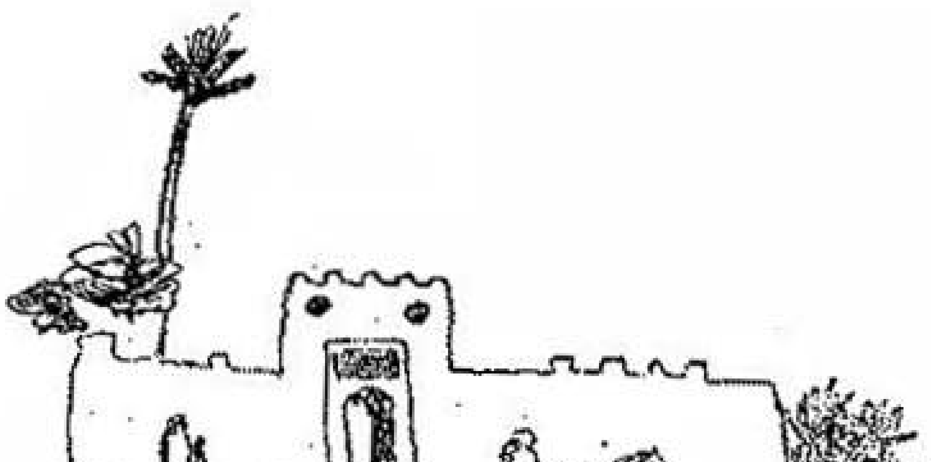
(١٢) ابن خلدون : المقدمة : مختارات ترجمة وتبويب شارلس عيساوى ص ٩٩ ٠

(١٣) المصدر السابق ص ٧١ ٠

(١٤) المصدر السابق ٠
(١٥) عيساوي ص ١٠٢ ٠
(١٦) انظر روزنتال مصدر سبق ذكره ص ١٧٦ ٠
(١٧) كما ان المجتمع ضروري لدوام حياة الافراد ، فان الدولة ضرورية لدوام المجتمع ٠ انظر خدوري في كتابه « الحرب والسلام في قوانين الاسلام » ، ص ٦ ٠
(١٨) تستمد الشريعة مصادرها من الكتاب المقدس والسنة والقياس والاجماع ٠
(١٩) انظر محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية ص ٢٨٠ ٠
(٢٠) انظر على سبيل المثال لا الحصر سورة النساء من القرآن الكريم ٥٨ ٠
(٢١) انظر ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٩ ٠
(٢٢) انظر روزنتال ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٩ ٠
(٢٣) المصدر السابق ، ص ١١٩ ٠
(٢٤) المصدر السابق ، ص ١٥٨ ٠
(٢٥) الماوردي ــ الاحكام السلطانية ، ص ١٧ ٠
(٢٦) ابن تيمية السياسة الشرعية ، ص ١٦٩ ٠
(٢٧) انظر عبدالرزاق السنهوري في "Le Califat" ص ٩٤ ٠
(٢٨) المصدر السابق ، ص ٩٤ ٠
(٢٩) المصدر السابق ، ص ٥ ٠
(٣٠) المصدر السابق ، ص ٥ ٠
(٣١) العباس ابن الحسن : شرح الروض النظير في مجمع الفقه الكبير ، ص ١٧ ــ ١٩ ٠
(٣٢) الريس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٥ ٠
(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٧٥ ٠
(٣٤) مع ان الاغلبية من الفقهاء يتفقون في عزل الخليفة الذي يشط في حكمه الا ان البعض من الفقهاء من يرى ومنهم ابن جماعة والاشعري ، ان اطاعة الخليفة المخالف لاحكام لاحكام الشريعة افضل من عزله طالما ان مثل هذا العمل قد يحدث تصدعا وانشقاقا بين ابناء الامـة ٠



(٣٥) الريس : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٠ ٠
(٣٦) لا يصح من التجمع بين المبدأين على البلاد الاسلامية : ذلك ان كل قطر يمكن له ان يحتفظ بوحدة اقليمه وفي الوقت عينه احلال التضامن بين البلاد الاسلامية كما يحدث بين اقطار غربي اوربا اليوم ٠ فوحدة اجزاء القطر أو الوطن العربي الواحد مثلا لا تمنع من تضامنه مع الاقطار الاسلامية الاخرى طالما ان المبادىء الاسلامية تقوم على التآلف لا التباعد ٠



# من عوامل فشل إسرائيل

بالدكتور فخري الدباغ

اسرائيل ـ الجزء المحتل من الأرض العربية ـ تعاني من أزمات متلاحقة في الداخل والخارج • فمقومات وجودها تتداعى شيئا فشيئا ٠٠ ، وعوامل فشلها تتكاثر على مر الزمن • لذلك كانت تصريحات بورقيبة طعنة للعرب من الخلف ، وما هي الا احدى التشبثات الواهية التي تتشبث بها اسرائيل وهي تنحدر الى الهاوية • فاذا ماتركنا كل العوامل الخارجية التي تشدد الخناق على اسرائيل ورجعنا الى القاعدة ٠٠ الى نفسية الشعب الاسرائيلي وحللناها لوجدنا عوامل أعمق تعجل في زوالها • وأكتفي بأن أقدم مقتطفات من تقرير علمي نشرته المجلة البريطانية للأمراض العقلية في العدد ٤٥٩ المجلد ١٩ في مارس ١٩٦٣ قدمته لجنة علمية زارت اسرائيل على نفقة الجمعية الطبية ـ النفسانية الملكية البريطانية لغرض الاطلاع على الحالة النفسية والصحة العقلية فيها • يقول التقرير :

« ٠٠٠ ان الصحة العقلية في اسرائيل تعكس معضلات الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في البلاد • ففي خلال سني ١٩٤٨ ـ ١٩٦١ ارتفع السكان من ٧٧٥ر٠٠٠ نسمة الى أكثر من مليوني نسمة غالبيتهم من اليهود و ٢٢٠ر٠٠٠ غير يهودي ، وهذا نتيجة الهجرة المتدفقة من أكثر من ٧٥ دولة في العالم على اختلاف لغاتها وتقاليدها وعاداتها • ويدعي بعض المهاجرين بأن أجدادهم يرجع نسبهم الى أزمان التوراة ٠! فجاءوا بعوائلهم وجماعاتهم ومن بينهم العجزة وذوي العاهات والمعتوهين وذوي النفسيات السيكوباثية • كثير منهم جهلة ٠٠ ، قدم بعضهم من بين ظهراني كتل اجتماعية معزولة ومحافظة ٠٠ يصطحب بعضهم عرائس شبه أطفال ٠٠!! ، والغالبية جاءوا بتقاليدهم العائلية ذات النفوذ الفردي المتدرج ٠٠ ، وبالحقيقة لا جامع بين هذه الفرق الا شيء واحد هو الدين اليهودي •

وتمر التجارب البشرية بهذه الجماعات بعد ان اقتلعوا من وطنهم الأصيل ليستوطنوا أرضا سلبية ٠٠ ، فهم يمرون بمراحل من التطور الفعلي العاطفي هي :

١ ـ دور الانشراح البدائي عند القدوم •

٢ ـ دور الحنين الى الوطن الأصلي مصحوبا بالارتباك الفكري والعاطفي ٠

٣ ـ دور الاستقرار والشعور بالوطن الجديد ( المغتصب ) ٠٠ وهو دور طويل مرير ٠

ومع ان المفروض ان القادم الجديد يرحب به ويعامل على قدم المساواة مع غيره من القادمين ٠٠ ، ولكن تصرف وشعور كل جماعة يختلف عن الاخرى ٠٠٠ فاليهودي الأوربي لا يزال يشعر بآثار معسكرات الاعتقال الألمانية التي قضت على كثير من أفراد عائلته ٠ ويميل هؤلاء الأوربيون الى المعاناة من أعراض الكآبة والافكار الانتحارية ٠ أما القادمون من البلاد العربية فتسود بينهم أعراض الهيستريا ٠ وعلى أطباء الأمراض العقلية وعلماء النفس أن يجدوا لكل مجموعة وبيئة فحوصا ومقاييس نفسية خاصة تلائم الحضارة والبلد الذي قدم منه المريض اليهودي ٠

أما مشاكل الأحداث الجانحين فيتحدث عنها أحد حكام محاكم الأحداث هناك (د٠ رايفن) فيقول بأن مشاكل الاحداث تتصل بمعضلة اسرائيل الاجتماعية الخاصة ٠ ف ١٥٪ من هؤلاء أوربيو الأصل ولدوا في سني الحرب العالمية وسط ظروف مروعة أما الـ ٨٥٪ الباقون فهم من الأقطار الشرقية ٠ هؤلاء الأحداث يعيشون في حقبة فقدت فيها سيطرة التقاليد والروادع القديمة وزاخرة بمشاكل وعقد المجتمع الحديث ٠ أما الأب الذي ألف السيطرة العائلية فقد أصبح الآن بدون نفوذ وفقد دوره الأصيل كرب بيت ٠٠ وبات بدون عمل أو أمام عمل غير مألوف لديه ٠٠٠ والأحداث فرائس هذا التغير ، فهم في مفترق طرق بين روابط العائلة والتقاليد وبين الامتزاج في المجتمع الجديد ٠٠ والنتيجة الطبيعية لهذا هي مزيد من القلق النفسي والارتباك ٠٠ ومزيد من مشاكل الحكومة أمام جنح الأحداث ٠

ولابد من ذكر ظاهرة عامة في المجتمع الاسرائيلي هي أن اليهودي الشرقي يشعر بالنقص تجاه اليهودي الغربي ، وبأنه يعامل فعلا بأقل درجة من العناية والاهتمام من اليهودي الأوربي ٠ »

★ ★ ★

ترى ما هو مصير دويلة كيانها مجموعة افراد متنافرين ، ونفسية فردها مريضة ٠٠ ، شيوخها حائرون ذاهلون في محيط غريب أحمق ٠٠ ، وشبابها قلقون جزعون ٠٠ ، وأحداثها تائهون بين تقاليد تفرض وحضارة داعرة مجنونة ٠٠٠ ، وجميعهم يعيشون على أمل كاذب بينما هم يعانون حياة قاسية مهددة من كل جانب ؟ ما هو مصير دويلة لم يشعر افرادها بارتباطهم العميق بوطنهم ، ولم يتمكنوا حتى ان يمتزجوا مع بعضهم ؟ ـ فشل محقق لاريب فيه ٠ والارادة العربية كفيلة أن تسدد الضربة القاضية في الوقت المناسب لتعيد الأرض السليبة الى أهلها حيث العلاقة الأصيلة الراسخة بين العربي وأخيه وأرضه الحبيبة ٠

# جمال الطبيعة وجمال الفن

د. بهي الدين عفيفي

لا يكاد المرء يعنى نفسه بالبحث في موضوعات علم الجمال حتى يتبين انه بصدد صعوبة حقيقية . ان البحوث في هذا العلم تكاد تشعر الباحث بأزمة في طابعه العلمي ، تبدو في الخلافات الكثيرة التي تتردد بين أعلامه . وان مراجع علم الجمال لتشهد بشكوى الباحثين من صعوبة البحث فيه واختلاف وجهات النظر في مشاكله . واذا كانت هذه الصعوبة وهذا الاختلاف يردان الى طبيعة الموضوعات التي يحاول أن يتصدى لها الباحثون في الجمال والفن ، فان هذه الموضوعات ليست مما يعني المفكرين والفلاسفة وحدهم ، ولكنها تشغل في كثير من الاحيان الانسان العادي الذي لا يستطيع أن يستمر في معاناته للحياة دون ان تهفو نفسه الى معاني الجمال والفن .



فماذا يمكن ان تقدم لنا دراسة علم الجمال ونحن في معرض الحديث عن موضوع ينطوي على عنوانين رئيسيين في هذا العلم : جمال الطبيعة ، جمال الفن ؟؟

ان معالجتنا لهذا الموضوع تلزمنا بان نقف اولا عند ماهية الجمال وما المقصود به ، ثم نحاول بعد ذلك أن نتبين هذا الجمال في الطبيعة كما نحاول أن نتبينه في الفن ، ثم نقارن بين هذين النوعين من الجمال .. وبعد ذلك نختم برأي نستخلصه من كل هذه المقدمات .

ويبدو أن اختلاف الباحثين سيطالعنا من أول الامر حول تحديد ماهية الجمال وتعريفه ، ومهما يكن من الامر فان محاولة تعريف الجمال أمر شاق للغاية ، فالواقع ان اللفظ ينطوي في استعماله على شيء من اللبس والغموض لاسباب عدة :

أولا : ان الجمال يتعلق بالذوق والحس الخاص ، فالافراد يختلفون فيما هو جميل وما ليس بجميل ، وزيادة على ذلك فالخبرة بالجمال وقتية : فما يبدو جميلا لفرد ما في فترة معينة قد لا يبدو له كذلك في غيرها .

ثانيا : ان الاحساس بالجمال كحالة شعورية لا يلقي الا ضوءا قليلا على الجمال كفكرة فالافراد الذين يتفقون في ما هي الموضوعات التي تعطى احساسا بالجمال قد يختلفون تماما في تصورهم لمعنى هذه الخبرة الجمالية .

ثالثا : ان الجمال يتناوله مجال واسع من الخبرة الجمالية ، يشمل

جمال الطبيعة وجمال الفن ، وهذان النوعان من الجمال ـ كما سنعرض فيما بعد ـ لها مميزاتها المتشابهة والمختلفة ٠

وأن الاختلاف في تحديد ماهية الجمال وتعريفه ليبدو واضحا من خلال تعريفات الفلاسفة والعلماء ٠ والبحث في الجمال اقدم من أسم العلم ( علم الجمال ) فقد بحث الفلاسفة اليونان في الجمال دون ان يفكروا في وضع علم له ـ فسقراط غلبت عليه الاراء الاخلاقية ، كما حكى عنه تلميذه زينفون ، فالجميل في رأيه هو مايحقق نفعا مباشرا أو خيرا عاما ، ويرى أفلاطون في كتابه هيبياس الاكبر أن الجمال شيء الهي يرادف الخير وأنه معنى مطلق مجرد وهو في ماهيته تناسب وتوافق بين الاشياء ، ونحن لانحس الجمال الا بادراك هذا التناسب وتمييزه ٠ وانتهى أفلاطون الى ان الجمال لا يرجع الى الاشياء الخارجية ـ أي لا يوجد في العالم الخارجي جمال بل ان الجمال راجع الى جمال روحي باطني داخلي هو جمال نفوسنا ٠ وقد ذهب المفكرون بعد ظهور مذهب النشوء والارتقاء الى أن الجمال ليس معنى في الشيء نفسه بل هو معنى يوجده احساسنا وحواسنا ٠ ويعرف بومجارتن Baumgarten الجمال بأنه مطابقة واتفاق وتناسب بين الاجزاء في علاقاتها بين بعضها والبعض الاخر وفي علاقاتها بالكل ٠ ويرى جيو Guyau ان ليس الشعور بالجمال الا « الحياة » وقد وصلت الى ادراك ذاتها وقوتها وانسجامها الداخلي ٠ ان الجمال ادراك أو فعل يوقظ فينا الحيوية في صورها الثلاثة : الحسية والعقلية والارادية ، والشعور بهذه اليقظة يولد اللذة الجمالية ٠ ويرى كاريت أن الجمال شيء شخصي يرتبط بأحاسيس الفرد وأخيلته ، ولما كان الناس يختلفون في أحاسيسهم وامالهم وأذواقهم فانهم يختلفون في تقديرهم للجمال ٠ والاشياء التي توصف بالجمال هي التي تدل على معنى ولها تعبير ٠ والحق ان الشيء في ذاته لا يدل على معنى وانما نحن الذين نخلع عليه معناه ٠ ويقول كانت Kant في كتابه نقد العقل النظري : « يجب الا نبحث أولا في الجميل نفسه بل في حكمنا الشخصي وذوقنا » ٠ وعند شوبنهور ان الجمال من الناحية الموضوعية هو التحقق الموضوعي الموافق للارادة في ظاهرة مكانية ٠ ومن بين التعريفات التي اختارها هربرت ريد ودونها في كتابه « معنى الفن » ان الجمال هو وحده النسب الخارجية في ادراكنا الحسي ٠

ولكن هل يمكننا ان نعين ماهية الجمال بالقياس الى قيم اخر ، كأن نعتبر ان الجمال هو الحق أو هو الخير أو انه مرادف للفائدة او المنفعة ؟ اننا نرى أن هذه النظرة الى الجمال لاتكشف عن حقيقته في كثير من الامر فان الاحساس بالجمال ليبدو احيانا اسمى وارقى مرتبة من الحق ومن الفائدة والمنفعة ٠

ولا يقتصر الخلاف في الجمال على ماهيته بل ان المفكرين أيضا قد

اختلفوا في طبيعة الجمال هل هو موضوعي أم ذاتي ؟ ففريق قال بان للجمال وجودا موضوعيا ٠٠ فهو صفة حالة في الشيء الجميل تلازمه وتقوم فيه ولو لم يوجد عقل يقوم بادراكها كما يرى الفيلسوف برايس R. Price بل أن القول بان الاحكام الجمالية موضوعية وليست ذاتية ينحدر الى أفلاطون قديما ٠

ولكن ألا يسترعي انتباهنا التغير والتقلب في تصور الجمال من عصر الى عصر ومن جنس الى جنس ؟؟ بل ان هذا التصور قد يختلف باختلاف الافراد في المكان الواحد والبيئة الواحدة ٠٠ ان تولستوى ليمثل لنا الذاتية الواضحة في فهم الجمال وان أصحاب النظرة الذاتية عموما ليذهبون الى أن الجمال ليس شيئا موضوعيا حالا في آثار الفن ومشاهده بل هو مرهون بالتأثير الذي يحدثه في نفوس الذين يتصلون باثاره كما يقول جود Joad انه « نور ليس في البر ولا في البحر » ولا يوجد الا في قلب الانسان الذي يتذوق الجمال ومن ثم يكون نسبيا يتوقف على شخصية الفرد ومستوى حضارته ومبلغ حظه من الثقافة الفنية بوجه خاص ٠

وغير هذه الاراء التي ترد طبيعة الجمال الى الذاتية احيانـــا والى الموضوعية احيانا اخرى يبدو أن هناك نظرة ثالثة : فاننا اذا قلنـــا : « جمال » فانما نعني شيئا مضافا اليه قيمة وتقديرا وتفضيلا أي ذاتا تفضل، فالجمال ليس ذاتيا محضا ولا موضوعيا خالصا ٠٠ هو لا يتوقف على الذات التي تتذوقه وحدها ولا على الشيء الذي يحل فيه وحده ، بل على العلاقة بينهما ٠ وهو في ماهيته ـ باجمال ـ كما يقول هربرت ريد « ما يبعث الغبطـــة » ٠

وهكذا تتجاذبنا أقطاب من مختلف الاراء لا نملك ان نقف عند كل واحد منها دون أن نتعداها الى غيرها ٠٠ فهي في اختلافها وتضادها تسلط على ماهية الجمال أضواء من كل جانب وان كانت لا تكشفه مرة واحدة ٠٠

وبعد ٠٠ فهل هناك جمال في الطبيعة ؟ ٠٠ ان عنوان البحث يفترض قبلا أن في الطبيعة جمالا ٠ ولكن الا يمكن ان نسأل أولا عن المقصود بالطبيعة وهل يمكن أن يتحقق الجمال في هذه الطبيعة باى معنى من معانيه ؟ وماقيمة هذا الجمال أن وجد ؟؟

من الممكن ان نترجم الطبيعة بانها مظاهر العالم المحس كما يعرفها هربرت ريد ولكننا لانقنع هنا بمجرد هذا التحديد فان الطبيعة التي نعنيها هي قبل ذلك الطبيعة في ذاتها ٠٠ هي الطبيعة الخالصة قبل ان تتدخل فيها يد الانسان ٠٠ فهل تقدم لنا هذه الطبيعة معنى من معاني الجمال ؟

ان الخلاف ما زال يصاحبنا ، وان جمال الطبيعة اذا اعترف به بعض المشتغلين بالفن ولا سيما القدماء منهم وابرزوه على أنه هو الجمال الاصيل الذي يستمد منه الفنانون ابداعاتهم فان البعض الاخر يخطيء هذا الرأي

ويرده بعيدا عن دائرة الفن ٠

ولكنا نود ان نشير الى أن انكار الجمال انكارا تاما في مجال الطبيعة تطرف غير مقبول ، وان مما لا شك فيه أن في الطبيعة جمالا اصيلا ٠٠ وان كان من الممكن بعد ذلك أن يقع الخلاف في تقدير قيمة هذا الجمال ٠٠ فان منظر انحدار مياه الشلال المتكسرة على الصخور لتأخذ بمجامع القلوب ، وقد لا يكون كذلك منظر الشجرة العارية وقد عصفت باوراقها رياح الخريف ٠٠

ويرى افلاطون - من قديم - أن الفن تقليد للطبيعة التي تحاكي بدورها المثل ويذهب بومجارتن الى أن أعلى قسط من الجمال موجود او مرئي في الطبيعة وغرض الفن محاكاة الطبيعة ، وقد ذهب الى مثل هذا المذهب فشته فرأى أن ادراك الجمال نشأ من العالم بمعنى أنه نشأ من الطبيعة وسايره في ذلك شلجل وفلر في تعريفهم للجميل ٠

وعلى العموم يغالي أصحاب المذهب الطبيعي في الفن في نظرتهم فيرون الطبيعة ( وحدها ) هي المجال الصحيح لدراسة الفن وأن مهمة الفنان تنحصر في ملاحظة الطبيعة عن كثب وتسجيل مظاهرها في وضوح وأن من الضلال في نظرهم ان يفرض الفنان على الطبيعة احكاما تقويمية اعتقادا منه بأن الطبيعة ناقصة يعوزها جهد الفنان ليزيل عنها النقص ويردها الى الكمال وأن مهمته لا تتجاوز تشريح البيئة التي تحوطه ووصف ما فيها ٠

والمفهوم أن الجمال سابق الوجود على الفنون فقد شرع الانسان في التعبير عن أدراكه لجمال اشكال الحيوان والطير والازهار وما أمدته به الطبيعة من الزخرف بالتخطيط على عظام الحيوان وعلى جوانب الكهوف ونحوها ٠ وعلى هذا نستطيع ان نقول ان في الطبيعة جمالا وهو جمال قديم أصيل قد سبق الجمال المصنوع ٠٠ أما قيمة هذا الجمال ومميزاته فسنناقشه عند مقابلته بجمال الفنون فيما بعد ٠

واذا انتقلنا الى الكلام عن جمال الفن فان علينا ان نسأل : ما المقصود بالفن هنا ؟ وهو يوجد في الفن جمال ؟ وما قيمة هذا الجمال ؟

يمكننا أن نعرف الفن تعريفا مبسطا عاما بأنه نقل الفنان احساساته وانفعالاته الى الاخرين ٠٠ هو محاولة لخلق أثر جميل ٠٠ هو التعبير عن الاحساس تعبيرا جميلا ٠ واذا كان هذا هو الفن فما عسانا واجدون من ضروب الجمال في أنواعه المختلفة ؟

أن أرسطو يرى للفن وظيفتين : الاولى ان يسمو بالطبيعة والثانية ان يحاكي الطبيعة ، والمحاكاة لا تعتبر تصويرا للمظهر الحي للاشياء ولكنها شيء أبعد من ذلك ، هي « ايجاد ما لم تستطع الطبيعة إيجاده على النحو الذي يمكن أن توجده الطبيعة عليه لو أنها أنتجته » أي ليس اعطاء صورة مكررة لما أنتجته الطبيعة ٠ وان تشينيز Schnease ليمجد جمال الفن ويرى انه

وحده هو الجمال الكامل الحق بينما جمال الطبيعة جمال ناقص مبتور ٠ وحسبنا ان نشير اشارات خاطفة الى بعض المذاهب الفنية التي ترى أن الجمال هو في البعد عن الطبيعة وفي التفنن في الخروج عليها أو السمو بها ٠

ان المذهب المثالي Idealism في تعبيره عن الجمال انما يتجه بالفن الى التعبير عما ينبغي ان يكون مع توكيد وجدانات الفنان وعواطفه في آثاره الفنية وعدم الوقوف عند نقل الحقائق نقلا حرفيا ٠ انه يتجنب الواقع الكريه الاليم ليصور الجمال ٠ كما ان المذهب الرمزي Symbolism الذي نشأ كرد فعل للمغالاة في تقدير الطبيعيين لجمال الطبيعة يعبر عن الجمال بتجاوزه عما هو كائن الى اضفاء الغموض على الاثار الفنية وعرض القيم الروحية من خلال الرموز المجردة ٠ ان هذه الاتجاهات والاراء الفنية التي تبعد عن الطبيعة في تصورها للمجال انما ترى للجمال معنى لا يتحقق الا بجهد الفنان ، وان الفن في نظرنا هو البوتقة التي ينصهر فيها الجمال ويتحقق في أكمل صورة ٠

واذا كنا قد اعترفنا في حديثنا عن جمال الطبيعة وجمال الفن بان هذين النوعين من الجمال لا سبيل الى أنكارهما وأن كان كل منهما يختلف عن الاخر في طبيعته وقيمته ، فما هي أوجه الاختلاف والتمايز بين هذين النوعين من الجمال ؟؟

نستطيع قبل كل شيء ان نتبين في جمال الطبيعة وجمال الفن خصائص يشتركان فيها على حد سواء ، ومن بين هذه الخصائص :

أولا : ان الجمال يصف في كلتا الحالتين موضوعات خارجية ، فمثلا عندما نعجب بجمال الطاووس أو بجمال لوحة رائعة ٠ فاننا نشعر أن هذا الجمال صفة تلحق هذه الاشياء التي أعجبنا بها ( الاشياء الخارجية ) ولا تلحق ذوقنا مثلا ، ويترتب على ذلك ان يصبح الجمال صفة موضوعية اكثر منه صفة تنسب الى خبراتنا ٠

ثانيا : ان قيمة الجمال في كلتا الحالتين يمكن ان يتمتع بها أكثر من فرد واحد ، وهي بهذا تختلف عن غيرها من القيم الاخر مثل القيم المادية : كاللذة الجسدية والفرص الاقتصادية التي تتقلص قيمتها باشتراك اكثر من فرد واحد فيها ، وبعبارة اخرى نستطيع ان نقول ان الخبرة الجمالية لا تتأثر مباشرة بعدد المشتركين فيها ٠ بل على العكس من ذلك فان جيو ليقول : « انني حينما أشاهد الجمال فهناك أود ان اكون اثنين لا واحدا » ٠

والى جانب هذا توجد كثير من المميزات التي يختلف فيها كل من جمال الطبيعة وجمال الفن ، من بين هذه المميزات :

اولا : ان الفن فعل انساني ينطوي على خلق واع وادراك ، اما الطبيعة

فالامر بالنسبة لها يختلف ٠٠ ولذا فالفن يعبر عن مشاعر ورغبات وافكار انسانية اكثر مما يتسع له مجال الطبيعة ٠

ثانيا : ان جمال الفن أوسع مدى واخصب مادة من جمال الطبيعة ، انه لا يكتفي بان يضم بين موضوعاته ما يبعث على السرور والغبطة ، بل قد يصور ايضا القبح والمأساة تصويرا جميلا ٠

ثالثا : ان جمال الطبيعة واقعة طبيعية فحسب ، اما جمال الفـــن فواقعة روحية ٠٠ هو ترجمة لروح الفنان التي تنطوي على مجموعة رفيعة من الاحاسيس والانفعالات ٠

رابعا : ان الطبيعة لا تتغير في خلقها لنوع الجمال الذي تقدمه لنا بينما الفنون تتمشى مع الانسان وتتغير بالزمن حسب آرائه ورغباته ونزعاتـــه الحيـــة ٠

وبعد ٠٠ فان جمال الطبيعة ، جمال له وجوده ـ ولا شك في ذلك ، ولكن جمال الفن اوسع واصدق ٠ وأن الاتجاهات الحديثة في الفن لتطرح الفكرة القديمة التي ترى أن الجمال انما يقاس بمدى مطابقته للطبيعة حينما أعتاد البعض الاعجاب بعازف الموسيقى وهو يحاكي بحذق صـــوت دق الاجراس وصهيل الخيل ووقع الاقدام وزقزقة العصافير ٠ ان هذه المحاكاة ليست الفن كله أو الجمال في أعلى صوره ، فان هدف الفنان هو التعبير لا المحاكاة ٠ ولنضرب مثلا بالمقصود بالتعبير بفن الحفارين على الحجر في القرون الوسطى فقد كانوا يعبرون في حفرهم عن الخصائص العامة لكـــل النباتات دون أن يعنوا ببيان نبات معين ٠



ان الفنان قد يرى ان جمال الطبيعة ساذج غير ناضج فيعدل فيـــه بالاضافة والتبديل ويدخل فيه من عنده تصوراته في ماهية الجمـــال ، وغرضه من ذلك أن يتضح الجمال ويصبح مثلا أعلى للكمال ٠

لقد سأل فلوستراتوس Philostratus قديما : اذا أردنا من الفن أن يكون تقليدا فكيف يستطيع المثال أن يقدم لنا تمثالا للالهة ـ التي لـــم يراها احد ؟؟ ثم يردف في تهكم ٠٠ هل يصعد الفنان عندئذ الى قمـــة الاولمبوس ؟؟!!

وأخيرا ليس الفن الطبيعة انما الفن انساني وان ما يحتاجه الناس من جمال الفن هو أن يرد هذه الطبيعة المبهمة طبيعة مفهومة لدى الروح ٠

# الحسين

الدكتور زكي المحاسني

عاطني دمعاً وخذ مني عينا    وا حسينا وا حسينا وا حسينا
أنا في الشام وتيار حناني    ينتحي من ذكرك المحزون حينا
يسأل الريح اذا هبت رخاءً    في البوادي عن هوى قد كان دينا
يا مهاداً في العراقين أجيبي    أين مثوى ذلك المحبوب أينا
كربلاء لفحة قهرية    حملت في صفحة التاريخ شينا
هي لا ذنب لها من بلدة    من دعا الأحجار أن تلبس زينا
وقعة فيها على عثيرها    هزت الدهر ولم تتركه هينا
لكأني أبصر المرج دنا    بخيول بالردى الباغي سرينا
يا لها من طحمة كان الردى    سامها العرب ، وبلوها جنينا
تلك همدان أتت في مذحج    وتميم ، وبأقدار طوينا ،
ابن عدي حجر دين وتقى    قتلوه قطعوا منه ردينا
فانبرى الصحب على عرض الملا    معشر الثأر يصيحون افتدينا
فتن عجت مدى الجيل كما    تلفح النيران لا تدري الهوينا
هب يطفيها على طغيانها    بطل أعداؤه نادوا : الينا
ناصح قال له يا ابن مطيع    لا تكن كبشاً على المنحر هينا
فأبى وهو ينادي رهطه    لن يصيب العرب من بعدي أينا

فأتاه الجمع في وثب الفدا    يا حسيناه ، لِلُقْياكَ أتينا
أمُّ وَهْبٍ فيهمو مقدامة    زوجها الكلبي نادى ، ما انثنينا
بأبي أنت وأمي تلك روح    غير ما نفديك فيها ما اقتنينا
خذ أبا المجد فهذي طعنة    بعدوٍّ الله طَغَوْا و رَيْنا
وهتاف قد علا تهداره    نحن أنصارُكَ انا قد حمينا
فيهمو عمرو أخو قرظة من    يصدق الموت ولا يعرف مينا
ولديهم مسلمٌ ذو عوسج    وحبيبٌ قال للحتف اقتفينا
وزهيرٌ فارس الفتكة ان    قيل يا ابن القَيْن لم نعرفه قينا
ورمى الكنديُّ يفدي خِدْنَه    بكُماةٍ مثل جنٍّ قد رمينا
يا لأبطال تدانوا في الوغى    أشهدوا اللهَ وقالوا ما اعتدينا
وأتى الخصمُ بجمع حاشد    يا رواة الحرب انا قد روينا
وقف التاريخُ حيرانَ ولو    أظلم التاريخُ فينا ما اهتدينا
يا أبا المجدِ ويا زينَ الملا    لك في حرب المناجيد بنينا
مشهداً في ملحمات حمحمت    قد طوين البيد والعمر طوينا
نحن ألجمنا الى الحشر الذي    قد فرى قلبك ، ذكراه فرينا
وسفحنا بعدك الدمعَ على    بطلٍ ما مثله فيك بكينا
عطشاً غبتَ عن الدنيا فيا    ليتنا حزناً بماءٍ ما ارتوينا
تشرب الكأس بلا طعم وما    ساغ آناً بعد ظمآنَ استقينا
ليس يرثيك سوى روح على    النجف الأشرف تلقاها هوينا
حملت سر البلاغات ولو    سكبت شعراً لمرثى ما رثينا
يا حبيبي لك في الشام ندى    في مُطَلّ الزهر قد رفّ علينا
كم ركبنا الشوق نسرى عمره    خلف آماد الهوى فيه جرينا

# التعلم الشرطي والتعلم الاقتراني

الدكتور احمد حسن الرحيم

صاحب النظرية الاساسية في هذا النوع من التعلم هو العالم الروسي ايفان بتروفش بافلوف(١٨٤٩-١٩٣٦)Evan Petrovich Pavlov وكان مختصا بعلم وظائف الاعضاء Physiology وعلى الاخص بوظائف الغدد الهضمية وقد اجرى في الهضم تجارب علمية كثيرة نال عليها جائزة نوبل سنة ١٩٠٤م • وتجاوزت تجاربه في رد فعل الانعكاسي المقترن او الشرطي Conditioned Reflex علم الفيزيولوجيا الى علم النفس حين ترجم كتابه : « ردود الفعل الانعكاسية الاقترانية » الى الانكليزية سنة ١٩٢٧ • ويلخص اثر رد الفعل الانعكاسي المقترن بما ياتي : اذا اقترن منبه Stimulus اصطناعي مع منبه طبيعي لمدة كافية صار بامكان المنبه الاصطناعي ان يثير عند ظهوره الفعل الانعكاسي عند غياب المنبه الطبيعي »وقد استخلص هذا القانون من تجاربه العديدة التي اجراها على الكلاب • فقد اخذ كلبا ووضعه في غرفة خاصة لا ينفذ الى داخلها الصوت وتركه وحده مربوطا باربطة مريحة الى منضدة تجارب لكي لايتأثر بصوت شخص او منظره • وكان يدق له جرسا باوقات معينة قبل ان يقدم له الطعام وهو « مسحوق اللحم المجفف » ببضع ثوان • ودأب على هذا العمل مدة طويلة حتى عرف الكلب ان سماع صوت الجرس معناه حضور الطعام بعد ثوان قليلة • ولما أسمع بافلوف صوت الجرس الى الكلب من دون ان يقدم له الطعام سال لعاب الكلب كالمعتاد وصار المنبه الاصطناعي وهو صوت الجرس يثير رد الفعل الطبيعي وهو سيلان اللعاب عند غياب المنبه الطبيعي وهو الطعام • واتخذ بافلوف طريقة خاصة لقياس كميـة اللعاب التي يفرزها الكلب وذلك باحداث فتحة في فك الكلب يسيل فيها اللعاب الى انبوبة مدرجة • فلو لم يكن صوت الجرس قد اقترن بتقديم الطعام مرات عديدة لما تأثر به الكلب عند سماعه ولهذا فقد سمي هـذا النوع من التعلم بالتعلم الاقتراني أو التعلم الشرطي لاشتراط اقتران المنبهين في الظهور مدة كافية وقد أعاد بافلوف هذه التجربة باحوال مختلفة واكتشف منها قوانين ثانوية وفسرها تفسيرا فسيولوجيا وهو ان الارتباط الحاصل بين المنبه الاصطناعي ورد الفعل وظيفة من وظائف الدماغ او على الاخص

وظيفة من وظائف الطبقة السنجابية في الدماغ ونصح بتجنب التفسيرات النفسية لهذه الظاهرة وقد غير بافلوف هذا المنبه ( صوت الجرس ) وجعل عوضه ضوء مصباح أو اللمس او الرائحة فصار الكلب يسيل لعابه عند ظهور أحد هذه المنبهات الاصطناعية عند غياب المنبه الطبيعي وهو الطعام ٠

ومن أهم القوانين الثانوية التي اكتشفها بافلوف في تجارب رد الفعل الانعكاسي هذه القوانين :

### ١ ـ قانون الانطفاء Extinction

ومعناه اضمحلال رد الفعل وتلاشيه فاذا قدم المنبه الاصطناعي مرات عديدة فالكائن الحي يحافظ على نفسه بعدم الاستجابة للمنبه الاصطناعي مرات كثيرة لئلا تضمحل طاقته من التأثر بمنبه صناعي ليس له ما للمنبه الاصلي من فائدة وحيوية ٠ ويختلف الانطفاء عن النسيان بان الانطفاء هو تلاشي رد الفعل بعد الاسراف في اثارته بمنبه اصطناعي اما النسيان فيحدث من اهمال الممارسة ٠ ومن الممكن ان يعود رد الفعل الانعكاسي الى الظهور بعد الكف عن اثارته مدة كافية وهذا ما يعرف بقانون الاسترجاع التلقائي ٠

### ٢ ـ قانون التعزيز Reinforcement

ومعناه ان المنبه الاصطناعي يزداد تأثيره وقدرته على اثارة رد الفعل اذا اعيد اقترانه بالمنبه الاصلي لمدة كافية فعملية التعزيز او الدعم هي عملية تقوية الرباط الضعيف بين المثير والاستجابة ٠



### انتقال تجارب رد الفعل الى علم النفس :

انتقلت تجارب رد الفعل الانعكاسي من روسيا الى بعض الدول الاوربية وأمريكا بواسطة كتابات عالم روسي آخر هو فلاديميرميخائيلوفش بختروف (١٨٧٥ـ١٩٢٧) Bechterov مؤلف كتاب علم النفس الموضوعي objective Psychology الذي ظهر سنة ١٩٠٧ وقد أراد فيه لعلم النفس ان يكون علما تجريبيا معتمدا على الحقائق الموضوعية لا التفسيرات الذاتية ، وهو بهذا وغيره مما اراده لمنهج البحوث النفسية وطريقتها كثير الشبه بما ارادته السلوكية Behaviourism في أمريكا لعلم النفس فترجم كتابه هذا الى الانكليزية سنة ١٩٠٩ وفيه فصل من تجارب رد فعل المنعكس وهي التجارب التي بدأها استاذه بافلوف ولكنها لم تظهر بالانكليزية الا في وقت متأخر اي حين ترجم وطبع كتاب بافلوف عن رد الفعل المنعكس Conditioned Reflex سنة ١٩٢٧ ٠

ومن كتاب بختروف اطلع جون برودس واتون John Brodus Waston

مؤسس المذهب السلوكي في أمريكا ، أول الامر على تجارب رد الفعل المنعكس فاعجب كثيرا بها وحسب طريقتها التجريبية الطريقة الوحيدة التي يلزم لعلم النفس اتباعها اذا اراد له ذووه أن يصبح علما موضوعيا جديرا بالثقة والاعتماد . وكان واتسون أول من نادى بتطبيق تجارب الاقتران في علم النفس واعتقد كذلك ان ردود الفعل الشرطية هي أصح تفسير لسلوك الانسان والحيـــوان وقبل هذا ظهر الاهتمـــام بعلم نفس الحيـــوان Animal Psychology لاستخلاص نتائج تجريبية منه . والسلوكية لاترى فارقا بين نتائج علم نفس الحيوان وعلم نفس الانسان الا في الدرجة فكلا الانسان والحيوان من وجهة نظر سلوكية يقع على مستوى واحد مــع اختلاف في درجة التطور .

ويرى الاستاذ فلوكل Flugel ان السلوكية الامريكية نشأت سنة ١٩١٣(١) حين أوضح واتسون المقصود بهذا الاصطلاح وبين طريقتهـــا ومفهومها في علم النفس . وفي سنة ١٩١٥ القى واتسون خطابا امام جمعية علم النفس الامريكية عنوانه ، مكانة رد الفعل الانعكاسى الشرطي في علم النفس.The place of the Conditioning Reflex in Psychology ودعـا الى الاهتمام به واستخلاص النتائج النفسية من تجاربه وكان من تجارب واتسون المهمة تجربته التي اجراها على الطفل ( البرت ) وكان عمر هذا الطفل أحد عشر شهرا وقد اعتاد ان يلعب بارنب ابيض ولا يخشاه فقرن واتسون اقتراب الارنب باحداث صوت عال مفاجيء سبب الرعب للطفل واعاد واتسون هذا العمل عدة مرات حتى صارت رؤية الارنب وحده تثير الرعب والبكاء عند الطفل ثم عمل على ازالة الخوف من الارنب وذلك بان قرن رؤية الارنب باشياء مسرة للطفل كالاكل والاطمئنان بحضور الوالدين حتى زال خوفه من الارنب وعاد الى اللعب به . واستنتج واتسون من هذه التجربة ان المخاوف وغيرها من انماط السلوك الجيدة والرديئة ان هى الا ردود فعل انعكاسية يتعلمها الناس في حياتهم بالاقتران . ومن الممكن تعويد الناس على ما نريد من انماط السلوك بهذا الاسلوب نفسه . وانكر بهذا لمدة طويلة كـــل ما يسمونه بالسلوك الفطري او غير المتعلم . ثم اجرى تجارب اخرى في هذا الموضوع نفسه دلت كلها على أهتمامه بجعل علم النفس قائما عـــلى التجارب واعتباره رد الفعل المنعكس محور السلوك عند الانسان والحيوان ثم بحث علاقته ودوره في التعلم وتكوين العادات واللغة والانفعال وحتى الامراض العقلية . وفي سنة ١٩١٦ اجرت الدكتورة فلورنس ماتـــير Florence Mateer تجارب رد الفعل الاقترانى على اطفال في السابعة من

(1) J.C. Flugel, A hundred Years of Psychology, London, 1953, p. 254.

اعمارهم او أقل من ذلك وذلك بلمس ذراع الطفل عند فتح فمه لأكل قطعة من الحلوى تقدمها له صاحبة التجربة فنشأ ارتباط اقتراني بين لمس الذراع وفتح الفم عند الاطفال واستنتجت من تجاربها ان الاطفال الاسوياء يحتاجون من الوقت للتعلم بالاقتران حوالى نصف ما يحتاج اليه المتأخرون عقليا فحيث ان سرعة التعلم الاقتراني من الدلالات الصحيحة على الذكاء ، ولما كان رد الفعل المنعكس يتصف بالالية والجمود اي على عيس ما للذكاء من ابتداع وتكيف فقد خامر الشك او الغموض استنتاج الدكتورة ماتير واجرى الاستاذ كاسون Hulsey Cason تجربة اقتران وذلك بتعريض عيني المجرب عليه الى ضوء شديد وكان يرافق ذلك في كل مرة سماع صوت جرس وبعد توجيه الضوء الى عيني الموضوع Subject وسماع الصوت اربعمائة مرة صار بؤبؤا عيني المجرب عليه يتقلصان بصورة لا ارادية عند سماع الصوت فقط ٠

وفي سنة ١٩٢٠م صار مفهوم رد الفعل الانعكاسي الاقتراني Conditioned Reflex واسع الشيوع في المؤسسات النفسية واعترض عليه بأن مجال الفعل المنعكس ضيق ومختص يعلم وظائف الاعضاء لا علم النفس فاقترح الاستاذان ستيفنسون سمث Stevenson Smith وأدون كثري Edwinguthrie وكلاهما نفسانى من جامعة واشنطون في الولايات المتحدة الامريكية ، أن تكون تسميته « الاستجابة الشرطية Conditioned Response اذا اريد لمفهومه النفسي الدقة والاتساع وظهر علماء نفس آخرون وسعوا التجارب السابقة ونقحوا بعض نظريات التعلم او اضافوا اليها منهم الاستاذ كلارك ليونارد هل Hull والاستاذ ادون ري كثري Edwin Rey Guthrie فقد قبل هل Hull من تجارب بافلوف أهميـة الاقتران او التطبيـع Conditioning وخالفه في تفسير التعلم على اختلاف انواعه تفسيرا فسيولوجيا بحتا او ان يكون رد الفعل فسيولوجيا لاغير واتفق مع واتسون J.B. Watson في أهمية المحيط وقيمة اثره في سلوكنا وخالفه في انكار تأثير الوراثـة في سلوك الانسان والحيوان ٠ واعتقد بالتعميم Generalization في تعلمنا وقصد به تشابه سلوكنا في المواقف المتشابهة أي اننا ننتزع قواعد عامـة للتصرف في المواقف المتشابهة وله غير ما مر آراء كثيرة كون منها نظريـة في التعلم مكونة من مفاهيم ومسلمات عديدة وهي تعد في نظر كثير من المختصين بعلم النفس أفضل نظريات التعلم في الوقت الحاضر لاتساعها وقدرتها على تفسير مواقف وانواع التعلم المختلفة تفسيرا موفقا ٠

اما كثري Guthrie فهو سلوكي كذلك وقد اكد كثيرا اهمية التعلم بالعمـل Learning by doing ونصح ان تكون المدرسة محيطا ذا منبهات

مختلفة ليكتسب بها الطلبة خبرات متنوعة • وليس للتكرار في رأيه أهمية كبيرة في التعلم كالتي صورها له تورندايك وواتسون وبافلوف وعنده ان الترابط Association هو القانون الذي يفسر التعلم بمختلف احواله • وقد اكتشفه وقال به فلاسفة كثيرون مثل ارسطو وجون لوك وتوماس هوبز ولكنهم اهتموا بترابط الافكار فقط فكأن قولهم ناقصا لأن الترابط يشمل انواع التعلم النظري والعملي كتعلم السياقة والكتابة على الآلة الكاتبة وغيرهما ويرى ان السلوك مؤلف من حركات متتالية تكون كل حركة مثيرا ومنبها للحركة التي تليها ولعلماء آخرين نظريات وآراء في التعلم الشرطي ولكنها ذات أهمية ثانوية وقد اعود الى بحثها في فرصة قادمة •



# تقاليد اردنية

روكس بن زائد العزيزي

**الخطبة – الزواج – المآتم – قضايا العرض والدم والقصاص والصلح فيها – الجرائم المتوسطة التي تشبه الجنح في القانون – جرائم صغرى تقابل ما يعرف في القانون بالقباحة – مسؤولية صاحب السلاح الذي ارتكبت به الجريمة – مسؤولية المرأة**

**الاغتيـــــــال**



ما أجمل العودة الى طفولة الحياة ، وبدائيـــة المجتمع الانساني يوم نجتاح حياتنا غزوات الحضارة اصولا وفروعا ٠

ولعل المجتمع الاردني الريفي بما فيه من تراث شعبي ( فولكلور ) من أصدق المجتمعات تصويرا لطفولة الحياة وصدقها ٠ فنحن اذ نذكر عادات القوم في الخطبـة ، الزواج ، والمآتم ، وقضايا العرض والـــدم ، والقصاص والصلح ، والجرائم المتوسطة والجرائم الصغرى ، وما يترتب عليها ، نكون قد صورنا لدارس الحياة الاجتماعية في الجاهلية صدرالاسلام صورة قريبة من الواقع ٠

**مراسم الخطبة :**

كان القوم يسمون الخطبة ( الطلبـة ) وهـذه الطلبة تتم بجاهة ، والجاهة جماعة من الوجهاء يذهبون الى منزل الخطيبة ، وتمتنع الجاهة عادة من شرب القهوة ، الى أن يسمح لهم والد الفتاة أو ولي امرها بها ٠ ويسمون هذا السماح ( نطقا ) فيقولون « انطق لهم فيها » ٠ ولا تذهب الجاهة عادة الا بعد أن يكون قد فهم ان أهل الخطيبة موافقون على الخطبة والزواج ٠

من أجل هذا يحضر الخطابون معهم ما يلزم لعشاء الجاهة من ذبيحة ولوازمها • ويبدأ رئيس الجاهة الكلام مع والد الفتاة المرادة خطبتها أو ولي أمرها قائلا :

« جيناك طلابين، ومن عند الله ومن عندك ان شاء الله ما نرجع خايبين • »

فيجيبه والد الفتاة أو ولي أمرها قائلا :

« حياكم الله ، ما انتم مكروهين ، القمرا قدامكم ، والظلمة وراكم • »

* * *

وقد كان أهالي ( مأربا ) والبدو المجاورون لهم يقولون في مثل هذا الموقف : « ودنا مهره ، تاكل بيدها ، ما تاكل بفمها • » فيرد عليهم والد الخطيبة أو ولي أمرها بقوله :

« تراها جتكم عطية ، ما من وراها جزية • »

فيرد عليه رئيس الجاهة : « أنا أجزيك كذا من المال والماشية • » وهو المبلغ المتفق مهراً • وأحياناً يصرح والد الخطيبة أو ولي أمرها ان مهرها خمسمئة دينار أو ألف دينار مثلا ، فيتوسط الحاضرون طالبين منه أن يتنازل عن جانب من مطالبه اكراماً لله • واكراما للرسول ، واكراما للجاهة ، فيظل يتنازل الى أن يصل الى المبلغ المتعارف عليه ، أو المتفق عليه أصلا •

وقد كان اختلاط بين الخطيبين في القرى ممنوعا ، وكثيرا ما كانت الخطيبة تهرب من وجه خطيبها اذا التقت به في الطريق ، لئلا تعرض أهلها وعشيرتها الى قالة السوء •

وقد اتفق ان خطيبة رأت خطيبها على مائة وخمسين مترا (١٥٠) فلما لاحظت انه يريد أن يواجهها في الطريق ، صعدت السطح الذي في طريقها ، وقفزت عنه ، واصيبت برضوض ألزمتها الفراش أياما • ومن هنا ندرك سطوة التقاليد ، في أوساطنا الريفية او القريبة من الحياة الريفية • وهذا يذكرنا بقول الشاعر ( ذي الرمة ) :

« ولم يستطع الف لالف تحية      من الناس ، الا أن يسلم حاجبه »

* * *

أما اليوم فان الخطيبين يتجالسان بحرية تامة ، وينزهان معا ، كما هي الحال في أرقى المجتمعات •

وفي الخطبة تغني النساء عادة ، مادحات كرم والد الخطيبة كقولهن :

فــرش الـــديوان يابي فـــلان      والضيوف اعزاز كَن زاروا بيتك ..
فرش الديوان(١)

* * *

مشـل ارقاب الوز دلال ابو فلان　　من قرايا (غزه) جاب القهاوي[2]

* * *

لاحتزم واهتـم يا أبو فـلان　　من اتسلاع الـدم مطلع خويه[3]

## مراسم الزواج :

ذكرنا المراسم التي تسبق الخطبة وتتم في أثنـائها ، والان نذكر المراسم التي تتم في اثناء الزواج ، ففي ( مأربا )[4] وضواحيها يتم كل شيء في أثناء الخطبة ولا حاجة لاجراء مراسم قبل الزواج وحفلاته الخاصة الا باستئذان للبدء بجهاز العرس ، ومعنى هذا الاستئذان قطع الاعتراضات ·

أما في السلط ، فانه لابد من جاهة ثانية قبل الزواج وقبل اخراج العروس من بيت أهلها · تمتنع الجاهة من شرب القهوة الى أن يقول لهم والـد العروس أو ولي أمرها : « اشربوا قهوتـكم ، اللي جيتوا فيـه ابشروا بيه · » ·

والغرض من هذه الجاهة الثانية قطع اعتراضات أبنـاء العم الذين يحق لهم بحسب التقاليد الغاء كل اتفاق سابق ومن أمثالهم : « ابن عمها يطيحها من ظهر جملها » أي ابن عمها له الحق أن يلغي كل الاتفاقات ، الى حد ان له الحق أن ينزل العروس عن ظهر جملها بعد أن تكون مزفوفة لعريسها · ويسمون مثل هذا الاعتراض ( الفوال ) والفعل منها ( فول ) وهذا تحريف لقولهم رأي قائل ، أي ان ابن العم له الحق في أن يعتبر الاتفاقيات كلها حماقة يحق له أن يلغيها الا اذا تنازل بالسكوت وبعدم الاعتراض ·



## النصـة :

النصة هي نشر ملابس العريس والعروس على الحبال في ساحة الدار والغناء عندها ، والغرض من هذا الاعلان المبالغة في قطع اعتراضات أبنـاء العم · وقد استعيض عن النصة بعرض الملابس في غرفة خاصة قبل العرس ·

والنصـة تسبق العرس بسبعة أيام ، وقد كان الاثرياء ومقلدوهم يجعلونها أربعة عشر يوما ، وليس بخاف ما تحتاج اليه النصة من النفقات بالنسبة للموارد المحدودة وبالنظر لان القرية تشترك بالافراح · صحيح ان أهل العرس يحصلون على مساعدات ، ولكنها بمنزلة القرض عليهم ·

## القطـار :

تطلق كلمة قطار على جمهور من النساء والرجال يرتدون خير ماعندهم من الملابس ، يذهبون لاحضار العروس اذا كانت تقيم في بلد غير البلـد الذي يقيم فيه العريس ، أو في مخيم بعيد عن مضارب أهل العريس ، وفي القطار يردد القوم الاغاني ويطلقون العيارات النارية · واذا مروا بالقرب

من حي أو قرية وجب على أهل الحي أن يدعوا القطار لوليمة ، كثيرا ماتنشب معركة بين القطار وبين بعض الشبان ، الذين جرت التقاليد أن يرضوهم بذبيحة ، وكأنما هذه الذبيحة هي رشوة للشبان للتنازل عن حق الاولوية بالعروس . هذا اذا كان العريس ليس من عشيرة العروس ولا هو من بلدها .

**الفــاردة :ـ**

الكلمة مأخوذة من ( فرد ) أي عزل وفي اصطلاحهم اسم لجمهور من النساء يذهبن ومعهن الحناء لخضاب العروس بعد الاستحمام والتمشيط ، وقد جرت العادة أن تهرب العروس من وجه الفاردة لئلا يقال انها متهالكة على الزواج . لــكن نساء الفاردة ويقال لهن ( الفرادات ) يرغمنها على الاستحمام ، وقد يضربنها ، ويكون مع الفاردة كل ما يلزم لهن من طعام ، لئلا يخسر أهل العروس شيئا . وتسمى الذبيحة التي تأخذها الفاردة ، ذبيحة الحناء . ومن أغاني الفاردة في منطقة البلقاء :

| | |
|---|---|
| شرقوا تشريق يا اخوان فلانـــة | يطلقون الريق بـــاب السرايــا(٥) |
| حنطة منقية عيــال ( الفــلان ) | الخيل والرجليــة تحول عليهم(٦) |
| كلهــم قرايب يا شــوف عينــي | حماية الركايب يــوم ان ركبتوا(٧) |
| وارفعون اقــدامه لبيت أبو فلان | حولت قــدامه خيــل الأمــار(٨) |



**الترويــد :**

الترويد اسم يطلق على الاغاني التي تنشد عند جمل العروس وهو اسم جمع مفرده ترويدة وجمعها تراويد ، وهذه الاغاني لا تكون الا بعد أن يخاط ريش النعام على الشنبر وهو غطاء من الحرير الاحمر كان يوضع على رأس العروس ويوصل بحطة حرير حمراء يغطى بهــا وجه العروس . وعند ركوبها الجمل أو الفرس الى المصلى ، أو الى بيت العريس ، هذا لون من التراويد :

| | |
|---|---|
| جمل ( فلانـــة ) بالــوادي | حنينـــه قطـــع افوادي(٩) |
| جمل ( فلانـــة ) ينــاجونه | عن الغربـــة يردونـــه(١٠) |
| جمل ( فــلانة ) يا ضاحي | وعنـــده دق الارمـــاح(١١) |

وعنـــده ترخص اللحيــه

**السامر :**

الكلمة من سمر يسمر الفصحى ، لكنهم استعملوها لسهرة تسبق العرس ، فيها رقص وغناء يشترك فيها الرجال والنساء ، وتكون الراقصة

فيـــه سيدة من أبرع السيدات جمالا وأرشقهن حركة تدعى ( الحاشي ) وسميت كذلك لانها تكون في وسط حلقة الراقصين · بيدها سيف مصلت تدافع به عن نفسها ، لانه يحق لكل رجل في حلقة الرقص أن يلمسها · وتظهر براعتها وقيمتها في مقدار حمايتها نفسها من أيدي اللامسين ·

وتبدو مهارة ( الحاشي ) بتمكنها من النجـاة من أيدي اللامسين ، فاذا لمست عيرت بذلك وصاروا يسمونها الملموسة ، وعلى الرغم من كون كلمة الملموسة تطورت الى معنى المجنونة ، الا أن الاصل فيها هو هذا · وسمعنا من عير رجلا بقوله « يا ابن الملموسة » لهذا السبب ·

ويظل الراقصون يضيقون على ( الحاشي ) الحلقة وهي تدافع عن نفسها بالسيف، وهي غير مسؤولةاذا جرحت من مد يده اليها ولو قطعتها·

وتسمى الراقصـة التي تسبق الزواج في ( مأربا ) ( السحجة ) و ( السامر ) وفي ( السلط ) ( الصحجة ) وقلب السين صـادا معروف في اللغة العربية الفصحى ، وفي ( عجلون ) يسمونها ( الدحية ) ، ويسمون الذي ينظم القصيد الذي يغني في السامر ( القوال ) أو ( البداع ) ومن ذلك قولهم :

يا ولد دن لي الناشول ببداك الريم ولكنه فز (١٢)

فيرد عليه جمهور الراقصين :

يا هلا بـــك يا هـــلا يا خسـيفي يا ولد !(١٣)

وهذه اللازمة يرددها أهالي ( مأربا ) والبدو وأهل لواء ( البلقاء ) بعد كل بيت يقوله البداع · أما أهالي الكرك وضواحيها وأهالي (بئرالسبع) فيقولون أثر كل بيت يقوله البداع : « راحت تقول الرداح »(١٤) وبعضهم يقول : « راحت تقول نريده » أي نحبه · أما أهل ( عجلون ) وضواحيها فاللازمة عندهم بعد كل بيت يقول القوال « يوملحه »(١٥) ·

**العقـــد :**

يتم بحسب مقتضيات الشرع عند المسلمين ، ويتم في الكنيسة عندما يجلس كل من العريس والعروس على كرسي في الكنائس التي تسير على الطقس الغربي اما التي تتبع الطقس الشرقي فيعقد الزواج والعروسان وقوف ·

وعند الشرارات كان يتم الزواج بأن يجلس كم من العريس والعروس على حجر في البرية متقابلين فيقول

العريس ــ أنا قاعد ع حجر ·

العروس ــ وأنا قاعدة ع حجر ·

العريس ــ اسمع يارب البشر انت انثى وأنا لك ذكر ·

ثم يكسر العريس عودا ، دلالة على ان الاتفاق قد تم بين العروسين وان كل حاجز بينهما قد زال ، وان الشر قد تحطم • فيقول الشهود « الله وأكبر ، الله وأكبر ، الله وأكبر ، الله وأكبر » وهم لايكررون التكبيرة أربع مرات الا في حالة الزواج وعند دفن الميت ، كأنما هم يشيرون الى أن بدء الحياة وختامها شيء واحد •

سألت أحدهم وهو شيخ متقدم في السن ، لماذا لاتقولون الله أكبر ، كما يقول المسلمون ؟

أجاب : هداك الله حنا مسلمين لكن هم مدن وحنا بدو وربنا يقبل منا أحسن منهم » •

وبهذا يتم الزواج ، وعند بعض القبائل ، يذهب العريس والعروس معا ، وعند غروب الشمس ، تهرب العروس من الحي ، فيبحث عنها العريس الى أن يجدها ويردها الى البرزة(١٦) •

**المهاهاة :**

المهاهاة في اصطلاح الارادنة ، أغان يكرم بها العريس والعروس وأهلهما والحضور من الوجهاء أغان يذكر فيها اسم من يراد تكريمه والتنويه به ! •

من أغاني المهاهاة التي اكتسب اسمها هذا من كون كل بيت منها لابد من أن يبتدأ بكلمة ( آهيا ) •

آهيا : أشوف فلان وأشوف أربع جدايل سود
وأشـــوف كحل الغوى في عوينتــه ممدود !
يسلمك يا بي ( فلان ) يا نقال هالبارود(١٧)

**النقوط :**

في اصطلاحهم كلمة تطلق على الهدايا التي تقدم للعروس وللعريس ، وبعض هذه النقوطات تقدم ليلا بعد أن يأكل الحاضرون من ذبيحة الحلية التي يذبحها العريس قائلا ( حلي حللك الله ) • وبعضهم يقدم هذا النقوط صباحا عندما يدعى الى طعام الصبحة والصبحة طعام تصلحه أم العروس لبنتها وزوجها ، وهو عـــادة ارز وشعيرية عليهما سمن وسكر ، وبعض الامهات تقدم مع الصبحة الدجاج المشوي •

**القرى • الراس • والصابية :**

في النهار التالي ، يولم والد العريس الولائم ويدعو الوجهاء للقرى ، وقد كان العريس الموســر يذبح ما بين الخمسة عشر ذبيحة والعشرين ، بعضها من ماله الخاص ، وبعضها مساعدات من أقاربه ، هو مسؤول عن ردها في مناسبة مماثلة لهذه المناسبة • كما انه مسؤول عن اعادة النقوطات

الى أصحابها ، وفي حالة تخلفه عن الرد ، للمتبرع بالذبيحة أو بالنقوط أن يقاضيه عند القاضي العشائري صاحب الاختصاص فيحكم عليه بالرد ٠

وبعد ظهر النهار التالى لعقد الزواج ، يأخذ العريس وموكب من أصدقائه رأس الحلية ، وينصبونه هدفا تطلق عليه العيارات النارية ، فمن استطاع أن يصيب الرأس بعيار ناري يأخذه وتنهال عليه أغاني التكريم من الفتيات ٠ وكثير ما تحدث مشاكل اذا أصاب الرأس اثنان أو أكثر ٠

**الـزوارة :**

يسمون زيارة العروس لاهلها ( الزوارة ) على الاصل بلا اعلال ٠

بعد مضي سبعة أيام على عقد الزواج تذهب العروس لزيارة أهلها وكانت العادة أن تأخذ معها ذبيحة وما يلزم من ارز وسمن وجميد للغداء ( المنسف ) ٠

وتبيت عند أهلها ليلة وفي النهار التالى تعود الى بيت زوجها ، وقد حملت معها هدية تعرف ب ( الزوارة ) وكثيرا ما تكون هذه ( الزوارة ) قطعة أثاث ، لتكون مشهورة في الحي ٠

ونحن لم نتكلم على حمام العريس وحلاقته فان ذلك يسبق زفاف العريس بليلة ، يدعى فيها العريس عند أحد أصدقائه ، ويحتفل الشبان والشابات بهذه احتفالا خاصا ٠ ومن أغاني النساء في هذه الليلة قولهن :

زينه يا مزين تحت في التين   ميمته مسكينة وقلبها حزين

* * *

**المـأتم :ـ**

المأتم ، كل مجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح ٠ والجمع مآتم ٠ وعلى المعنى سنبحث عن الموضوع ٠

اذا توفيت المرأة اكتفى أقاربها بالسير في جنازتها ، وقبول التعازي فيها ، وهم في هذه الحالة يقولون ( الله يعوض عليكم ) ، وتقيم للمرأة المتوفاة مأتما سبعة أيام ٠ ويغلب أن يتقدم أقارب المرأة المتوفاة من زوجها ويقول له أحدهم وهو يعزيه ( ترى بنتي أو اختي جتك عطيه ما من وراها جزيه ٠ ) وتعرف هذه العطية بعطية الحفرة ٠

وفي بعض الاحيان يقف الزوج في قبر زوجته ، ولا يخرج منه الا اذا حضر أبوها او اخوها وقال له « عوضك الله عن مرتك بنتي فلانة اختها ، أو يقول اخوها الاكبر : عوضك الله عنها اختي فلانة ! »

أما اذا كان المتوفى طفلا أو طفلة ، فلا يقام لهما مأتم ، بل تقبل فيهما التعزية حالا ، وبعد تناول الطعام عند أحد الوجهاء ينصرف الرجال الى أعمالهم ، وتقيم النساء مأتما ، وهن في العادة يجمعن القهوة ، وما يلزم

لطعام النساء المجتمعات ، لان أهل الميت لا يجوز أن يخمروا العجين لمدة سبعة أيام ، لاعتقادهم أن تخمير العجين في مثل هذه الحالة ينشر المرض والموت في الاسرة ٠

وفي اجتماع النساء تتباكى النساء كل واحدة تتذكر موتاها ، ويجب على كل من تحضر أن تظهر حزنها ، وعلى قريبات الميت أن يبكين مع كل باكية ٠ ويدعى هذا الموقف ( المبكاة ) وصنيع النساء ( المباكاة ) ٠

وقد جرت العادة أن تذبح في ليلة دفن الميت ذبيحة ، تدعى ذبيحة القبر ، ويذبح الموسرون ذبيحة في اليوم الثالث ، وذبيحة في اليوم السابع ، ويصنعون طعاما في اليوم التاسع ، ويسمى الطعام الذي يصنعونه في اليوم الثالث « فكة الكفن » ٠

أما اذا كان الميت من الوجهاء ، فان العشيرة كلها تشترك في المأتم ، وقد تشترك العشائر التي تقدر الوجيه بمأتمه ، وكان المأتم يمتد أربعين يوما ٠ لكنهم اليوم حصروه في سبعة أيام ، فيجتمع الرجال في منزل والنساء في منزل ٠ وقد جرت العادة أن ينعي الوجيه أو الزعيم للاحياء المجاورة ، فاذا سمع بنعيه الوجهاء ( كفوا دلال القهوة ) أي دفقوا ما في أباريق القهوة على النار ، واطفأوها ، اشارة الى أن الرجول نكبت ، والزعامة خسرت ركنا من أركانها ، وان شرب القهوة الذي هو علامة من علامات مجالس الرجال ، أصبح حراما !

* * *

ويدعى أقارب هذا الزعيم لولائم تقام تكريما لذكر فقيدهم ، وتعزية لهم ، ويدعى معهم خلق كثير ، طول أيام المأتم ، ويغلب أن تكون هذه الولائم فرضا اجتماعيا لانهم يقولون : « طعمة الرجال على الرجال قرضه ، وعلى المستحقين احسان ٠ »

أما النساء فيقلن « كل شيء قرضـه ودين حتى دموع العين ٠ » وذبيحة القبر لازمة لا فرق فيها بين وجيه وغيره ، ويسميه بعضهم (الونيسة) وهذا الاسم معروف عند ( التعامرة ) عربان ( بيت لحم ) وضواحيها ٠ لكن الوجهاء والاثرياء يذبحون ذبائح على أربعين الميت وفي ذكراه السنوية ، ويدعون الناس للطعام ، وكثيرا ما يشترك الاقارب في تقديم الذبائح ٠

واذا كان الميت ذا منزلة اجتماعية رثته النساء باشعار رقيقة تعرف ب ( المعيد ) وكأنهم تصور ان موت العظيم اختلاس وتسميتهم هذا الرثاء بالمعيد ، فيه اشارة ولو بعيدة الى ذلك من المعيد :

علام الشمس ، واعطتني قفـاها ؟
حريمك ( فلان ) طلعت من خباها ! (١٨)
عـلام الشمس ، مصفرة حزينـة
ع بي ( فـلان ) ، يا ركن المدينة ! (١٩)

واذا كان المرثي ممن قتلوا في معركة ، واتهم بعض رفاقه بأنهم فروا من المعركة عيرتهم النساء في معيدهن ولقبنهم بالشردان وهو جمع شرود وهو احط لقب يمكن أن يوصم به رجل ومن ذلك قولهن :

اخسوا يا هيل الخيل الشردان        اخوات بقعه ، طلقوا النسوان
راية الشردان سـودا زامليـه        مقنمي الاسود وثوبي اللي عليه

وتواصل النساء المعيد على القتلى أربعين يوما ، استثارة لحمية الرجال للاخذ بالثار ٠

أما الحداد فانه خاص بالنساء ، الا اذا كان الميت قتيلا ، فيغلب أن يحرم أخوه أو المشهور من أقاربه بالشجاعة ، يحرم لبس العقال ، الى أن يأخذ بثأره ٠ لكن هذه العادة زالت اليوم ، ظل الحداد محصورا في النساء٠ وفي البادية تعلن المرأة حدادها بأن تتخذ رأسها عصابة بيضاء ، اشارة منها ان الرجولة بعد الفقيد ماتت ، انها لا عار عليهـا اذا تشبهت بالرجال في ملابسهم ، وقد تحد بعض النساء عمرها كله ، وتمشي حافية صيفا وشتاء لا تستحم ، ولا تمشط شعرها ، وقد رأينا امرأة لاحد الوجهاء قضت حياتها في أثواب الحداد على إبنها البكر ، وكانت تسير في الاسواق حافية صيفا وشتاء ٠

وفي أقوال النساء ( الهبلة تدعي الحداد لها شبلة ٠ )

أي ان المرأة الناقص عقلها تحتج بالحداد لاخفاء حماقتها ٠

وفي اليوم التـالي لدفن الميت ، يقـدم أهل الميت لقريباته ملابس الحداد ، وتطييبا لخاطر ام الميت وزوجه واخته وبناته ان كان له بنات يتقدم أجل الاقارب شأنا يقول « أنا جملكن » ويقبل رؤوسهن ٠ فترد عليه كبراهن سنا « ما نعدمك ! »

## قضايا العرض والدم :ــ القصاص ٠ شكليات الصلح :

لعل أشد ما يمكن أن تنشأ عنه المشاكل في هذه الديار قضايا :

أ ـــ العرض !

ب ـــ الدم !

وفي مأثور أقوالهم : « ألف اهانة للمال ولا اهانة للعيال ، وألف اهانه للعيال ولا اهانة للعرض ، وألف اهانة للعرض ولا اهانة للدين ٠ » ٠

ان الاعتداء على العرض من الجنايات الكبرى ولعل قتل العمد أخف من الاعتداء على الشرف في هذه الديار ٠ لانه يعتبر قتلا متعمدا لشرف المجني عليها ولشرف عشيرتها ٠

فالمعتدي على العرض يتعرض هو وعشـيرته الى الهجرة عن الديار وتنهب أمواله المنقولة ، وتدمر أمواله غير المنقولة ، لمـدة ثلاثة أيام تلت

اليوم ، المدة التي يسمونها ( فورة الدم ) • وفي هذه الحالة يسارع العقلاء لاخذ هدنة تعرف باسم ( عطوة المهربات المقربات • ) خوفا من أن يتعرض أهل الجاني للدمار • واذا كان من دنس عرضه وشرفه ذكرا كانت الجريمة أشد هولا وبشاعة •

* * *

فاذا وقعت الجريمة اسرع اهل الجاني الى الاستجارة بعشيرة قوية تحميهم من بطش المعتدى على شرفهم ، ولتحد من استمرارهم في التدمير ، لان العرف العشائرى يبيح لهم ان يهلكوا ما تصل اليه ايديهم من الاموال بلا مطالبة بتعويض ، ولهم ان يذبحوا من يجدونه من اقارب المعتدي الى الدرجة الخامسة بلا مسؤولية •

وهذا الذي ذكرناه بخصوص العرض ، هو نفسه يراعي في قضايا القتل ، سواء اكان القتل عمدا ام خطأ بقضاء وقدر ، ولا فرق عندهم في جسامة الجريمة بين الزنا الغصب والقتل العمد •

## الزنى بالرضى :

ذكر ما يترتب على جريمة الزنى بالغصب ، والان نذكر ان المرأة اذا زنت برضاها ، لايحق لاهلها المطالبة بتعويض الا اذا ذبحوها ، وفي هذه الحالة يحق لهم ان ينذروا شريكها في الجريمة اهله ، ويطلبوا منهم ان يقتلوا رجلهم فان قتلوه انتهى الامر ، والا كان لاهل المرأة المزني بها ان يطردوا أهل الرجل عشيرته ، كما لو انه قتل اربعة رجال • وفي حالة الصلح يطالب اهل الرجل الزاني الذى ذبحت شريكته في الجريمة ولم يذبح بدية اربعة رجال ! ••

## القتل ـ جريمة الدم :

القتل سواء اكان خطا ام عمدا يتعرض فيه اهل القاتل لما ذكرناه في قضية العرض تماما •

## الصلح في جرائم العرض وجرائم القتل :

ذكرنا قبل هذا ( العطوة ) الهدنة الاولى التي يسمونها ( عطوة المهربات المقربات ) وهي عطوة ثلاثة الايام والثلث ( فورة الدم ) التي يمكن فيها لاهل الجاني سواء كان معتديا على العرض ، او قاتلا ، ان يهربوا بأموالهم عن وجه المعتدى عليهم • وفي هذه الاثناء يرتحل اهل الجاني ويستجيرون بعشيرة قادرة على حمايتهم • ويحاول زعيم العشيرة المجيرة ان يقنع المعتدى على شرفهم او اهل القتيل ان يقبلوا ( المعادد ) وهو تعيين درجة قرابة كل فرد من افراد عشيرة الجاني ، وعندما يتمكن الزعيم من اقناع اهل المرأة

المعتدى على شرفها او اهل القتيل بذلك ، يعينون يوما للاجتماع ، لبيـــان درجة القرابة، وفي اليوم المعين يجتمع ممثلون عن القوم ببيت الزعيم الساعي في الصلح ، ويسمى هذا اليوم بـ ( الميجال ) ، ويحضرون معهم نســابة يحلفونه اليمين بانه لايقول الا الحق ٠

فيقبض النسابة خنجرا بأصابعه الخمس ، ويشهر الخنجر رمزا الى ان اهل المعتدى عليها او اهل القتيل لهم الحق ان يذبحوا كل قريب لمرتكب الجريمة الى الدرجة الخامسة ٠ اما الذين في الدرجة الخامسة فلا يحق لاحد ان يتعرض باذى ٠ اما الذين هم في الدرجة الخامسة فيدفعون غرامة تعرف (ببعير النوم ) وبعير النوم هذا في الاصل جمل عمره سنتان ، وان تعذر احضار جمل يدفع عنه خمسمائة غرش ، وهذه صورة توضح ما نحن في سبيله :

ماجـــد

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| محمد | ١ | ناهد | ١ | علي | ١ |
| عامر | ٢ | خالد | ٢ | زايد | ٢ |
| نايل | ٣ | هايل | ٣ | مرزوق | ٣ |
| حامد | ٤ | عمر | ٤ | طالب | ٤ |
| خليل | ٥ | سليم | ٥ | محمود | ٥ |



١ ــ فالذين هم من رقم واحد اذا ذكرهم النسابة رفع اصبعه الخنصـر واردف قائلا « ذبحهم حلال » ٠

٢ ــ والذين هم من رقم اثنين اذا ذكرهم النسابة رفع اصبعه البنصـر واردف قائلا والدرجة الثانية ذبحهم حلال ٠

٣ ــ والذين هم من رقم ثلاثة اذا ذكرهم النسابة رفع الوسطى وقـال: « والدرجة الثالثة ذبحهم حلال » ٠

٤ ــ والذين يجيئون تحت الرقم الرابع اذا ذكرهم النسابة رفع اصبعه السبابة وقال الدرجة الرابعة يحظون بعير النوم وينامون اشارة الى

ان الخنجر المقبوض عليه بالسبابة والابهام لايصلح ان يذبح بـه احد ٠

٥ ـ واذا ذكر النسابة الذين هم في الرقم الخامس رفع اصبعه الابهـام عندئذ يسقط الخنجر دلالة على ان مطاردة من هم في الدرجة الخامسة سقطت طبيعيا ، ولهم ان يعودوا الى منازلهم ولا يحق لاحد انيتعرض لهم بسوء ولا لابنائهم !.٠

**العطوة العمومية :**

بعد المعاددة يحاول الوجهاء ان يحصلوا من اهل العرض المعتدى عليه، او من اهل القتيل على هدنة ( تعرف بالعطوة العمومية ) ٠ وتذهب جاهة الى بيت وجيه العشيرة المعتدى عليها ، تمتنع الجاهة من شرب القهوة ، ومن تناول الطعام ، الى ان يسمح لهم بالعطوة العامة للجاني ولاقاربه جميعا ، ويعينون لهذه العطوة مدة معينة ، ويكفل على ذلك كفلاء ، وفي اثناء (العطوة العمومية) يحاول الداعي الى الخير والسلام اقناع العشيرة المعتدى عليها ان تقبل الصلح ، فاذا قبلت ارسلت جاهة ثانية من الزعماء للحصول على هدنة تدعى ( عطوة الاقبال ) ومعنى عطوة الاقبال ان القوم قد اسقطوا حقهـم في الثأر ضمنا ، وقبلوا بالصلح عن الاعتداء على الشرف ، وبالدية عـن القتيل ٠ اما اذا رفض القوم ان يسمحوا بعطوة الاقبال ، فان الجـاهة تمدد مدة العطوة العمومية الى ان يتمكنوا من اخذ عطوة الاقبال ٠ ومـن المعلوم ان كل عطوة يدفع نظيرها مبلغ من المال يقتطع من اصل الدية عند فرضها ٠

**شكليات الصلح في قضايا العرض والدم :**

بعد ان يتمكن العقلاء من تمهيد السبيل الى الصلح ، يبذل اقـارب المطارد بالاعتداء على الشرف ، او المطالب بالدم جهدهم في اقناع اكبر عدد من الوجهاء ، وذوى المكانة في العشيرة ، وفي غيرها من العشائر الموالية لهم للسير مع جاهة الصلح ٠

ويرجو اهل المعتدى على العرض أو أهل القاتل احد الزعماء المشهورين بحسن الطالع ويمن النقيبة الذى يسمونهم ( اهل البخت ) و ( اهل الحظ ) ان يعيرهم بيته ( خيمته الشعر ) تفاؤلا وتيمنا بحسن طالعه ، فبعـد ان يسمح لهم ببيته ، يحمله اهل المعتدى على العرض او اهل القاتل سرا ، وينقله رجال لا علاقة لهم بالجريمة ، وينصبونه قبل طلوع الفجر خفيـة وراء بيت اهل المعتدى عليها او اهل القتيل ، ويجهزون كل ما هو ضرورى للجاهة من طعام ٠

فاذا طلعت الشمس ورأى القوم الخيمة جمعوا عقلاء رجالهم واهـل الرأي فيهم ، واستعدوا للبحث في أمر الصلح ٠ وعند الضحى يحضـر

الوجهاء الذين تتألف منهم الجاهة للصلح النهائي ، ومعهم بضع عقائل النساء ، وقد تحضر معهن امرأة احد الزعماء ، للاستفادة من جاهها عند طلب التنازل عن قسم من المطاليب . وعند حضور هذه الجاهة ، والعقائل يسير في مقدمة الجاهة كفيل ( عطوة الاقبال ) ، دلالة على انه مستعد لحماية الجاني واهله ، سواء اتم الصلح ام لم يتم . ويحل هؤلاء جميعا في الخيمة التي تصبت ، ويعد اهل الجاني كل ما تحتاج اليه هذه الوفود من لوازم القرى من ذبائح وارز وسمن وسكر ، ودخان وقهوة ، ويعدون كل الملابس التي جرت العادة ان تقدم لاهل المعتدى عليها او لاهل القتيل . وهي عادة مجموعة من العبي جمع عباءة . وبعد ذلك يتولى اكبر الوجهاء سنا مفاوضة اهل المعتدى عليها او اهل القتيل بشأن الصلح ، ويستدعى اقارب المعتدى عليها او أهل القتيل الى خيمة الصلح هذه ، وعند حضورهم يقف الزعيم المفاوض بالصلح في وسط الخيمة ، ويأمر اكبر اقارب الجاني ان يتجه الى اقرب رجل اليه من اقارب القتيل او المعتدى عليها ، ويلتمس منه الصلح، للحال ينهض الذى طلب منه الصلح ويضع عقاله في عنق طالب الصلح ، وبيده خنجر منتضي من غمده ، ويركع طالب الصلح بين يدى من طلب منه الصلح نصف ركعة ، ويدفع له طرف العقال الذى في عنقه ، ويدفع له الخنجر قائلا : « اقر واعترف مع اقرار (فلان) اني انا الجاني وان (فلان) زلمتكم عندي وهذا سلاحي بيدك ، وروحي بيدك ، ان اردت تأخذ حقك اخذت ، وان حجبت روحي ببياض العرض الي تفرضه او بالدية الي تفرضها القول قولك . »

* * *

وقد جرت العادة ان يمسك قريب المجني عليها او قريب القتيل العقال ويلويه على عنق قريب الجاني وهو يقول ثلاث مرات بصوت عال :

« عينت فلان من هو قتاله ؟ »

فيجيب قريب القاتل ( فلان عندي بين سحري ونحري وانا قتلته ) وكلما اقر مرة وسع عقدة العقال .

لكن في قضايا العرض يلجأون الى الكناية فيقول السائل :

« المهرة الاصيل ، عينت الي خلى ثوبها قدايد ، ومخانقها بدايد ؟ » ، اى هل عرفت الذى مزق ثوبها وهي تدافع عن شرفها وبدد عقدها »

وهو يجيب : « عندي علم بالقصور النكور »

وينتخب المطالبون بالدم والعرض احد حلين :

١ ـ الحل الاول ـ ان يتسامحوا بحقهم ويعرف هذا بـ ( الشومة ) وفي هذه الحالة يقابل المطالبون الشومة بشومة ( الشيمة بشيمة ) وهي ان تعطى احدى قريبات الجاني لا قرب قريب للمجني عليها او عليه ،فتكون المصاهرة عربونا للصلح .

٢ ـ الحل الثاني وهو مطالب باهظة للصلح في قضايا العرض او الدية في قضايا الدم ، وفي حالة الحل الثاني يقول المسك بالعقال مايلي :

أ ـ عندك بنت فلان من عشيرتكم ( غره مدى ) لفلان · او ( غرة صلحة عن فلان ) فيجيب « عندي »

ب ـ عندك الارض الفلانية ( طلبة ) ؟

فيجيب ، عندي

ج ـ عندك الف ليرة ذهب ؟

فيجيب ، عندي

د ـ عندك مائة ناقة ؟

فيجيب ، عندي

هـ ـ عندك مائة فرس ؟

فيجيب ، عندي

و ـ عندك مائة فدان بقر ؟

الى آخر هذه الطلبات ·

اما في قضايا العرض تذكر كل المطالب بيضا كناية عن بياض العرض والشرف ، لذلك يقول : عندك خمسة الاف مجيدي عن فيجيب عندى · وكذلك في كل المطاليب الخاصة بالعرض ·

وعندما يتمم الممسك بالعقال طلباته ، التى تقبل كلها ، يقول لنائب المعتدى ، او نائب القاتل : « اعفيك من مائة فدان من البقر ـ مثلا ـ قم · وهو يبدأ بالاعفاء عادة من اخر الطلبات متدرجا الى الطلبات الاولى » ·

ينهض نائب المعتدي او القاتل وهو يقول : « لقد كنت افضل ان اعفى من مائة الناقة » ـ مثلا ـ · وقبل ان يقعد في مكانه يقول للذى فرض عليه القصاص او الدية ، قومتني بمائة فدان وبأي شيء تقعدني ؟

فيرد عليه بقوله اقعدك بمسامحتك بالخيل مثلا ·

وبعد ان يعود نائب المعتدي او القاتل الى مكانه يشكر زعيم الجاهة اهل المعتدى عليها او القتيل على اريحيتهم ، وتنازلهم عن حقهم في اخذ الثأر وقبولهم الصلح ، ثم يطلب منهم ان يتسامحوا بقسم مما طلبوه اكراما لله ·

فيرد عليه وجيه العشيرة المعتدى عليها انه يتسامح بشيء آخر مما طلبه وكيلهم في الصلح اكراما لله ·

ثم يتولى الكلام زعيم الجاهة او من يليه سنا ومقاما فيقول :

« واكراما للنبي عليه الصلاة والسلام ويش تفوت ؟ » ـ اي عن اي

شيء تتنازل فيجيب ( اكراما للنبي عليه الصلاة والسلام افوت كذا )
ثم يقول زعيم الجاهة : « واكراما لخاطرى وش تفوت ؟ »
فيتنازل عن شيء مما طلب .

ثم كل وجيه معروف المنزلة ان يتسامح المعتدى عليهم بشيء اكراما لخاطره ، ويظلون يتنازلون ، الى ان يعلنوا انه لاسبيل الى التنازل عن شيء ، وان الصلح قد تم على المبلغ الفلانى .

* * *

وفي هذه اللحظة يطلب نائب المعتدى او نائب القاتل كفيلا يكفل تنفيذ الشروط التي صولح عليها ، ويسمى هذا الكفيل ( كفيل الرفا ) ويطلب الذين قبلوا الصلح ، وتنازلوا عن حقهم في الثأر او المطاردة العنفية كفيلا يكفل دفع المبالغ المتفق عليها ، ويسمى هذا الكفيل ( كفيل الوفا ).

وبعد ان يسمى الكفلاء ويتم الصلح ينهض كبير العشيرة المطاردة ويرفع راية بيضاء رمزا لشكره لاهل المعتدى عليها او لاهل القتيل ، ويسلم هذه الراية لكفيل الرفا ، وبعد ان يتسلم كفيل الرفا هذه الراية يعلن التزامه بحماية المعتدى وعشيرته ، وهذا بدوره يسلم الراية لكفيل الوفا الذى يصرح بانه مستعد لدفع كل ما اتفق عليه حين الصلح .

* * *



وفي هذه الاثناء يأمر رئيس ( المجال ) ان تدار القهوة التى اعدها اقارب المعتدى ، وعندما يتناول كل وجيه فنجانه يتوقف الجميع عن شرب القهوة طالبين التسامح بشيء من المبلغ الذى تم الصلح عليه اكراما لقهوة اجاويد الله ، فيتسامحون ، وعند ذلك يحضر اقارب المعتدى او القاتل الملابس التي اعدوها ، ويقدمونها لاهل المعتدى عليها او القتيل . ويذبح اهل الجاني الذبائح ، ويهيئون الطعام ، ويقدمونه للجميع ، وبعد تناول الطعام تنهض عقيلة النساء طالبة التنازل عن جانب مما تم عليه الصلح اكراما لها ولرفيقاتها . وعند هدم بيت الشعر يقول احد الوجهاء ( بيت فلان صاحب البخت بأي شيء تودعونه ؟ )

فيتنازل القوم عن جانب مما بقى من طلباتهم اكراما للبيت ، وهنا تبدو لنا الحكمة فى طلباتهم المبالغ فيها وكيف انها تتسرب كلها من بين ايديهم كما يقول ايطاليون ( كطحنة الشيطان التي تصبح كلها غبارا ) .

اما الباقي فلا يتنازلون عن شيء منه ، ويعلنون انهم لايمكن ان يتنازلوا عن ( غرة المدي ) وينصرف القوم شاكرين وقد رفعوا راية بيضاء يظهرونها عند كل عشيرة يمرون بها في طريقهم ومن اقوالهم المأثورة « فلان غز رايته ومحا سايته »

أى انه نصب رايته البيضاء وانهى مشاكله ومحا اساءته .

* * *

بقي لنا ان نعرف عن مصير ( غرة المدى فانها تبقى عرضة للاهانة كلما تذكرت النساء جريمة أهلها وما اكثر ماتذكر النساء هذه الجريمة في مجتمع لا عمل فيه • فاذا ارادوا ان يضربوا المثل بذل امرأة ومهانتها قالوا ( اي هي غرة مدى ) • ومن الغريب ان أهلها لا يستطيعون الانتصار لها او تطليقها من زوجها الا اذا انجبت اولادا وحموها من الاهانة والذل او اذا قرر القاضي أن الولد الذي انجبته ( غرة المدى ) يسد مسد الرجل المقتول او انه يصلح ان يكون تعويضا عن الاهانة التي لحقت بالعشيرة • وانه ينتظر منه ان يرفع من شأن القبيلة • عندئذ يرغم زوج ( غرة المدى ) او ( غرة الصلحة ) ان يطلقها •

## دفع الصلحة • ودفع الدية :

يدفع الجاني في قضايا القتل والاعتداء على العرض ( غرة المدى او غرة الصلحة ) وحده • و ( الطلبة ) وثلث المبلغ المتفق عليه • ويوزع مابقى على افراد عشيرة الجاني الذكور الاحياء من حين وقوع الحادث ، الى يوم الصلح ، حتى الذكور الذين يولدون مابين الحادث والصلح يغرمون حصصهم الى الجد الخامس •

وتوزع الدية او الترضية على الاقارب على هذا الوجه — غرة المدى او غرة الصلحة — لاقرب اقرباء القتيل او المعتدى عليها ، ولاقرب الاقرباء ثلث المبلغ المصطلح عليه ، وما بقى يوزع على الاقارب بالتساوى الى الجد الخامس لان الغنم بالغرم •



## الشراوة :

الشراوة اصطلاح يشبه الولاء قديما ، فقد يتم الصلح احيانا بان يقول المعتدى عليهم لاهل المعتدي ( ما نريد حلالك ولا حالك ولا مالك احنا شارينك شراوة ) ومعنى هذا ان الجاني عشيرة يصبحون في حكم الموالى ، وهم مكلفون ان يشاركوا الذين اشتروهم في كل غرامة الى يوم الدين حتى الجد الخامس من المعتدين ونسلهم ، بينما هم لايحق لهم ان يطلبوا المساعدة ممن اشتروهم في حال لكن هذا النوع من المصالحة لايكاد يقبله احد لانه يحول القوم شبه اقنان !••

## جرائم تعتبر في حكم الجناية وقصاص كل منها :

١ — الخطف وجرمه كجرم القتل ولو كان الخطف تم برضى المرأة المخطوفة •

٢ — تعطيل العضو تعطيلا نهائيا كاليد والرجل ، ديتهما نصف دية الانسان •

٣ ـ الاعتداء على المستجير ـ الدخيل ـ تعتبر جريمة المعتدي مثل جريمة القتل ٠

٤ ـ الاعتداء على رفيق الطريق ـ الخوي ـ من الجنايات عندهم ٠

٥ ـ الاعتداء على الناصي ، وهو الذي قدم من بلاد بعيدة معلنا انه يريد ان يستجدي رجلا معروفا نصاً ٠ ومن امثالهم ( ما خاب الا من خاب ناصيه ، وما خاب الا من خاب عاشمه ٠ )

٦ ـ تقطيع الوجه ، وهو الاعتداء على انسان مكفول ، كما لو ان رجلا اعتدى على جان تم الصلح على جنايته وكفله كفيل رفا مثلا او ان رجلا مطاردا قال اشهدوا انا بوجه ( فلان ) واعتدى عليه في هذه الحالة فان الاعتداء عليه يعد جناية تحتاج الى شكليات مثل شكليات الاعتداء على العرض ٠

**جرائم متوسطة ، تقابل ما هو معروف في قانون الجزاء بالجنحة :**

١ ـ الطعن في العرض ، ويحكم الطاعن في العرض بمبلغ ضخم من المال مع الاعتذار علنا ٠

٢ ـ نتف اللحية او الشارب ـ وهو كالطعن فى العرض ولاسيما اذا وقع الاعتداء على وجيه ٠

٣ ـ اطلاق الرصاص المقصود به القتل وان لم يصب الهدف ٠

٤ ـ الاعتداء على رجل في بيت رجل آخر ٠



**جرائم خفيفة ـ تقابل القباحة في قانون الجزاء :**

١ ـ الشتم بكل انواعه حكمه الاعتذار والترضية بمنديل أو نحوه مالم تنشأ عنه مخاصمة ٠

٢ ـ الذم اذا وقع في غياب انسان وحكمه الاعتذار والترضية اذا علم المذموم بذلك ٠

٣ ـ الضرب بعصا أو بحجر أو باليد ضربا لم ينجم عنه جرح حقه الترضية ٠

٤ ـ البصق في الوجه أو فرق اللحية والبصق فيها حقه الترضية ٠

٥ ـ ( العداية ) نهب مال الغير لاكرام الضيف حقه اعادة مثيل المنهوب واذا كان ليس الغرض منه اكرام الضيف يغرم الناهب أربعة أمثال المنهوب ٠

**الاغتيال : ويدعى في لغة الارادنة ( الغولة ) :**

الاغتيال وهو القتل عمدا مع اخفاء جثمان القتيل ، يدفع فيه دية أربعة رجال ٠

## مسؤولية صاحب السلاح الذي ترتكب فيه الجريمة :

١ ـ اذا استعمل الجاني سلاحا لغيره ، وصاحب السلاح يعلم ان الغرض من استعارة سلاحه القتل ، أو أخذ الثأر ، يصادر سلاحه بلا تعويض ، ويغرم ربع غرامة مستعمله ٠

٢ ـ اذا استعمل الجاني سلاحا لغيره ، وادعى مستعير السلاح انه يريد المحافظة به على نفسه ، يحلف صاحب السلاح انه أعار سلاحه بنية المحافظة على النفس ويصادر سلاحه ويغرم المستعير ثمنه ، ويعفى صاحب السلاح من المسؤولية ٠

٣ ـ اذا أخذ الجاني سلاحا لغيره ، بلا علم صاحب السلاح وارتكب فيه جريمة يصادر السلاح ويغرم الجاني ثمنه ، ويدفع ترضية لصاحب السلاح لا تقل عن نصف قيمة السلاح ، لأنه عرضه لقالة السوء ٠

٤ ـ اذا نهب الجاني سلاحا من صاحبه أو أرغمه لكونه أضعف منه ، وارتكب بالسلاح جناية يحلف صاحب السلاح ان الجاني نهب سلاحه أو أرغمه على ذلك عندئذ يعفى صاحب السلاح من المسؤولية يغرم الجاني ثمن السلاح ومثلي ثمن السلاح وترضية لصاحبه ٠

## مسؤولية المرأة الجانية :

اذا ارتكبت المرأة جريمة من الجرائم ، كانت المسؤولية على اقاربها الى الدرجة الخامسة ، ولا يسأل زوجها ولا أولادها عن جنايتها ٠ وفي أقوالهم : « المرة خيرها لجوزها ، وشرها على أهلها ٠ »

## دية المرأة :

اذا قتل أحد امرأة فهو مسؤول عن جريمة قتل أربعة رجال ، واذا كان قد قتلها لتدنيس عرضها وماتت وهي تدافع عن نفسها فيدفع دية ثمانية رجال ٠ واذا قتلت امرأة حامل كان القاتل مسؤولا عن دية أربع أنفس عن المرأة ، ودية حملها كانه رجل تام الرجولة ٠

* * *

هذه الملمة تعرضنا فيها لبعض التقاليد والعادات الأردنية وبعض الحقوق العشائرية ، وغرضنا منها تسجيل هذه الامور قبل أن تأتي عليها المدنية ، خدمة للتاريخ ٠

## مراجع البحث

(١) المعجم الأردني : ثلاثة أجزاء مخطوط ـ تأليف العزيزي
(٢) أدب البادية الاردنية : مخطوط ـ تأليف العزيزي

(٣) صفحات من التاريخ الاردني ومن حياة البادية ـ هاربا وضواحيها مطبوع في مطبعة الآباء الفرنسيين ـ القدس سنة ١٩٦١ ـ تأليف الأب جورج سابا • روكس بن زائد العزيزي •

(٤) تعليقات على ديوان سالم ـ مخطوط

(٥) مذكرات في تريخ ماربا ـ مخطوط •

(٦) كتب ورسائل شخصية

---

(١) افرش غرفة الاستقبال ، يا ابا فلان ، لان الضيوف الذين يزورونك ضيوف أعزة •

(٢) اباريق القهوة عند ابي فلان انحناءات أفواهها ، تشبه في جمالها رقاب الاوز • قد احضر والد الخطيبة القهوة اللازمة لهذه الاباريق من قرى ( غزة ) •

(٣) الممدوح هذا رجل مشهور بالفروسية والبطولة ، كل ذلك يضاف الى كرمه وطيب عنصره • فهو اذا اهتم للامر ، تمنطق بسلاحه ، قادر على الاجتياز برفيقه من مواطن الخوف التي تدعى تلاع الدم ـ لكثرة الذين قتلهم فيها قطاع الطرق ـ فهو رجل مشهور بالفروسية هو بمفرده يغني عن جيش •

(٤) كان المهر في ماربا غير محدد ولما انتهت الحرب الكونية الاولى اجتمع وجهاء طائفة اللاتين وقرروا ان يكون المهر اربعين ليرة فرنسية أي نحو ثلاثين جنيها مصريا ( باشراف الخوري زكريا الشوملي ) • وكان والدنا يرحمه قد اقترح الغاء المهر البتة • ومع الايام زال المهر من ماربا كلها •

(٥) شرفوا شرفنا يا اخوة العروس فلانة • انهم يزيلون غصة الملهوف في أبواب المحاكم •

(٦) وكلهم ابناء عشيرة وهم خلاصة الخلاصة في الشرف كانهم الحنطة المنقاة وهم حماة للجيوش عندما يركبون خيولهم • وضيوفهم من كل الطبقات فرسان وراجلين •

(٧) جميعهم اقرباء تشتاق العين لرؤيتهم ، وهم يحمون الركائب اذا ركبوا • نلاحظ هنا ان المغنيات استعملن الالتفات من الغائب الى المخاطب وهو سر من اسرار اللغة العربية ••

(٨) شرعوا اروقة ابي فلان الزعيم لان ضيوفه من الامراء •

(٩) جمل فلانة في الوادي حزين لقرب فراقها للحي ، وحنينه المحزن مزق قلبي •

(١٠) أقارب العروس يناجون جملها الحزين لكي يردوه عن الاغتراب فهم لا يسمحون بزواجها من غريب •

(١١) جمل فلانة العروس الواقف في الشمس ، والرماح يصدم بعضها بعضا لحمايتها ، وكل فارس يريد أن تكون حليلة له ، وترخص في سبيل المحافظة عليها وعلى جملها لحى العظماء من الرجال وقد سمي الرجل العظيم لحية من قبيل المجاز المرسل لتعظيم قيمة اللحية عندهم حتى قال شاعرهم :

تمنيت للاجواد تنبت لحاهم        والانذال ما ينبت الا قليلها

وقال الشاعر مخاطبا معاوية بن ابي سفيان مهددا :

معاوي ان لم تعطنا الحق تحترم        لحى الازد مشدودا عليها العمائم

وقولته تمنيت للاجواد ـ أي اسأل ان يغزر الشعر في لحى الاجواد اما الانذال فلتحرم لحاهم الشعر •

(١٢) قرب لي الجمل المروض الذي يشبه الريم اذا قفز •

(١٣) أهلا بك ثم أهلا يا صديقي المخلص المستقيم في محبته ووداده •

(١٤) الرداح كتبة الخيل أي انتدبوا للحرب من اجل المحافظة على هذه العروس الجميلة التي يثير جمالها الفتنة بين القبائل .

(١٥) تحريف لقولهم ها هو ذا قد لاح ! .

(١٦) البرزة خيمة صغيرة تنصب في وسط الحي لاقامة العروسين أيام العرس التي تمتد من ثلاث ليال الى سبع ليال .

(١٧) أي انتبهوا ايها الغافلون ، اني أشاهد ابا فلان . وأشاهد على كتفيه اربع جدايل من شعره سودا . وأشاهد كحل العظمة الذي يسحر النساء ممتدا في عينه المحبوبة . وقد صغرت العين للتحبب . سلمك الله يا ابا فلان يا من خلقت فارسا محاربا بفطرته وهو دائما يحمل البندقية .

(١٨) ما للشمس خلفتني وراءها ؟ ما للنسا خرجن من خبائهن ! ..

(١٩) ما للشمس مصفرة حزنا ؟ ان اصفرارها حزنها على ابي فلان الذى هو ركن المدينة ! ..



# قالت لي

منير الذويب

قالت سأوصد باب قلبي دون الذي يغري ويسبي
دون العيون الناعسات قد رعتها سود هدب
دون ابتسامات الشفاه الحمر تصرع كل لب
دون اللقاء ودون همس الحب من بعد وقرب
دون الاكف وفي حرارة لمسها الشوق الملبي
دون الحديث عن الجمال ودون خلان وصحب
قالت سأوصده واعلن هدنة من بعد حرب
كم ذقت من نكد بساحتها ومن هول وخطب
فلقد رأيت المعجبين وهمهم في الحسب نهبي
ووجدتهم سراق عاطفة وعشاقا لسلبي
حتى الذين محضتهم ودي وبحت لهم بحبي
لم يسبروا غوري ولم يتحسسوا بهواي أو بي
قالت سأوصد بابه وأصده عما سيصبي
عن سانحات الفكر حين تلوح لي في كل درب
عن مر اشجاني وآهاتي ٠٠ وآلامي وكربي
عن ليل سهد يا لطول عتابه لعتاب شهب
عن زفرة الدنف المعذب عن صبابة كل صب
حتى اعيش كما يعيش الآخرون بغير قلب
وارى الحياة كما يظن الناس من أكل وشرب

# اللغة
## الموضوع وبعض المشاكل الأخرى في المدرسة الحديثة في النقد

بقلم
**جون هولوي**

ترجمة : عبد الوهاب الوكيل

كان حديثي السابق يدور حول الثورة في النقد الادبي تلك الثورة التي بلغت أوجها ، والتي أقامت عهدا جديدا ، هو عهد القراءة الدقيقة للنص ، والنقد التطبيقي والنسج اللغوي ولكني تحدثت بشيء من التفصيل عن النقد التطبيقي حتى عندما يتناول هذا النقد مقطعا صغيرا أو قصيدة قصيرة . ولكن المشكلة الان تتلخص في معرفة المدى الذي يمكننا فيه هذا الاسلوب الجديد من مناقشة ليس المقطوعة القصيرة أو القصيدة فحسب ، بل العمل الادبي المطول كالرواية أو المسرحية الكاملة . ان النظام الجديد هذا يمدنا بمفهومين رئيسين في هـذا المجال ، المفهوم الاول ، هو فكرة ( الصور الشعرية ) أو ( زخرف الصور الشعرية ) وذلك على الاقل كجزء رئيسي من النسج اللغوي بصورة عامة أما الثاني فهو ( الموضـوع ) وفي رأيي ان هذه الكلمة سبب البلاء الحقيقي الذي بلينا به في الوقت الحاضر. وقبل أن أتنـاول بحث هذه النقطة ، اريد أن أتحدث قليـلا عن الصور الشعرية .

يعتمد النقد الحديث في هذا الخصوص على مذهبين متناقضين الاول هو ان النقد الحقيقي يجب أن يقوم على الاستجابة للعمل الادبي ككل . أي أن لا يقتصر على براعة الحيلة ، أو أي شيء مجرد آخر ، بل يتناول العمل الادبي كوحدة لا تتجزأ . وليس هنالك ما يؤاخذ هذا المبدأ عليه . فقد زاد دون شك من العمق التصوري لقابليتنا على التفهم والنقد . ويجب أن يكون نكوصنا عنه آخر عمل نقدم عليه . ولكن يبـدو لي ان بعض النقاد ما أن يلمحوا بهذه الفكرة الواسعة حتى يسدلوا الستار عليهـا فيميلوا نحو مبدأ آخر في النقد هو أضيق كثيرا من الاول حتى يكاد يعارضه ويناقضه ومع انهم لا يرفضون صراحة فكرة الاستجابة الكلية ولكنهم في الواقع يستنكرونها دون وعي منهم ، فقد كتب المستر ( ريمند ويليمز )

في كتابه ( فن المسرحية : من ابسن حتى اليوت ) في موضوع استجابتنا للعمل الفني في كليته يقول :

( ان الادب بمفهومه العام هو وسيلة لايصال التجربة الخيالية عن طريق تنظيم كتابي معين للكلمات .... وهو نتاج يخضع لحل المؤلف وسيطرته ، تلك السيطرة التي تتم ممارستها بطريق فرضها على التنظيم النهائي للكلمات .. ) .

## دراسة اللغة :

ويأتي بعد ذلك دور الاستاذ ( ال . سي . نايت ) في مقال مهم نشره عام ١٩٣٣ وهو يمثل مرحلة انطلاق الحركة الجديدة اذ يقول :

( ان الاستجابةالمجملة للمسرحية لايمكن الحصول عليها..وباختصار الا بالدراسة الدقيقة المرهفة للغة شكسبير ) ...

وها نحن وجها لوجه أمام مبدأ النسج اللغوي . ولا يسعني الا أن اسلم به كل التسليم . بيد أن المشكلة تنحصر في ما يأتي : هل ان هذه الطريقـــة ( أي دراسة اللغة ) تعني صرف النظر عن الجوانب الاخرى للمسرحية ؟ أم انها تعني ان هناك أشياء غير مهمة اخرى ذات أهمية خاصة؟ ان الامر غير ذلك طبعا . اذ لا يوجد أي شيء في المسرحية مطلقا ( بما في ذلك الحبكة وتصوير الشخصيات بل وحتى انوثة بطلات شكسبير يمكن دراسته جيدا بطريق آخر غير دراسة اللغة المسرحية . فليس هناك أية دراسة غـــيرها ، فمهما يكن الجانب الذي نتناول دراسته في المسرحية ( سواء كان ذا علاقة بالنقد الصحيح أم لم يكن ) فانه مرتبط باللغة . فاذا ما درسنا اللغة دراسة مشوشة يكتنفها الغموض ، فأن النتائج التي سنتوصل اليها ستكون مشوشة وغامضة أيضا . وهكذا فان المبدأ العام لم يعطنا الدليل الكافي عما هو مهم في المسرحية ، بل هو يترك المسائل معلقة . اذ انه في الحقيقة بديهية من البديهيات الشائعة .

بيد أن النقاد وضعوا مبدأ دراسة اللغة هذا واستخرجوا حقيقة منه وتكلموا عليه وكأنه وجه عناية الناقد وجهة جرت على حساب وجهة أخرى . وعليه يقول الاستاذ ( نايت ) ( اننا بحاجة ـ في اختصار ـ الى دراسة مرهفة ودقيقة للغة . ) فان ما تلخصه عبارة ( في اختصار ) هـذه ان هو الا شيء يخضع لارقى عمليات الاختيار ويخدم أغراضا عظيمة الا وهي ، نوعية الشعر والايقاع والصورة الشعرية ، والسيطرة على عملية تظافر الكلمات بقواهـا العاطفية والفكرية ) ولقد لخص الاستاذ (نايت) في مكان ثان ما يدعوه بـ (جميع طاقات الدراما الشعرية ) بهذه الكلمات ( الحدث الروائي ، المقارنة ، التعبير ، التضمين ، الصور الشعرية والتلميح ) وفي الحال يلاحظ المرء للمرة الثانية ، ان هذه ايضا تخضع لانتقاء رفيع ، وانها كبيرة الأهمية بالنسبة لدعاة القراءة الدقيقة للنص ) وكذلك يقف السيد ( وليامز ) في فكرته القائلة ( بأن اللغة

هي الوسيلة الرئيسة للاتصال ) موقف المستهين من الشكل أو الحدث الروائي والشخصية الروائية بصفتها قواعد مألوفة • ويبدو أنه لا يحب هذه الجوانب من المسرحية شأنه في ذلك شأن الاستاذ ( نايت ) وكلاهما يتحدث عن هذه الجوانب كأنها ثانوية مشتقة وليست رئيسة • وربما صح ذلك عن بعض المسرحيات بيد ان النقاد ينادون به ليس عن طريق الاتصال المباشر فحسب بل انهم يفعلون ذلك بطريق المبادىء العامة التي يعتنقونها عن الأساليب الصحيحة لقراءة الدراما الشعرية وها أنذا الآن أخلص الى نفس المبدأ الذي انتهيت اليه سابقا ، وهو أن البت في مسالة الشكل والحبكة والنسج اللفظي من حيث كونها عناصر رئيسة أو ثانوية مسألة معلقة حتى يبدأ المرء في قراءة المسرحية ، ولكن هؤلاء النقاد يكتبون وكأنهم فرغوا من قراءتها ، ويختمونها بعبارة عامة لا تؤيد شيئا •

## عنصر الموضوع :

ولنبحث الآن في ( الموضوع ) ، ان عنصر ( الموضوع ) هذا وقد استهلك لكثرة استعماله في النقد المعاصر يعني أشياء مختلفة ثلاثة • اذ يبدو أنه يعني أحيانا مبحثا أو فكرة أي أنه ذلك الشيء الذي يدخل في صميم العمل الفني فحسب • ويبدو ما يدعى ( بالموضوع ) في أحايين أخرى أشبه بعبارة يحتويها العمل الفني •

كما أنه يبدو أحيانا ذلك الشيء القديم ، اي الحبكة ، فعندما يقول الاستاذ ( نايت ) بأن موضوع ( ماكبث ) هو ( المظهر الخادع ) أو ( تضارب المقاييس ) أعتقد ان الموضوع في هذه الحالة هو الفكرة وكذلك الحال في عبارة فكرة ( الجنون ) التي يصف بها السيد ( ولسن نايت ) ( الملك لير ) أو موضوع ( الغثيان الجنسي ) الذي يجده السيد ( سبيت ) في ( هملت ) • ولكن عندما يقول الدكتور ( ليفز ) بأن موضوع رواية ( لورنس ) الموسومة ( قوس المطر ) هو ( الضرورة الملحة والصراع الشاق لاسمى الامكانيات البشرية في سبيل تحقيق ذاتها ) فان هذه ليست مجرد موضوعات بل ان الرواية كما يبدو من هذه الملاحظة تكشف على العموم عن شيء ما وهي تنم عن مدى ذلك الصراع ملحا وشاقا في الحقيقة ويقول السيد ( سبيت ) في كتابه عن شكسبير ان للمآسي موضوعا يتردد فيها دائما وهو ( لذة الجسد التي تنزع صفة العقل منه ، وتكفر بالطبيعة باسم الطبيعة ) • ويبدو من هذه العبارة ، ان المسرحيات تعبر عن وجهة نظر معينة تجاه الشهوة ، وكأنها تجد لها مكانا في نظام الأشياء ) •

ثالثا — تستعمل كلمة ( الموضوع ) في أحايين كثيرة مرادفة للحبكة ، فمثلا ذكر أحد النقاد مؤخرا أن موضوع رواية ( ترولوب ) الموسومة ( اسلوب حياتنا في الوقت الحاضر ) هو ( تحطم المقاييس والنظام الاجتماعي

أمام الاساليب المالية الحديثة ) ومما لاشك فيه ان هذه العبارة لا يمكن أن تكون وصفا للنظامين المالي والاجتماعي الجديدين بصورة عامة ، وذلك لأن المقاييس والنظم الاجتماعية تتحطم أحيانا وتزدهر أحيانا أخرى ، في مثل هذه الظروف والأحوال • بيد ان هذه العبـارة اكثر من مجرد موضوع أو فكرة للكتاب ، بل هي ملخص للقصة الكاملة التي يرويها •

أفليس في استطاعتنا الغاء أول هذين المفهومين ( أي الموضوع كفكرة ) لخروجه عن نطاق النقد ؟ اذ أن لكل كتاب ، مهمـا كان رديئا ، موضوعات كثيرة جدا ، حسب هذا المفهوم • ولربما كان محتما عليها جميعا أن تتمازج الا اذا كان ذلك الكتاب صغيرا جدا • أفلا يستطيع المرء ان هو حاول ذلك ، ان يتأكد من وجود موضوعات متمازجة في أي قصة قصيرة قد يعثر عليها في المجلات المكدسة في عيادة طبيب الأسنان ؟ ان هذه هي نفس الملاحظة التي ذكرتها في مقالي السابق عن ( المجاز ) أي أن مجرد وجـود الشيء لا يكسبه أية أهمية ، مالم يمكن التثبت من الأثر الذي يحدثه ذلك الوجود في الكتاب وهذا هو جوهر المسألة •

## مشاكل حيوية وأمور مستعصية :

فهل يمكن أن يكون موضوع أي عمل فني ، عبارة من العبارات ( حتى ان لم تكن صريحة طبعا ) أو وجهة نظر يحتـويه ؟ ويحتاط النقاد أحيانا فيتحدثون عن ( مشاكل حيوية ) أو ( أمور مستعصية ) وكأن الغرر الأدبية تحفل بهذه الأشياء • وعندما تظهر للعيان فتشير الى وجهة النظر الرئيسة التي يطلقون عليها اسم الموضوع ، لا يسعني في الأحوال الاعتيادية الا ان أقول بأن النتيجة لا بد ستكون مهلكة • فمثلا يقول أحد النقاد بأن المغزى الرئيسي لمسرحية التاريخية عند شكسبير هي ان القابلية السياســـية والحس الأخلاقي يميلان الى الاختلاف بالضرورة) ونحن لا نحتاج الى شكسبير لكي نفهم حقيقة ذلك ، لأننا نعرف من التاريخ والتجـــارب زيفها • فهما يتعارضان أحيانا كما أنهما يتفقان أحيانا أخرى •

ويتحدث ناقد آخر عن ( الهام ماكبث ) وكيف ان المسرحية ( توضح طبيعة الشر الحقيقية ــ أي انفصـــام الروح الفـردية عن جميع الظواهر الخارجية ) • وبالاضافة الى ذلك فاننا اذا ما قارنا هـذا الرأي بتجربتنا للشر ، فاننا سنتذكر كيف ان الحياة شيء معقد ، وان هذا القول عن الشر يصح أحيانا كما أنه لا يصح أحايين أخرى • ) ويقول ناقد ثالث ان البصيرة النفاذة التي تنم عن مسرحية ( كريولينس ) توضح لنا كيف أن الأشكال الأدبية والاجتماعية لا يمكن فصمها عن الصفات البشرية والأخلاقية التي تكسبها شكلها والتي تنشد هي بدورها من أزرها ) فاذا كان معنى هذا القول انها ( لايمكن فصلها كحقيقة ثابتة ) فانها اذا لايمكن ان تكون بصيرة نفاذة

وفي هذا خطأ فاضح • فنحن نعلم بالتجربة انها في كثير من الأحيان مفصولة عن بعضها ، ولكن الناقد يريد أن يقول بأنه ينبغي عدم فصلها ، وانه ينبغي لنا أدبيا أن نحكم على الأشكال الادبية والسياسية من خلال صفاتها الأخلاقية • وليست هذه بنظرة رئيسة أيضا ، بل هي بديهية •

## الحاجة الى المنطق السليم :

يبدو لي ان ما نحتاج اليه في هذه المرحلة لمجابهة المشكلة هو المنطق السليم • ومهما كان الانسان مثالياً فانه لابد أن يعترف بأن الحقائق العامة عن الحياة لا يمكن تعلمها والبرهنة عليها الا من مكان واحد الا وهو الحياة ، وكذلك التجربة سواء أكانت تجربتنا الخاصة ، أو الأحداث الواقعية التي يرويها التاريخ أو غير ذلك • وهذه طريقة شاقة للتعلم ، حتى لقد ظن علماء الأخلاق أحيانا أنهم يستطيعون اختصار هذا الجهد بالبراهين المجردة — كهندسة ( سبينوزا ) عن الحياة العاطفية مثلا ، وربما ايضا مناقشات ( افلاطون عن الحياة والمتعة والحرية • ولقد اصبحت هذه افكارا بالية في الزمن الحاضر • فاننا نتوقع اليوم من الأعمال الأدبية ، والخيالية ، ان تختصر لنا الخبرة ، ولكنها تأبى علينا ذلك • فالعمل الأدبي قد يتناول موقفا أدبيا واحدا معينا ، أو مجموعة صغيرة من المواقف ، فيطورها • اذ قد يكون هناك موقفان كما في ( نساء عاشقات ) مثلا أو ثلاثة مواقف كما في ( آنا كارنينا ) وهنا اذا لا يمكن ان يبرهن على أي حقيقة عامة • ففي المعارف التي تبحث في الكائنات البشرية لا يوجد ما يدعى بالخبرة القاطعة •

بل واكثر من ذلك ، لا يوجد مطلقا ما يمكن ان يدعى بالخبرة الخيالية القاطعة ، ويجدر بك أن تناقش الفكرة مع عالم طبيعي أو اجتماعي فتسمع ما يقول • ومما لا شك فيه أن الأدب يساعد المرء على فهم حقائق جديدة في الخبرة وذلك اذا ما رجع الى الخبرة ذاتها • غير أن هذه مسالة ثانية ولكن الخبرة المجردة لا يمكن أن تقيم حقيقة عامة وعلمية واحدة توضح لنا ماهية المشاكل البشرية وكيف تتطور ، وهكذا فعندما يرى ناقد من هؤلاء النقاد بأن مسرحية ( ماكبث ) تعرف لنا نوعا معينا من الشر — هو ذلك الشر الذي ينشأ عن شهوة الحكم — فانه لابد أن يكون مخطئا • فلقد اتضح ذلك لنا بالخبرة التي ربما أمدتنا بها معرفتنا بالتاريخ • كما ان الحقيقة التي توضحها لنا هاتان النقطتان هي عدم وجود شر ينبع من شهوة الحكم • فشهوة الحكم تؤدي في حالات مختلفة الى أنواع لا حصر لها من الشرور ( كما أنها في حالات شاذة طبعا تؤدي حتى الى الخير ، ولكن ذلك لا يغير من جوهرها كثيرا ) ان فعل مسرحية ( ماكبث ) كما يبدو لي يقتصر على تصويرها لنا وبتفصيل حالة واحدة متخيلة من هذه الحالات فقط •

وقد يستاء بعض الناس من هذا الراي • فهم يتفقون مع الشاعر

( كيتس ) في قوله ( ينبغي المحافظة على الانكليزية واعلاء شأنها ) • فاذا جاز لبعضنا أن يتحدث عن البصيرة الأساسية والحقائق العالمية في الأعمال الادبية ، عند ذاك يبدو الادب مهما ، ولكنه ألا يبدو عكس ذلك من سلسلة الأفكار التي عرضتها لكم الآن ؟

**أصل الداء :**

وبعكس ذلك اذا كان للأدب بصيرة أخلاقية عامة ( ان جاز لي استعمال هذا التعبير الركيك ) ومادية واقعية فاننا سنجد فعلا ان الانتاج الذي يقوم على الخيال لا يحتاج الى الواقعية المادية لكي يلقي رواجا اذ يكفينا منه التأملات الأخلاقية ، ان هذا الرأي يجعل من ( الواقعية المادية ) أكبر حلقات هذه السلسلة وأكثرها حيوية • ومع ذلك فان النظام السائد في ميدان النقد اليوم قلما يتعرض لهذه الفكرة فهو يستخدمها في أغلب الأحيان ولكن بصورة عرضية تقريبا • ولهذا السبب أعتقد أن كلمة ( الموضوع ) هي أصل الداء ولربما أدهشكم قولي بأننا نجد ميلا لا يقاوم نحو تقبل فكرة التحول الخرافي للادب الخيالي الى ما يحلو لي أن أدعوه بالبعد اللا خيالي وهو بعد التأملات الأخلاقية العامة في مفهوم الحياة ــ اللهم باستثناء ذلك الاختلاف الذي قلما نفكر في أمره والذي نكيل له المدح الكاذب باطلاق هذه العبارة المنمقة عليه ( في الواقع الملموس ) فالقول بأن الغرر الأدبية ( تطوير مدروس متقن لطبيعة الانسان الأخلاقية ) وقد صيغت بقالب الواقع الملموس لا فرق بينه وبين القول مثلا بأن ( الشعر موسيقى تعزف على قاموس ) أو ( ان النحت هو رسم يمكن التجوال حوله ) ويكمن في كل من هاتين العبارتين مبدأ أساسي واحد هو مبدأ التحول الكلي •فكأننا تهنا في فوضى عظيمة جعلتنا نطلق ذنب الكلب على الكلب نفسه ، والكلب على ذنبه •

فما هو هذا المبدأ الاساسي ، أو التحول الكلي الذي نجده عندما نتحول من التأمل غير المطرد الى الأدب الخيالي ؟ وهنا انتقل الى المعنى الثالث لمفهوم الموضوع وهو الموضوع كقصة ــ وهو أقدم المفاهيم وأخصبها ، كما أعتقد • فاننا في أحاديثنا الاعتيادية نروي الحكايات وفق خطين رئيسين مختلفين جدا • فاننا نروي الحكاية أحيانا ونقصد منها أن توضح حالة عامة فنقول ( هذه حالة تمثل لنا ما يحدث كل يوم ) • وأحيانا نروي قصة لأنها لا ترمز لما يحدث عادة ، بل العكس لغرابتها وشذوذها ولا يقلل ذلك من قيمة معانيها • فالحياة ليست كيمياء يزيد اطلاعنا عليها من معرفتنا بالطبيعة العامة للانسان أو اتجاهات الحياة الضرورية أو نتيجة أي عمل من الأعمال جرى وفق النظام الطبيعي • ان الانسان الذي تقتصر معرفته على هذا الطراز من المعلومات انما يعيش في قوقعة ، هذا فضلا عن ان

المعرفة الحقيقية بالحياة ، وهي معرفة ما هو شاذ وهو أيضا معرفة قرب هذا الشاذ منا وسرعة حدوثه وكيفية تعقده وغرابته ، وشدة أخطاره اذا ما وقع ولا يوجد ما يوازي ذلك بصورة أولية في العلوم الفيزياوية والاجتماعية وعلى الرغم من اني أعتقد بوجود حالات غامضة منها في تلك العلوم ، فان هذه الطريقة هي التي تجعل أكثر الغرر الأدبية بل كلها ، تساهم في اخصاب مدارك القاريء عن الحياة وتوسيعها • اذ قلما يجد المرء ( بل ربما كان ذلك مستحيلا ) في خبراته ابتعادا عن النمط الاعتيادي وانحرافا عن الطبيعة يتسم بالتضج الذي يتسم به النتاج الأدبي بارقى أنواعه وتكامل أجزائه • وهو لا يعني اننا ننكر أن يكون لمثل هذه الأعمال الادبية دلالة عالمية أو اننا لانلمس النمط الاعتيادي بين ثنايا الغريب منها ، بل أنه محاولة تفهم مدى دخول عنصر العالمية والطبيعية هذا فعلا في خبراتنا أثناء القراءة •

### المضي حتى النهاية :

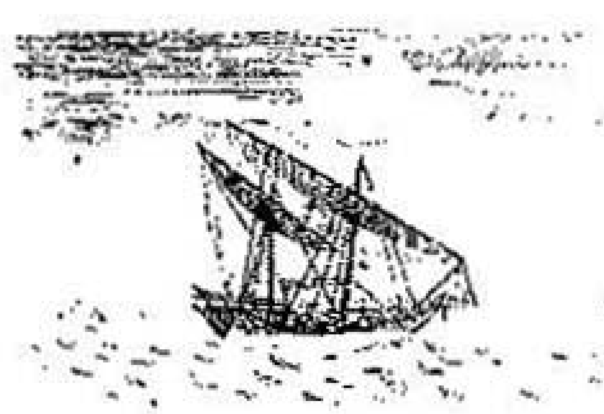
ان الكمال التام الذي يتم تصوير حالة معينة فيه بصورة كاملة هو الذي يميز التأليف القائم على الخيال من غيره وهو ما يقدمه لنا مثل هذا النتاج ولا يأتي بما يدانيه غيره وعليه فانه هو الذي يجعل مثل هذه الكتابة فريدة لا تعوض •

هنالك حديث لـ ( آنا كارنينا ) يبرز لنا هذه الحقيقة بدقة لا تخلو من جمال • فبينما هي ماضية في علاقتها بالكونت ( فرونسكي ) راحت تحدث أخاها عنه قائلة ( كلا يا ( ستيفا ) اني هالكة •• هالكة بل اكثر من ذلك فانا لا أستطيع أن أقول باني هالكة بعد ــ وأنا لا استطيع أن أقول أن كل شيء قد انتهى • بل على العكس اني أشعر انها لم تنته فأنا كوتر الكمان المكدود والذي لابد سينقطع فجأة ولكنه لم ينقطع بعد •• وستكون النهاية قظيعة ) • ونستطيع أن نقول ان حالة (آنا) هي الحالة الكاملة للمرض ، بلغت غاية الكمال والعنف بشكل مدهش وهو ما معناه أنها شاذة فريدة ــ وانها لا بد ان تمضي فيها حتى النهاية • ففي ذلك كمالها وختامها •••

ويبدو أن عنصر ( المضي حتى النهاية ) هذا ، الذي يلقي الاهمال عادة ، هو المظهر الرئيس للأدب الذي يقوم على الخيال ، عندما يتخذ شكلا مطولا وكاملا ويذكرني هذا بالمدرسة ( المؤسسة ) الحديثة في النقد • اذ انه يمكن العثور على نمط من الصور الشعرية ، ومجموعة من الموضوعات المتشابكة في أي مجموعة من القصص القصيرة أو في أي مؤلف يقوم على الجدل والمناقشة كما في مقالات ( مونتاني ) أو في مختارات مطولة من كتاب ( التفكير ) لـ ( باسكال ) • ولكننا لا نحصل بهذه الوسائل حتى على لمحة

بسيطة للصفة الحاسمة الحقيقية للمسرحية أو الرواية ، أو بصـورة عامة للنتاج الذي يكون وحدة في النظام الخيالي • فما هي تلك الصفة الحاسمة ، انها بلا شك تلك التي تتطلب منا أن نقرأ الكتاب باعتباره يؤلف من البداية حتى النهاية شيئا عضويا كاملا ، شيئا يتغلغل ، أثناء القراءة ، بتجربتنا كلها ويسيطر عليها ويوسع فيها وذلك في فترة زمنية معينـة وهو الذي كلما تذكرناه يحيا في مخيلتنا مرة اخرى بذلك التماسك الزمني الفريد • وتكون الصفة المميزة حقا لهذا النوع من الكتابة في معظم الحالات ( وليس في كلها ) ، ويكون عملها المميز الذي لا يشبه عمل سـواها ، هـو الشروع في رواية القصة حال ذكرها ، والوصول بها الى نقطة تبدو القصة فيها وكأنها تكمل نفسها ، وتجري بصورة حتمية الى نهاية ما •

ومن هنا يظهر عيب القراءة الحرفية الأساسي للمقطع الذي يدرس بمعزل عن النص ، وذلك عندما تستخدم في الحكم على النتاج الأدبي بشكله المطول • اذ لا يمكن للمقاطع التي تدرس بمعزل عن بعضها أن تبرز وحدة الاجزاء وتتكامل • وعليه يجب أن يكون هنـالك شيء آخر ينبغي البحث عنه ، وبعد آخر تتمكن به عين النقد الفاحصة من أداء عملها • ف ( الحبكة ) في هذا المجال اذن كلمة عقيمة بدون شك • فقـد أصبحت متصلة بعملية رواية القصة ـ أي انها تجيب عن مثل هـذه الأسئلة : هل ان الجدول الزمني للكتاب صحيح ؟ وهل نستطيع العثور على الأشـياء المفقودة حيث فقدت ؟ وهي أسئلة خليقة بالقصص البوليسية ولكن يبدو لي ان البحث عن وسيلة لدراسة القصص نفسها ومناقشتها باعتبارها صفة أساسية طبيعية للانتاج المطول ، وعنصر نظامها الخيـالي الأسـاسي ، هي الوظيفة الملحة للنقد المعاصر •••



# توماس ونتورث
## [ ايــرل سترافورد ]

### مدحة الجادر

أساء آل ستيوارت ادراك مدى سلطتهم بقدر ما أساؤوا فهم رعيتهم ٠ فلقد نسوا أن حكومتهم برلمانية ٠ وتمسكوا بالحق الالهي زاعمين انهم مسؤولون امام الله فقط ٠ اما آل تيودور فقد كانوا أكثر فطنة ، وأقل استبدادا ، وأحرص على احترام الاساليب البرلمانية ٠ فلما توفيت اليزابيث تركت لجيمس شعبا موحدا يدين له بالولاء ٠ بيد ان الاخير اتبع سياسة تعارض تقاليد الشعب ومصلحته ، واعتمد على مقربين كانت تفاهتهم من الفضائح العامة ٠ ولم يمهله الاجل ليواجه حربا أهلية ، اذ توفي وخلفه في الحكم ابنه تشارلس الاول ٠ وكان بوسع الاخير ان يتفادى الصراع مع الشعب الذي كان يرحب بحاكم جديد وسياسة جديدة ، ولا يطلب سوى ان تسلم أمواله من العبث والتبذير ٠ ولكن تشارلس وقع ، كما وقع والده من قبل ، تحت تأثير بكنغهام ، وهو الرجل الوحيد الذي كان البرلمان يحرص على أبعاد يديه عن الخزانة العامة ٠

وعلى أثر تولي تشارلس العرش دعا البرلمان الى الانعقاد ، وهو البرلمان القصير الاجل الذي أجتمع في عام ١٦٥٢ ، وطلب اليه اعتماد المبالغ التي يعتزم صرفها ٠ فرد المجلس بان يعهد بصرف تلك المبالغ الى اشخاص يوثق بهم ، فوجد الملك لهذا التحدي فحل البرلمان ٠ وكان الشخص البارز في الجبهة الشعبية داخل المجلس هو سر توماس ونتورث ، عميد احدى الاسر المعروفة في يوركشاير ٠ وهو رجل قوي العاطفة ، عظيم الطموح ، اسمر اللون ، خشن الملامح ، كان طوال الوقت يسعى ليثأر لحقه الذي ضاع على يدي بكنغهام ، ذلك ان الاخير كان قد عرقــل وصوله الى المناصب التي تؤهله لها مكانته في المقاطعة ، وأعان عليه منافسيه واعداءه ٠ ولذلك انضم

ونتورث الى المعارضة فزاد في قوتها وخطورتها ٠

ولم ينه حل المجلس المشكلة ، لان الحكومة كانت مضطرة الى اعتماد النفقات التي تستلزمها سياستها ومشاريعها ٠ وعلى ذلك استدعي تشارلس في عام ١٦٢٦ مجلسا جديدا واتخذ في هذه المرة بعض الاجراءات لاسكات المعارضة ، فعين زعمائها البارزين ، ومن بينهم ونتورث ، حكاما في المقاطعات ، فحرمهم بذلك من مقاعدهم في المجلس ٠ ومع هذا لم تفلح الحكومة في تحقيق مآربها ، فحل ذلك المجلس ايضا ، وساد شعور سيء في نفوس الجانبين ٠

وكان بكنغهام قد دبر حملة الى جزيرة ري "Isle of Rhe" ولكي يوفر الملك المبالغ اللازمة لها ، لجأ الى طريقة سهلة غير قانونية ، وهي فرض القروض الاجبارية ٠ فعارض ذلك ونتورث واليوت وآخرون فسيقوا جميعا الى السجن ٠ ثم اخفقت الحملة بعد ان صرفت المبالغ التي جمعت لها ٠ وفي عام ١٦٢٨ استدعى تشارلس برلمانا ثالثا كان متوقعا منه منذ البداية ان يعارض تصرفات الملك غير الشرعية ٠ فرغب ونتورث في اجراء تسوية للمشكلة ، اذ آلمه ان يرى بلده تمزقه المنازعات والخلافات التي يمكن تجنبها بالفطنة واللباقة ، فاقترح على الملك اجراءا يعلن بموجبه ان القروض السابقة لم تكن قانونية ، ولكن الملك رفض ذلك فأثار المعارضة وفسح المجال لاليوت وكوك وسيلدن لكي يفرضوا عليه اعلان الحقوق Petition of Right الذي أكد عدم شرعية تلك الاجراءات بصورة اقسى واشد مما اقترحه ونتورث ٠

هنالك شعر الشعب بشيء من الرضا والاطمئنان ، لاسيما بعد ان اغتيل بكنغهام في عام ١٦٢٨ فزال بذلك أهم سبب لسخطه ونقمته ٠ وفي الوقت نفسه ظفر ونتورث بحظوة لدى الملك ، فاغدق عليه القاب الشرف في تعاقب سريع حتى جعله رئيسا لمجلس الشمال ، وهو المجلس الذي الفه هنري الثامن ، ليمارس مهام غامضة واسعة ، ادارية وقضائية ، في المقاطعات الخمس الشمالية ٠ وعلى الرغم من التحدي الذي وجه لشرعية ذلك المجلس ، فأن ونتورث قد قبض آنئذ على زمام سلطة واسعة لا يعارضه فيها أحد في الشمال ٠

وفي العام التالي تخلص الملك من البرلمان لاخر مرة ، وأدهش الناس جميعا بحكمه البلاد أحد عشر عاما بدون مجلس ٠ فكانت الضرائب تفرض في غياب السلطة التشريعية ، واعيدت جميع الامتيازات والحقوق الاقطاعية ، فصارت طبقات الشعب تئن تحت وطأة الرسوم والضرائب التي ما كانت لتشكو منها لولا علمها بحق انها تجبى بصورة غير قانونية ٠

ثم عين ونتورث عضوا في مجلس الشورى Privy Councillor ثم عين في عام ١٦٣٢ نائبا للملك في ايرلندة ، حيث بقي في هذا المنصب

حتى عام ١٦٢٩ . وفي عهده أصابت ايرلندة بعض الرخاء . وقد كان خبيرا في تسيير البرلمان ، فأستطاع ان يحصل منه على منح يصرفها بحرية تامة لا يحتاج معها الى استدعائه مرة اخرى .

ولقد شجع التجارة في ايرلندة وعمل على تطويرها ، واليه يرجع الفضل في انشاء صناعة الكتان هناك . غير انه كان فظا ، متكبرا لا يحيد عن رأيه ، فنفر منه المستوطنون من الانكليز والاسكتلنديين . وكان يضيق الخناق على موظفيه فلا يدعهم يتصرفون الا في حدود واجباتهم ، وقد سد عليهم كل طريق للكسب والابتزاز ، ولكنه احتفظ لنفسه بنصيب لا بأس به من الواردات . وأستطاع بفضل صنائعه في المراكز الخطيرة ان يزاول جميع الاعمال الادارية ، بل تجاوز ذلك الى انتحال الصلاحيات التشريعية والقانونية . وكانت المحكمة العسكرية في انتظار كل من يعارضه .

ثم نفر منه الايرلنديون ايضا . ذلك انهم كانوا في عهد اليزابيث وجيمس يخشون ان يبعدوا من موطنهم ليفسحوا مجالا للمستوطنين من الانكليز ، فلما جاء ونتورث حاول علانية ان ينتزع مقاطعة Connaught الايرلندية ليجعلها من أملاك الملك ، واستطاع بالتأثير على الحكام والمحلفين ان يستحصل قرارا بذلك . ولكن مشروع تسوية الاراضي الذي تم بموجبه ذلك الانتزاع قد ترك في اللحظة الاخيرة ، فأنتهيت المحاولة بدون تنفيذ . بيد ان بوادر الثورة كانت قد اوشكت على الظهور ، لكن أوارها لم يستعر الا بعد ان ووري ونتورث التراب ، وبذلك نسي الناس سيئاته ، وصاروا يتذكرون ما أمتاز به عهده من أمن وانتعاش فقط .

وفي عام ١٦٣٩ أصبح وجود ونتورث في انكلترا ضروريا . ذلك ان نظام الحكومة الفردية اوشك أن ينهار ، فراح الملك تشارلس ، بالتعاون مع لود رئيس اساقفة كنتربري ، يحاول أن يفرض نظام حكومة القساوسة Episcopal System على الاسكتلنديين فأستاء هؤلاء وجمعوا أمرهم على الثورة . ولم يكن بين الوزراء من يصلح أن يكون يومئذ رجل الساعة مثل ونتورث ، فاستدعى على الفور ، ومنح لقب ايرل سترافورد ، وأصبح في الواقع ، ان لم يكن بالاسم ، المستشار الاول للملك . وكان أول ما نصح به الملك ان يستدعي برلمانا جديدا ، فلقد جرب هو ذلك في ايرلندة فنجحت التجربة على يديه . ولكن المجلس الذي جيء به في أوائل عام ١٦٤٠ طلب الترضية والاصلاح قبل اعتماد المبالغ المطلوبة ، فحل في الحال . وهو المجلس الرابع الذي عرف باسم البرلمان القصير الاجل . وفي تلك الفترة كان الاسكتلنديون قد حملوا السلاح ووحدوا صفوفهم ، فأحتلوا نيوكاسل متحدين قوات الملك . وكان ونتورث قد منح آنئذ رتبة فريق ، فأصبح ممن يتحملون عار ذلك الاحتلال . فنصح للملك ثانية ان يستدعي برلمانا ، فجاء البرلمان الطويل الاجل الذي أجتمع عام ١٦٤٠ ، وتشارلس آنئذ في أقصى حالات الضرورة ،

فلا يقدر على مقاومة المجلس • فأستغل ذلك الزعماء الشعبيون ، فنظموا حركة لاتهام كل من ونتورث ولود بالخيانة • وقد افلحت محاولتهم ، فألقي القبض على نائب الملك فور عودته من ايرلندة ، ثم اودع ، هو ولود ، في برج لندن تحت حراسة قوية • وكان الاتهام بالخيانة هو الوسيلة الناجعة يومئذ لمحاسبة الوزراء الذين يسيئون التصرف • وبموجبه يتولى مجلس العموم الاتهام بواسطة بعض اعضائه ، ثم يجلس اللوردات في هيئة محكمة للنظر فيه •

وفي هذه القضية وجه مجلس العموم الى ونتورث تهمة الخيانة في سبع مواد عامة ، والحق بها ثمانية وعشرين مادة اخرى توضيحا لها • ويمكن تلخيص هذه المواد في خمس نقاط :- الاولى توجيه السياسة واعطاء النصح خلافا للقوانين الاساسية للبلاد ، بقصد ايجاد حكومة مستبدة ، والثانية اعطاء مجلس الشمال صلاحيات غير قانونية ، واستخدام ونتورث لصلاحياته في اغاضة الشعب واضطهاده هناك ، والثالثة تتعلق بايرلندة ، والتهم التي تنطوي تحتها عديدة ، أهمها التدخل في شؤون العدالة ، وممارسة الاحكام العرفية في وقت السلم ، ومعاملة المعارضين له من اعضاء مجلس الشورى كأنهم مجرمين ، وأنتزاع أملاك الافراد بصورة غير قانونية وسجنهم عند المقاومة ، والتلاعب في الضرائب الكمركية لمنفعته الخاصة ، وفرض الضرائب غير الشرعية بواسطة الغرامات والسجن والجلد ، والرابعة تتعلق بأسكتلندا ، وفيها اتهم ونتورث بمحاولة اثارة النزاع بين الانكليز والاسكتلنديين ، والخامسة تشمل سلسلة من التهم المتعلقة بالحوادث التي وقعت مؤخرا ، ومنها تحريضه الملك على عدم الالتزام بالقواعد المألوفة المتبعة ، ومساهمته في جباية بعض الضرائب غير الشرعية ، ونصحه للملك بالاستيلاء على السبائك الموجودة في دار ضرب النقود ، والتي تعود ملكيتها الى الافراد ، واضعافه بذلك احتياطي العملة ، وفرضه الضرائب على سكان يوركشاير للانفاق على جنوده ، ودوره في اندحار الجيش وفقدان نيوكاسل لاثارته الصراع بين انكلترا واسكتلندا • وجماع القول ، ان قائمة التهم هذه كان معناها ان كل ما حدث منذ عام ١٦٢٨ انما حدث بناء على نصحه او سعيه •

وقد انكر ونتورث مسؤوليته عن كثير من تلك التهم ، بالنظر لوجود اوامر من الملك او موافقته الصريحة قبل تنفيذ ما جاء فيها • وبالنسبة الى بعض التهم استطاع ان يشير الى سوابق تؤيد الاجراءات التي اتخذت من قبله • اما ما يتعلق بايرلندة فلم يكن رده عليه انكارا بقدر ما كان ايضاحا • فلقد أوضح ان القانون في ايرلندة يختلف عن القانون الانكليزي في كثير من الاحكام ، وان الاحكام العرفية كانت دائمة السريان هناك ، وأن الجيوش كانت تستخدم اعتياديا في جباية الضرائب وتنفيذ المراسيم ، ولكن مع هذا

كله كان الرأي السائد ان ونتورث هو صاحب اليد الطولى والكلمة العليا هناك فلا يستطيع أي قانون او عرف أو قاعدة ان يحد من سلطانه • وآية ذلك انه جرد لوفتس Loftus احد كبار المسؤولين في ايرلندة من منصبه والقاه في السجن بحجة عدم اطاعته لنظام المجلس ، في حين أن عدم اطاعته هذه انما كانت لتسوية اراد ونتورث ان يفرضها على ابن لوفتس بان يتزوج من سيدة كانت عشيقته في يوم من الايام • فعارض لوفتس ذلك الزواج ورفض ان يقدم المبالغ اللازمة له ، فكان مصيره الطرد والسجن تحت ستار عدم اطاعته النظام •

ونعود الى التهمة الرئيسة التي مؤداها انه قد اعان بنصحه وتوجيهه فى الخروج على أحكام القوانين الاساسية في البلاد ، وفي ايجاد حكومة مستبدة تحكم برأيها ورغبتها • وقد كان جوابه عليها مما يستأهل النظر فلقد دفع بأنه انما قدم النصح بامانة واخلاص ، حسبما يقتضيه واجبه ازاء الملك واعترف بأنه قد اعطى احيانا توجيهات متناقضة ، ثم اوضح ذلك بأنه ليس لانسان ان يصر على توجيه يتبين خطأه فيما بعد • وذكر ان ملاحظاته قد أخذت بصورة مشوهة بدون اعتبار للظروف والملابسات التي أملتها • ثم اوضح مذهبه في اتخاذ الاجراءات الاستثنائية عند الضرورة بقوله: انه في حالة الضرورة القصوى التي لايمكن فيها معالجة الموقف بالحلول الواردة في القوانين السارية ، فان للملك أن يتحلل من الاجراءات الاعتيادية ، وأن يتخذ ، بقدر الضرورة ، جميع الوسائل الاخرى للدفاع عن نفسه وعن المملكة بشرط ان يقتصر ذلك على الحالة التي اوجبت اتخاذ تلك الوسائل ، فلا تطبق فى حالات اخرى مشابهة اذا كان بالامكان اعمال القانون والعدالة بصورة اعتيادية • ثم اضاف انه ينبغي تعويض الاشخاص المتضررين في مثل هذه الحالات ، والا كانت الاجراءات غير عادلة • وقد أكد ان التهم الموجهة اليه قد تجاهلت هذه القيود الاحترازية والظروف التى أملت اتخاذ تلك الاجراءات الاستثنائية •

ويجمل بنا ان نقف قليلا عند هذا المبدأ الخطير الذي وضعه ونتورث في الادارة والسياسة ـ مبدأ تعطيل القانون في حالة الضرورة القصوى • فالذي لامرية فيه ان هذا المبدأ مقبول وسار في الدول الحديثة بالقيود التي ذكرها ونتورث نفسه • ولكن هل التزم هو بهذه القيود ؟ هذا هو احد تصرفاته في ضوء هذا المبدأ •

لقد وجدت في انكلترا ضريبة باسم ( ضريبة السفن ) تفرض على المدن الساحلية في حالات الحرب فقط لبناء السفن وصيانتها • وقد زين ونتورث للملك أن يفرض هذه الضريبة في وقم السلم ، وعلى مدن غير ساحلية ، لماذا ؟ لمجرد ان الملك قد كان بحاجة الى المال ، ولانه مختلف مع البرلمان على الشروط التي يمنح بموجبها المال المذكور • فهل كانت هذه

ضرورة قصوى لا تعالج بالقوانين الاعتيادية ؟! ان فرض تلك الضريبة خلافاً للقوانين كان من عوامل التذمر التي أدت الى الثورة فالقضاء على حياة الملك تشارلس الاول نفسه ٠

وحان وقت المحاكمة ، واعدت قاعة ويستمنستر لهذه المناسبة ٠ فوضع عرش للملك ، ومقاعد خاصة للوردات الذين يؤلفون المحكمة ، واخرى لاعضاء مجلس العموم الذين يتولون الاتهام ٠ وكان الى جانب العرش غرفة خشبية خصصت للاسرة المالكة حيث كان الملك وابنه الصغير يجلسان يوما بعد يوم طوال فترة المحاكمة ٠ وفي الثاني والعشرين من آذار عام ١٦٤١ ، في الساعة السابعة صباحا نقل ونتورث من البرج الى قاعة ويستمنستر عن طريق النهر تحت حراسة قوية ٠ وقد انقضى ذلك اليوم في قراءة التهم والاجابة عنها ٠ وفي اليوم التالي افتتح پم Pym رئيس هيئة الاتهام الدعوى بخطاب طويل اجاب عليه ونتورث باختصار معددا الخدمات التي قدمها للدولة ٠ ثم نهض پم ثانية فأورد ثلاث تهم جديدة ٠ فأعترض على ذلك ونتورث وبين انه سيترك اعتراضه اذا اعطى الوقت الكافي للاجابة على التهم الجديدة ٠ فتداول اللوردات في الامر وقرروا في النهاية انه وان كان اعتراض المتهم صحيحا من حيث المبدأ ، غير أن التهم المضافة قليلة العدد ضئيلة الخطر فبوسعه ان يجيب عنها على الفور ٠ وكانت تلك التهم ما يلي :

اولا : سحب المتهم من خزينة ايرلندة اربعين الف باون لنفقاته الخاصة

ثانيا : ابقاء حاميات في ايرلندة على حساب انكلترا ٠ ثالثا : دفع بعض الكاثوليك والاشخاص المغمورين الى المناصب الرفيعة في كنيسة ايرلندة ٠ وقد رد ونتورث على التهمة الاولى بأن ابرز كتاب الملك المخول لسحب ذلك المبلغ وعليه تأشيرات المحاسب الذي اجرى الدفع ٠ واجاب على التهمة الثانية بانه قد خفف كثيرا من النفقات التي كانت تتحملها انكلترا قبل توليه السلطة للصرف على الحاميات في ايرلندة ٠ اما التهمة الثالثة فقد اجاب عليها بان التعيينات المذكورة فيها انما جرت بناء على نصح وارشاد النخبة الممتازة من رجال الدين ٠ وفي اليوم التالي بدأ ممثلو مجلس العموم باستعراض التهم الواحدة بعد الاخرى وكل منهم يتولى اثبات قسم منها ، وأستمروا في ذلك أربعة اسابيع ٠

وفي يوم الثلاثاء ، الثالث عشر من نيسان ، طلب الى ونتورث ان يبدى دفاعه ٠ فاستعرض التهم الموجهة اليه جميعا ، فأنكر بعضها وأوضح البعض الاخر ، وعلق على التي لم تقم دليل عليها ٠ ثم ادركه الاعياء فأعلن انه عاجز عن الاستمرار في دفاعه ٠ فرد پم بان ذلك ينهي الكلام حول اثبات الوقائع ٠

والى هذا الحين كان ونتورث وحيدا امام مجلس العموم ، لان قواعد المرافعات في القانون الانكليزي لم تكن لتسمح يومئذ للمتهمين بالاستعانة

بمحامين في الامور المتعلقة باثبات الوقائع • ثم تحولت المناقشة الى نقطة قانونية - فهل الوقائع التي قدم الدليل عليها تكون جريمة الخيانة ؟ وعند ذلك كان يحق للمتهم ان يتخذ له محاميا يعينه في بحث هذه الناحيــــة القانونية ، وعلى ذلك صار ممثلو مجلس العموم يخشون على مركزهم وعلى الاتجاه الذي سوف تسير فيه الدعوى ، فقرروا اصدار لائحة خاصة باتهام المتهـــم Bill of Attainder (١) • ثم اجتمع المجلسان في جلسة مشتركة لبحث الموضوع • وكان رأى اللوردات الاستمرار في المحاكمة كالسابق والاستماع الى محامي المتهم ، اما اعضاء مجلس العموم فقد اصروا على أصدار لائحة الاتهام ، وبذلك اصبح المجلسان في حالة شقاق • وبقي اللوردات على رأيهم ، فاضطر ممثلو مجلس العموم الى حضور المحاكمة ، ولكنهـــم جلسوا مع سائر اعضاء مجلسهم كمشاهدين • وكان دفع محامي ونتورث ان الادلة المقدمة لا تكون جريمة الخيانة • ثم اجلت الجلسة ، ومضت عدة ايام ، فأجتمع المجلسان في جلسة مشتركة اخرى ، فأثير اقتراح أصدار لائحة الاتهام ثانية باعتباره الاجراء المناسب الوحيد في هذه القضية ، وكان الملك والملكة حاضرين تلك الجلسة • وفي اجتماع ثان تدخل الملك ، فأكد لمجلس العموم عدم تقديم اية نصيحة اليه في ان يجنح الى الحكم حســب مشيئته ، وانه لم يكن هناك ضده ونتورث ما يوجب اللوم ، وانه الاخسير لائق لاشغال اى منصب ، ثم ختم بيانه بانه سوف لا يشاركهم ، لا في نفسه ، ولا بيده ، في معاقبة ونتورث باعتباره خائنا •

وعلى الرغم من ذلك ، اقر مجلس العموم لائحة الاتهام باغلبية ٢٠٤ ضد ٥٩ ، وبينما كانت اللائحة تنتظر موافقة مجلس اللوردات ، قام الملك بمحاولة خطيرة لانقاذ وزيره من سجنه في البرج • وانتهى الى مجلس العموم خبر المؤامرة ، ففضحها يم ، فهاج الرأي العام ، وراح يهدد اعضاء الاسرة المالكة • وفي وسط هذا الهياج اجتمع مجلس اللوردات للنظر في اللائحة ، فلم يحضر قسم من اعضائه أما عن حكمه او رهبة ، فصودق على اللائحة باغلبية ٢٦ ضد ١٩ ، ثم احيلت الى الملك ليقول فيها كلمته النهائية • وقد أشيع ان ونتورث قد كتب الى الملك يحثه على اقرار اللائحة ان كان في ذلك ما يحقق الوفاق بينه وبين الشعب • ولكن الذي حدث هو ان ونتورث قد أصيب بالدهشة والاسى حين بلغه ان الملك قد رضخ لارادة المجلس فاقر اللائحة ، وعلق على ذلك بقوله المشهور : « لا تضعوا ثقتكم بالامراء » وبعد اقرار اللائحة اتخذت الاجراءات لتنفيذ حكم الاعدام عــلى وجه السرعة ، فشنق ونتورث في اليوم الثاني عشر من أيار عام ١٦٤١ ودفن في يوركشايرب •

(١) لائحة تتضمن اتهاما ضد نبيل أو شخص ذي مكانة رفيعة ، في قضية ذات أهمية عامة ، وتنص على حجزه ومصادرة املاكه • وكان مجرد صدورها يثبت التهم الواردة فيها •

# مؤتمر الأدباء العرب

## عبد الغني الحضري

اهتف به مكرماً يا مرحبا ... مؤتمرا يجمع شمل الادبا
مؤتمراً يبني به ليعرب ... مجد يناطح النجوم الشهبا
من كل شعب وبلاد حرة ... ضم حماة للبلاد نجبا
من المحيط للخليج لفهم ... بند على وجه الصعيد انتصبا
موحداً بظله الوية ... تملأ احشاء الاعادي رعبا
ليس بصنعا فارق عن مكة ... وليس بغداد تنافي حلبا
لم تقم الاجداد فيها نصبا ... فمن أقام بالحدود النصبا
اقامها لقصده مستعمر ... ما زال من وحدتهم مضطربا
( فرق تسد ) غايته مستهدفا ... ببوسها سوف ينال الاربا
فلم يزل يسعى لها مجنداً ... رجاله ونفسه والنشبا
كونوا يداً كجذوة لاهبة ... تكن عداكم لسناها حطبا
تمشون في صمت وفي أعمالكم ... اشباع قلب الحاقدين وصبا
من سبقت افعاله اقواله ... اجدر به اذا تسامى رتبا

* * *

أيه بني العرب وكم من صرخة ... كررها الاديب حتى تعبا
ما آن للمجد الذي فقدتم ... ان ترجعوه بالكعوب والظبا
كل الشعوب اتسمت بوثبة ... والعرب ما آن لها ان تثبا
فليس كسب المجد في مقالة ... يكتبها الاديب ان تادبا
وليس في قصيدة محبوكة ... يفر خصم للبلاد اغتصبا
سكتم فاختلست اندلساً ... كف الاعادي واستباحت قرطبا
وقد تمشت لفلسطين كما ... تمشى على الزروع اسراب الدبى
من خلف صهيون تروم غارة ... تاتي على البيت واحياء سبا
فخاصموهم بالظبا مسنونة ... فقد طغى السيل واغرق الزبا

ليس لذئب السوء الا طلقة     تسمر فيها راسه والذنبا
فالبحر في حيتانه منتصب     لضعفه وقد تشكى اللغبا
فما عليكم غير هجمة بها     حتماً يلاقي ويله والعطبا
ان يهوذا عصمة مغلولسة     تنسفها الريح اذا الريح صبا
فما بصبركم عليها حكمة     فليس للافعى سوى ان تضربا
والاسد الخادر لا ترهبه     من الخراف حفنة ان وثبا
وقطرة السم اذا سقيتها     مليون نملة تموت عطبا

* * *

ايه بني العرب ولست اتقى     الا الخلاف بينكم ان نشبا
ما خطل الرأي سوى ان تصبحوا     طرائقاً تبعث فينا الشغبا
احزاب أشياع بكل خفة     تصحر فيما تدعيه كذبا
هذا يرى الاسلام في محتده     وذا يرى فيما اليه ذهبا
لا لا فما الاسلام الا جنة     تقى البرايا عجما او عربا
شرع محمد لكل كافل     سعادة يسمو بها منقلبا
لا تغلقوا اجتهاده فانه     معينكم فاستعذبوه مشربا
قرآنكم دستور حق فاعملوا     فيه وهيا استهدفوا ما طلبا
واجتهدوا بآيه وبالتي     سننها المختار طه حقبا
سوف يرى اجتهادكم بكل ما     جاء به الاسلام صدرا رحبا
سعادة الفقير لا يكفلها     الاه قانونا يزيل الكربا
والسغب الزائد ان طبقتها     كما يرى الله ازال السغبا
واحرباً ان مزقت وحدتنا     اهواؤنا واحرباً واحربا
كم هذب القرآن من افكارنا     عز كتاب ربنا مهذبا
لا زال بالحكمة يدعو معلناً     فاينع الجدب بها واخصبا
سياسة الدولة في احكامه     ومنبر العدل بها قد خطبا
فليس للاصلاح غير نهجه     فاتخذوه للصلاح سببا
علم وتنظيم الى قومية     مؤمنة بها نحوز الغلبا
فنهضة واحدة تضمكم     تدير افلاك السما والقطبا
يشرق كالبدر من تاريخكم     فجر يمزق السحبا والحجبا
حتماً اذا ما انتفضت اقطارنا     تخور لاشك عداكم عصبا
فليت ماضي العزمات ما نبا     وليت بركان الجهاد ما خبا

# جالينوس العرب
# محمد بن زكريا الرازي

الدكتور فيصل دبدوب

كانت حضارة العرب حلقة اتصال بين الحضارة اليونانية الرومانية وبين حضارة اوربا الحالية ، ولم يكن العرب نقلة فحسب كما يدعي بعض اعدائهم لجهل أو تعصب أو حسد ، بل زادوا على حضارة اليونان التي اقتبسوها والتي كانت في دور الاحتضار ، حضارة الفرس والهند والسريان وتعمقوا في تفهم هذه الحضارات وحسنوها واضافوا اليها الشيء الكثير من ابتكاراتهم العقلية والعملية حتى فاقوا سائر الامم في رقيهم آنذاك فكانوا وحدهم حاملي لواء الحضارة في القرون الوسطى .



قال دوهو مبلد في كتابه عن الكون : ( كان العرب مستعدين بما يدعو الى العجب ليمثلوا دور الوسيط ويؤثروا في الامم القاطنة فيما بين نهر الفرات ونهر الوادي الكبير وفي القسم الجنوبي من اوربا وأواسط وشمال افريقيا ) .

وقال كذلك ( والعرب كانوا ذوي نشاط منقطع النظير ، وهذا النشاط هو آية دور ممتاز في تاريخ الدنيا ) . وقد اتفق للعلوم الطبيعية عند العرب ومنها الطب مثل ما اتفق للعلوم الرياضية والفلكية والحربية والادبية وغيرها من الرقي . ويرى همبولد ( وجوب اعتبار العرب مؤسسين حقيقيين للعلوم الطبيعية بالمعنى الحديث ) ويقول الدكتور سارطون ( انه لعمل عظيم جدا ان ينقل العرب الينا كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها ولولا ذلك لتاخر سير المدنية بضعة قرون ) . ويقول سيديو « ان نتاج افكار العرب والمسلمين يشهد بانهم اساتذة اوربا في جميع فروع المعرفة » . ان امة هذا شأنها لا تخلو ولا يمكن ان تخلو من علماء عالميين وفي طليعة هؤلاء الرازي في الطب ، قال سيديو في كتابه تاريخ العرب العام ( لا احد يعدل الرازي وابن سينا اللذين سيطرا بكتبهما على مدارسنا زمنا طويلا ) . وقد

فاق الرازي ابن سينا في الطب كما قال « براون » المستشرق الانكليزي الشهير ·

ويقول استاذي المرحوم العلامة الدكتور داود الجلبي الموصلي في رسالة له عن الرازي : ( ان الرازي يفوق ابن سينا في الطب ، وابن سينا يرجح على الرازي في الفلسفة ) ·

ويقول سارطون ( ان الرازي من أعظم أطباء القرون الوسطى ) ، كما يعتبره غير واحد ابا الطب العربي ·

وقد خصصت جامعة برنستون الامريكية أفخم ناحية في أجمل ابنيتها لمآثر علم من اعلام الحضارة الخالدين هو الرازي ·

جمع محمد أبو بكر بن زكريا الرازي ( نسبة الى بلده الرى ) بين مهنته العملية ودراسة علوم من سبقه من الاطباء ، سائرا على غرار قدماء الاطباء ، ومن رأيه ( ان الانسان لو عمر الف سنة ما استطاع ان يبصر بعينه جميع ما شوهد بتعاقب الازمنة في مختلف بقاع الارض ، فلابد له من ان ينير بصيرته بعلم الآخرين ) ·

سافر الرازي من الرى الى بغداد وعمره ثلاثون سنة وكان من صغره يميل الى العلوم العقلية ويشتغل بها ويعلم الادب ويقول الشعر ·

ومن اخباره انه كان في شبابه يضرب على العود ويغني ، فلما التحى قال : ( كل غناء يخرج من بين شاربي ولحية لا يستظرف ) · فهجر ذلك وطلب العلم ورحل في طلبه واقبل على دراسة كتب الطب ، والفلسفة فقراها قراءة باحث مدقق · وكان اشتغاله بالطب على كبر ·

تتلمذ الرازي على ابي الحسن ابن ربن الطبري صاحب فردوس الحكمة ، وقرأ الفلسفة على البلخي ، وتولى الرازي بعد ان اتقن صناعة الطب وحذقها ادارة بيمارستان الرى ثم أدار بيمارستان بغداد أيام المكتفي · وقال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجتمع على بناء البيمارستان العضدي الذي يقع قرب جسر بغداد آنذاك من الجانب الغربي ، وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه المارستان وعمل بما اشار عليه به ·

لقد ترجمت بعض كتب الرازي الى العبرانية واللاتينية وكانت تعتبر مدة طويلة ركنا للتعليم في مدارس اوربا الطبية ·

والمعروف من كتب الرازي (٢٢٩) كتابا أهمها من وجهة النظر الطبية الحاوي ، والمنصوري ، ورسالة الجدري والحصبة وهذه الرسالة هي اقدم رسالة طبية بحث فيها هذان المرضان بحثاً طبياً علمياً ، وهي ذات قيمة علمية ومعتبرة عند الافرنج ·

قال نويبر « ان رسالة الجدري والحصبة تعتبر بلا منازع وبحق زينة الآداب الطبية العربية ، فانها من الخطر بمكان سام وهي في تاريخ علم

الامراض الوافدة أول رسالة كتبت في الجدري وتبين لنا ان الرازي مختبر ومدقق ومجرد من الاعتقادات الوهمية ومقتف خطوات ابقراط » .

وقد نسب الرازي حصول الجدري الى فوران الدم وشبهه بفوران الخمر عند تخمره . وقد اثبتت الاكتشافات الحديثة ان كلا من التخمر والمرض العفن يحصل من ميكروب . اذن فقد اصاب الرازي كل الاصابة في تشبيهه هذا ودل على عظم فطنته ، ولكن الفضل في اكتشاف الميكروب أبى الا ان يكون لباستور بعد (٩٠٠ سنة) من وفاة الرازي وذلك بعد ان اخترع المجهر ( المكرسكوب ) .

وكدليل على دقة الرازي في ملاحظة الاعراض ووصفها اسوق وصفه لاعراض الجدري قال ( يسبق ظهور الجدري حمى مستمرة تحدث ووجع في الظهر وأكلان في الانف وقشعريرة أثناء النوم والاعراض الهامة الدالة عليه هي : وجع الظهر مع الحمى ، وألم لاذع في الجسم كله واحتقان الوجه وتقبضه أحيانا وحمرة حادة في الخدين والعينين ، وبشعور بضغط في الجسم وبزحف في اللحم وألم في الحلق والصدر مصحوب بصعوبة في التنفس وسعال وجفاف في الفم وغلظ في الريق وبحة في الصوت وصداع وضغط في الدماغ وهياج وقلق وغثيان وقلة راحة . والتهيج والغثيان والقلق أظهر في الحصبة منها في الجدري على حين وجع الظهر اشد في الجدري منه في الحصبة ) .

وكتاب المنصوري للرازي يحتوي على وصف دقيق لتشريح أعضاء الجسم كلها ، وقد ترجم الى اللاتينية وبقي معمولا به الى أواخر القرن الخامس عشر . وفي هذا الكتاب بحث في قوى الاغذية والادوية ومواد الزينة والتقطير كما أتى فيه بارشادات صحية وطبية عملية . اما كتابه الحاوي فهو من أجل كتبه وأهمها توفي الرازي ولم يفسح له الاجل ليتمه الى ان حصل عليه ابن العميد من اخت الرازي وجمع تلاميذه الاطباء الذين كانوا في الري حتى رتبوا الكتاب فخرج على ما هو عليه من اضطراب .

ويقسم الحاوي الى اثنى عشر قسما وقد نقل الى اللاتينية وطبع في بريشيا سنة ١٤٨٦ باسم (Liber Alhavi) وطبع في البندقية سنة ١٥٤٢ باسم (Continens Rasis) ونسخ هذه الترجمة نادرة ، منها نسخة في كمبرج ومنها بعض نسخ في ليبسيك . وقد اختصر الحاوي غير واحد ، منهم علي بن داود نحو سنة ٥٣٠هـ ، وللحاوي ترجمة عبرانية في مكتبة اشتاينشنايدر . والآن يشك كثيرا في وجود نسخة كاملة منه ، يقول براون اني متأكد نظرا لما اتصل بي انه لا يكاد يوجد نصف هذا الاثر العظيم ، والمجلدات الموجودة مشتتة في المكتبات ولم يبحث عنها بحثا مستوفى ولم يقابل بينها وبين الترجمة اللاتينية .

وهكذا فقد طبع الحاوي في مدينة البندقية سنة ١٥٠٩م وسنة ١٥٤٢م كذلك وطبعة بريشا أقدم من هاتين الطبعتين وطبع في الدكن بالهند مؤخرا ،

هذا ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أذكر بأني قد رأيت نسخة لجزء فريد من كتاب الحاوي للرازي بخط فارسي جميل بلا تنقيط ذكر لي الدكتور داود الجلبي رحمه الله بأنها نسخة فريدة ونادرة في العالم والنسخة كانت في المكتبة الاحمدية الدينية بالموصل ولا أدري أموجودة الآن أم لا ؟

وكتاب الجدري والحصبة للرازي طبع في لندن عام ١٧١٦م مع مقدمة باللاتينية للاستاذ ( يوهانس شانتج ) وقد أعاد طبعه ( الدكتور فنديك ) ووسمه برسالة في مرض الجدري والحصبة وكان طبعه في مدينة بيروت ، وذكر ( ادوارد فنديك ) ان هذه الرسالة طبعت بعناية أبيه في لندن سنة ١٧٦٦م ثم في بيروت عن نسخة خطية وجدت في المكتبة الأميرية في البندقية ٠

ومقالة الحصى المتولد الكلى والمثانة للرازي ترجمها ( دى كونينج ) للفرنسية وطبعها في ليدن سنة ١٨٩٦ م ٠

وذكر يوسف الـ.. سركيس في كتابه معجم المطبوعات العربية والمعربة بأن كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها للرازي طبع سنة ١٣٠٥ هـ في المطبعة الخيرية ٠

وعنى الدكتور ( كيك ) مدرس الصيدلة في المكتب الطبي ببيروت بطبع كتاب برء الساعة للرازي سنة ١٩٠٣ م ٠

هذا وللرازي أقوال مأثورة موزعة في كتبه الطبية العديدة ، اليك بعضها : قال الرازي : ـ الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر، وقال الاستكثار من قراءة كتب الحكمة والاشراف على آساراهم نافع لكل حكيم عظيم ٠ ومن كلامه : اذا كان الطبيب عالما ، والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة ٠ ومما قال : ما اجتمع الأطباء عليه وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن امامك ٠ وقال كذلك : على طالب الصناعة ( يعني الطب ) انه ينبغي له على الدوام ان يزور البيمارستانات ودور العلاج وان يوجه انتباها لا يفتر الى أحوال من فيها وظروفهم وهو في صحبة أعظم اساتذة الطب ذكاء ٠

وان يكثر من الاستفسار عن حالة المرضى والاعراض الظاهرة عليهم ذاكرا ما قرأه عن تلك التغيرات ، وعما تدل عليه من خير أو شر فان هو فعل ذلك بلغ مرتبة عالية في هذه الصناعة ٠ وقال ايضا : مهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ٠ ومن أقواله : باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والاخلاق والعادات وطباع الأدوية والأغذية ٠ وقال كذلك : ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق من ذلك فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس ٠

أكتفي بهذا القدار من أقواله المأثورة ، ذكرتها لترى معي مبلغ علو منزلة هذا الرجل العلمية وسبقه لعلماء العصر الحاضر في آرائه وملاحظاته

القيمة تلك التي تصلح أن تكون دساتير عمل للطب والطبيب والمريض في كل مكان وزمان ٠

توفي الرازي سنة ٣١١ هـ تقريبـــا بعد ان أفاد الطب ودفع به الى الامام فهو الذي أدخل الى الصيدلة اســـتعمال الملينات وتطبيق المركبات الكيمياوية على الطب ٠

والرازي هو مخترع الفتائل فكان يكثر من استعمالها وكان رحمه الله يعني بالتشريح فكان أول من ميز العصب الحنجري من الأصـل الذي هو مضاعف في الجهة اليمنى ٠ ومما يروى انه حينما فقد بصره في شيخوخته لم يرض بأن يقوم له بعملية القدح غير جراحي يذكر له عدد أغشية العين ٠ وللرازي اكتشافات كيمياوية أهمهـــا زيت الزاج ( حامض الكبريتيك ) والغول ( الكحول ) ٠ فاذا فخرت أمة بامام من أئمتها في الطب فللعرب كل الحق أن يفخروا بالرازي ويباهوا به الأمم ٠

**من مراجع البحث**


١ ــ ابن أبي اصيبعة ــ عيون الأنباء
٢ ــ ابن خلكان ــ وفيات الأعيان
٣ ــ المسعودي ــ مروج الذهب
٤ ــ ابن العماد ــ شذرات الذهب
٥ ــ القفطي ــ تاريخ الحكماء
٦ ــ ابن النديم ــ الفهرست
٧ ــ الحاجي خليفة ــ كشف الظنون
٨ ــ دي بور ــ تاريخ الفلسفة في الاسلام
٩ ــ سديو ــ تاريخ العرب العام
١٠ــ غوستاف لوبون ( ترجمة عادل زعيتر ) ــ حضارة العرب
١١ــ جورج سارطون ــ تاريخ العلم
١٢ــ الدكتور داود الجلبي ــ رسالة عن الرازي
١٣ــ كمال موسى ــ الهلال عدد كانون الاول عام ١٩٥٨م (ص٣٨ــ٤١)
١٤ــ معروف الرصافي ــ المقتبس ٣ : ٦٠٥ــ٦٠٩
١٥ــ يوسف اليان سركيس ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة
١٦ــ Andalus Vol. III Fasc. II. 468, 469.

# عراقي بدء به الأدب التركي (*)

الدكتور حسين علي محفوظ



حفيت بلدان العالم جميعا بنابغة عالمي فارق الحياة قبل ٤٠٠ سنة ، دعي الى احياء ذكراه العراق ، وتركية ، وايران ، وافغانستان، والهند ، والجمهورية العربية المتحدة . وأعدت اذربيجان مهرجانه ، وعدته عيدا وطنيا فرح الناس اجمعون به .

وكانت باكو محفل القوم ومجتمعهم في شهر كانون الاول من سنة ١٩٥٨ - وكان كل شيء في المدينة يلهج بـه ، ازينت الشوارع بالانوار ، وزخرفت الجدران بالصور ، وحفلت الصحف بالمقالات ، ونشر العلماء الكتب ، ونظم الشعراء القصائد . فلا تلتقي الشفاه الا باسم فضولي ، ولا تردد الألسنة الا ذكر فضولي ، ولا يغني المطربون الا شعر فضولي ، ولا يستخف الرقاص الا الحان فضولي ..

لقب عجيب ما كان شاعر ليتلقب به غيره . وانما تخيره الرجل تحرزا من طماعية أحد في شعره ، وسرفا في الحذر من اغتصابه ، ونسبته الى سواه ؛ فلا يظلم من هو فوقه ، ولا يظلمه من كان دونه . فقد تعود كافة الشعراء العجم ، وبعض الشعراء العرب المتأخرين ، التلقب في شعرهم باسم يختارونه ، ويذكرونه في آخر أبيات القصيدة والغزل ؛ يسمى التخلص .

ولد محمد بن سليمان بالعراق . وربما كان مسقط رأسه بلدة الحلة - مدينة السحر والشعر - فقد كان والده مفتيا بها .

---

(*) تقدم فضولي في الصناعتين ، فاتقن النثر والشعر ، من اجل ذلك عد - مجازا - بداية الادب التركي .

أما ميلاده ؛ فيخيل الي انه ولد في العشر الآخر من القرن التاسع الهجري • وقد قطن بغداد ، وأقام بها ؛ فنسب اليها ، وعرف بفضولي البغدادي •

وعزم في أخريات أيامه – وهو في جلال السن – على الاعتزال ، والزهادة ، وآثر التبتل والانقطاع ، واختار زاوية الوحدة ، وقنع بالكفاف ؛ فاعتكف في كربلاء – دار الشهادة ، وموطن الاباء – التي سماها « اكسير الممالك » ، وقبع في كسر بيت ، جوار قبر الحسين – عليه السلام – لا شغل له بغير العبادة والذكر • وقد لاقى حمامه في مدينة الشهيد المقدسة بطاعون سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م ودفن بها على خطى جنوبي صحن المشهد الحسيني ، تجاه باب القبلة •

كان فضولي شاعرا مخضرما ؛ أدرك الفرس والترك في العراق ، ونظم الشعر بالفارسية والتركية ، عد عن العربية •

وقد كانت الحلة – موطنه – مدينة المؤمنين ، ودار العلم ، وينبوع الآداب ، ومظنة الثقافة الدينية ، ومركز التراث الاسلامي ، فصادف مددا متتابعا من العلم ، ومضطربا واسعا من الأب • وورث نبوغ بلديه الأكبر صفي الدين الحلي ، الذي تقدمه ، وتوفي قبله بمائتين وثلاثة عشر عاما •

ولما دانت العراق لسلطنة بني عثمان ، وصارت للعثمانيين عليهم الدولة ، وتملكوا بغداد سنة ٩٤١ هـ ؛ هنأ السلطان سليمان القانوني بالنصر والفتح ؛ فعظمه السلطان ، وبجله رجاله ، ووظفوا له راتبا من وقوف بغداد • ولكن ؛ أساء اليه بعض متولي الوقف فكتب شكاية بالتركية ، لما ناله من غمط ، تعد خير نتاج أخرج للناس في الآداب التركية •

كان فضولي أديبا ملهما ، وكاتبا حاذقا ، وعالما فحلا ، وفيلسوفا عبقريا ، وصوفيا عارفا ، ونابغة مؤيدا ؛ اعرب في مقدمة الديوان التركي عن نفسه ، فقال انه : « اكتسب الفنون العقلية والنقلية ، واقتبس الفوائد الحكمية والهندسية ، وتتبع الأحاديث والتفاسير • وكان رائد فكره يسيح دائما في حدائق المؤلفات •• فجمع أسباب اختراع أفانين القريض ، وسخرت له ممالك فنون النظم ، وانتهت اليه رياسة أقاليم الكلام » •

وقد درس الفارسية ، وتعمق في آدابها ، واطلع على غررها ؛ فجارى « سعدى » ، وقلد « حافظ » • ونظم ( أنيس القلب ) اقتداء بهدى الخاقاني ، وخسرو الدهلوي ، والجامي • فكان رابع أولئك الفحولة ، وهم أعمدة الشعر الفارسي ؛ في اذربيجان ، وايران ، والهند •

وقد أثنى عليه كافة النقدة والأدباء ، وأطروه • قال الصادقي – خازن دار كتب الشاه عباس الصفوي : « هو نسيج وحده في الكلام الفارسي ، والعربي ، والتركي » •

وقال أمين أحمد الرازي – مؤرخ الهند : « فاق لداته بالفضل ، وسبق اقرانه في الفهم والذكاء • وهو في قرض الشعر – باللسانين – علم ؛ حاز

قصب السبق ، وتجاوز الحد » .

وقال النصر آبادي ناقد ايران : « كان ذا يد باسطة في النظم والنثر » . ولقبه نظمي زاده : « أفصح الشعراء » .

وما زال الترك يسمونه « رئيس الشعراء » ، ويعدونه «استاذ الكل» . وقد لقبه الأديب التركي المشهور عبد الحق حامد « الشاعر الأعظم » و «شيخ الشعراء » و « اعظم شعراء المشرق » .

وقد ترك فضولي آثارا قيمة في الشعر ، والنثر ــ بالعربية والفارسية والتركية ــ هي :

(١) أنيس القلب ــ منظومة شينية بالفارسية ، عدتها ١٣٤ بيتاً .

(٢) بنك وباده ــ منظومة بالتركية في ٤٠٠ بيت .

(٣) ترجمة أربعين حديثا بالتركية .

(٤) حديقة السعداء ــ بالتركية ــ ترجمة كتاب روضة الشهداء المشهور ــ بالفارسية ــ تأليف كمال الدين حسين الواعظ الكاشفي .

(٥) حسن وعشق ــ بالفارسية .

(٦) ديوان فضولي ــ بالتركية .

(٧) ديوان فضولي ــ بالعربية .

(٨) ديوان فضولي ــ بالفارسية .

(٩) رسائل فضولي ــ بالتركية .

(١٠) رند وزاهد ــ في ٨٥٠ بيتا بالفارسية .

(١١) ساقي نامه ــ منظومة بالتركية في ٣٠٠ بيت .

(١٢) ساقي نامه ــ منظومة بالفارسية في ٤٠٠ بيت .

(١٣) شاه وگدا

(١٤) شكايتنامه ــ رسالة بالتركية في الشكاية ؛ تعد ــ كما تقدم ــ خير نتاج أخرج للناس في الآداب التركية ، وتتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر المعاني ، ومحاسن الألفاظ ما هو مفخرة ومأثرة خالدة في اللسان التركي .

(١٥) صحت ومرض ــ بالفارسية .

(١٦) ليلى ومجنون ــ منظومة بالتركية في ٣٤٠٠ مزدوج .

(١٧) مطلع الاعتقاد ــ في علم الكلام ؛ وفق مذهب الحكماء والامامية .

(١٨) معميات .

وقد ذاعت آثاره ، وسارت شهرته في العراق وتركية وايران واذربيجان وارمينية وتركستان الهند قديما حديثا ، فهو امام الأدب التركي الأكبر ، وشاعر الآذرية العظيم ، وعنوان النثر التركستاني ، ونابغة العراق في القرن العاشر الهجري ــ غير منازع ــ تتداول الأيدي ديوانه ، ويتمثل الأدباء بشعره ، ويروى المتأدبون قصائده ، ويحذو الشعراء حذوه ، ويقلد صواغو القريض اسلوبه ، ويتأثر الكتاب بألفاظه .

ما زالت آراؤه تضيء فلسفة الانسانية في الحياة والاجتماع والحكم ٠
ومن شعره :

لا تضع ـ أيها الحاكم الظالم ـ
منشارك على نخلة الزارع ؛
لتصنع منها عرشا لك ،
فقد تعهدها من أجلك ٠

★

وليست المروءة
أن تؤلم أسنانك
شفة حبيب ؛
رضابها يهب المرهم ،
لجراحات قلبك ٠

★

ما تعمل أيها السلطان
بعرش سيتحطم كالسفينة
في ذلك الطوفان
الذي يتفجر من عيون الفقراء ؟

★

ان لك نصيبا في زرع الحراث
كالشريك
وعليك ان تكون حارسا له
من كل آفـــة ٠

★

هو يؤدي اليك الضريبة
فعلى من الضريبة ـ
اذا كنت أنت ؛
الآفة التي تبتز ثمره !؟

★

لا تظنن الأمير سخيا ،
ولا تحسبن عطاياه مرسومة للأعيان ٠
ان احسان المضطر لا يسمى كرما ٠
هو مجــــرم ٠٠
وأعيـــانه جباة ٠

★

الكريم الذي لا يرائي ٠
هو من لا يفرق جوده بين الصديق والعدو ٠ ٠
فاذا ضرب عدوا ؛
رماه بسهم من الذهب والفضة ؛
لكي يأسو بثمنه جرحه ٠

★

الفقير يعلم أن الله ــ سبحانه
يطعمه الخبز ما دام حيا
فلم ــ اذن ــ يخفض رأسه ؛
لتعظيم الكبراء ؟!
ولم يقبل منة السلاطين والملوك والأمراء ؟!

وقال يخاطب ولده فضلي ، وينصحه أن يعتمد في الحياة على نفسه :

مشيت في هذا العالم المظلم ،
فمررت ببستان ؛
فيها عجائب لا تحصى ؛
زارع كبير ٠٠
يتعهد ــ منذ زمان طويل جدا
شــــجرة ٠٠
ســــعى كثيرا ،
حتى أخرجت الأغصان والأوراق ٠
ثم طلع الثمر ،
وما زال يؤتي غذاءه ،
ويظل على الشجرة ــ
ما دام فجا ، لم ينضج ٠
فاذا أينع ٠٠
فلا بد أن يفترقا ،
فتقطف الثمرة ٠
فالفاكهة ــ اذا بقيت متدلية من الشجرة ؛
ضرها طول بقائها في الهواء ٠٠
فتيبس ٠
وتعرضت الشجرة ــ أيضا ــ لحجار الصبيان والعابرين ٠

★

أنعم النظر في الحقيقة ٠٠
الفاكهة أنت ،
والشجرة أنا ،

والبستان ؛ الزمان ،
والفلاح هو الفلك الأحدب ،
يتعهد مزرعة الدهر .

صرفت نقد عمري ،
من أجل رعايتك .
وتكاد تبلغ السماء طولا من الكبر .
عش ـ وحدك ـ يا بني ..
فان فرخ البازي ؛ اذا استطاع الصيد ؛
خير له أن يطير ،
ويفارق العش .

× ×

**المراجـــــع :**


١ ـ آتشكده ـ لطفعلي بيك آذر ( بمبي ١٢٩٩هـ ) .
٢ ـ تاريخ العراق بين احتلالين ـ عباس العزاوي ( بغداد ١٣٥٤ـ١٣٧٢هـ ) .
٣ ـ تحفة سامي ـ سام ميرزا ( طهران ١٣١٤ش ) .
٤ ـ تذكرة مجمع الخواص ـ صادقي كتابدار ( تبريز ١٣٢٧ش ) .
٥ ـ تذكره نصرآ بادى ـ ميرزا محمد طاهر نصرآ بادى ( طهران ١٣١٧ش ) .
٦ ـ دانشمندان آذربايجان ـ محمد علي تربيت ( طهران ١٣١٤ش ) .
٧ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ـ اقابزرك الطهراني ( النجف وطهران ١٣٥٦ـ١٣٦٦هـ ) .
٨ ـ ريحانة الأدب ـ محمد علي تبريزي مدرس ( طهران ١٣٦٩هـ ) .
٩ ـ سجل عثماني ـ محمد ثريا ( استانبول ١٣١٦هـ ) .
١٠ـ عثمانلي مؤلفلرى ـ بروسه‌لى محمد طاهر ( استانبول ١٣٣٣ ـ ١٣٤٣هـ ) .
١١ـ فضولى ـ سلمان نظيف ( استانبول ١٣٤٣هـ ) .
١٢ـ فضولى البغدادى ـ الدكتور حسين علي محفوظ ( بغداد ١٩٥٩ ) .
١٣ـ قاموس الاعلام ـ ش. سامي ( استانبول ١٣١٤هـ )
١٤ـ كليات ديوان فضولى ( مطبعة خورشيد ١٣١٥هـ ) .
١٥ـ لغات تاريخية وجغرافية ـ أحمد رفعت ( استانبول ١٣٠٠هـ ) .
١٦ـ مباحث عراقية ـ يعقوب سركيس ( بغداد ١٣٧٤هـ ) .
١٧ـ مجالس النفائس ـ عليشير نوائى ( طهران ١٣٢٣ش ) .
١٨ـ مجلة الزهراء ـ محب الدين الخطيب ( القاهرة ١٣٤٥هـ ) .
١٩ـ هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادي ( استانبول ١٩٥١ـ١٩٥٥ ) .
٢٠ـ هفت أقليم ـ أمين أحمد رازي ( كلكته ١٩١٨ـ١٩٣٩ ) .

# النفط في العالم

## ـ المخزون العالمي
## ـ استخراج النفط وتكريره
## ـ هل ستؤثر الطاقة الذرية عليه ؟

النفط عالم قائم بذاته ٠ فهو في الواقع عامل فعال في سياسات الامم والشعوب ، بمقدار ما هو وسيلة ضرورية من وسائل العيش ٠

ولذلك فان الاسئلة التي ترد على البال دائما في موضوعه هي اسئلة من نوع واحد ، هل سيتفقد النفط من العالم اذا استمر استخراجه على هذا النطاق ؟ وهل ستؤثر الطاقة الذرية عليه او تعوض عنه ، وكيف يجري استخراجه وتكريره في الوقت الحاضر بعد التقدم العلمي الملحوظ في جميع المجالات ؟

وقد تقدمت « الاقلام » بهذه الاسئلة الى المختصين في وزارة النفط ، واستطاعت ان تحصل على الاجابات العلمية المتيسرة عنها بصورة تفصيلية امكن اختصارها فيما يلي :



### المخــزون العالمي من النفط

يقول أحد الاختصاصيين المدونين في شؤون النفط في العالم ، وهو السيد « ج٠هـ٠لودون » كبير المديرين الاداريين في شركة « رويال دويتش شل » في تكهناته عما ينتظر صناعة البترول في ربع القرن المقبل ، انه من المتوقع ان يزيد استهلاك الوقود مرتين ونصف المرة على معدله الحالي نظرا الى أن من المتوقع ان يبلغ عدد سكان العالم ضعف عدده الحالي مع زيادة في مستوى الحياة قد يصل بالطلب الاستهلاكي الى حدود (١٠٠) مليون برميل يوميا ٠

ولم ينس أن يقول في معرض حديثه هذا ان بترول الشرق الاوسط هو الذي ستقع عليه التبعة في مضمار النفط والغاز الطبيعي خلال ربع

القرن المقبل • وأن التنقيب عن النفط في كل مكان ــ حتى في المناطــق القطبية ــ سيجري على نفس النطاق •

وهو يرى ان المناطق المغمورة بالبحار اذا اضيف مخزونها المقدر ، فان ذلك سيزيد على الانتاج النووي بمقدار الف مرة اذا ادخلنا في حسابنا الزيت الذي يمكن استخراجه من القار والحجر •

وتنبأ بان سنة ١٩٩٩ قد تشهد صناعة البترول تدار تحت سطح البحر بعمق الفي قدم أو أكثر ، وقد يلجأ العلماء الى الحفر تحت سـطح البحر بواسطة القوس الكهربائي أو بواسطة التفجيرات النووية المحصورة •

وربما آلت الحاجة الى استخدام الغواصات ذات يوم لتقديم خدماتها الى رجال النفط في البحر ، كما قد تقام مصانع لتمييع الغاز الطبيعي على قعر البحر لينقل مباشرة الى حاملات مبردة فوق سطحه •

وذلك أن زهاء ربع ما تمس الحاجة اليه من النفط والغاز موجود تحت قعر المحيطات وتحت اعماق بعيدة •

أما التوسع في استعمال النفط والصناعات البتروكيماوية فسأن الشركات تتطلع الان الى اليوم الذي تنتشر فيه هياكل السيارات والبيوت من اللدائن المستخرجة من النفط • وبالتالي فان على صناعة الفولاذ ان تستعد لمواجهة ما تواجهه صناعة المطاط اليوم من منافسة المنتوجات الاصطناعية • بل ان صناعة الاغذية نفسها قد تجد صناعة النفط تلاحقها بالمزاحمة عن كثب اذا نجحت تجارب استخلاص البروتين من النفط •



ان ما ستحتاجه صناعة النفط للقيام بكل ذلك سيبلغ حسب التقديرات زهاء (١٢٥) الف مليون جنيه اذا كان الغرض سد الحاجـة العالمية سنة ١٩٩٠ حين ينتج ثلاثة أمثال ما ينتج اليوم من كميات النفط • ومثل هذا المبلغ الضخم لا يمكن ان يتهيأ من مصدر آخر غير مصدر النفط نفسه • اذ لا يمكن ان تعتمد الشركات البترولية على الحكومات او على الوكالات الدولية كالامم المتحدة مثلا ، لانها ستجد نفسها متورطة في نزاعات السياسة الدولية وما يعتورها من فقدان للاطمئنان المالي اللازم لتطوير طويل الامد لموارد النفط العالمية •

أما الارقام الدالة على المخزون العالمي من النفط فيمكن ايجازها بالاتي :

بلغ أحتياطي النفط الخام في أهم المناطق المنتجة في العالم حوالي (٢٩٥) بليون برميل في نهاية سنة ١٩٦٣ ويمثل هذا الرقم حوالي ٨٨٪ من الاحتياطي العالمي •

وعلى ذلك فيكون الاحتياطي العالمي ( المتأكد منه ) من النفط حوالي (٣٣٥) بليون برميل • فــاذا بقي احتياطي النفط الخام ( المتأكد منه ) محافظا على مستواه الحالي دون زيادة فانه يكفي العالم لمدة (٣٣) سنة على أساس كمية الانتاج لسنة ١٩٦٤ وقد بلغت حوالي عشرة بلايين برميل •

## استخراج النفط وتكريره

عندما كانت صناعة النفط في مهدها في مطلع هذا القرن ، كان التهافت عليه يحول دون التروي في كيفية استخراجه وتكريره .

أما اليوم ، وبعد أن تعقدت الحياة بصورة عامة ، وتقدم العلم ، فان عمليات استخراج النفط وتكريره أخذت في التوسع والتشعب بحيث أصبح نوع التكنيك الخاص بذلك من الامور التي تؤثر تأثيرا كبيرا على مستقبل النفط بوجه عام .

كان مجرد استخراج النفط الخام هدفا مقصودا من الماضي ، أما الان فان المهمة تبدأ بمعالجته واستخلاص انواعه بالشكل الاقتصادي الذي يدر الربح ، ولا يضيع منه أي شيء .

فالمعروف ان النفط يمكن الاستفادة منه كليا ، ولا يبقى منه اية « حثالة » كما هو الحال في العناصر الاخرى .

وتبدأ عملية التصفية المعقدة بالتقطير الجزئي ثم تاخذ ادوارها الفنية بالهدرجة والتثبيت واستخلاص الغازات للحصول على المشتقات النفطية على اختلاف اشكالها . ولا يمكن التوسع في هذه الناحية لانها فنية لايفهمها القارىء العادي . ولكننا نستطيع القول الان عملية التكرير الحديثة بالقياس الى الطرق القديمة ، وبسبب متطلبات الحياة العصرية ، تكاد تشبه الفرق بين الطائرة الاولى التي استخدمها الانسان ، وما وصلت اليه اليوم من سرعة وقوة تصل الى ضعف سرعة الصوت مثلا .



وكما اشرنا آنفا فان استخراج النفط لم يعد كما كان الامر في الماضي من مهمات الهندسة المدنية والهندسة النفطية ، لان البحث عنه في اماكن كقاع المحيط مثلا ، قد جعل هذه المهمة غاية في التعقيد والصعوبة ، وتحتاج الى المزيد من الجهد والفن .

ولما كان عصرنا هذا يتفنن في تخفيض كلفة الانتاج فان المشكلة تصبح اكثر تعقيدا اذا علمنا ان البحث عن النفط في مظانه البعيدة يتكلف زيادة في الكلفة اصلا ، فكيف اذن يمكن تخفيضها قياسا على الماضي ؟

ومع ذلك فان عمليات استخراج النفط وتكريره - بل ونقله ايضا - آخذة في بعض النواحي مأخذ الاستقرار والميل نحو الهبوط اطرادا مع زيادة الخبرة وتهيؤ الايدي الاختصاصية كلما تقدم علم النفط في سيره الحثيث . ولما كان جانب كبير من مورد النفط يخصص اصلا للبحوث الفنية وزيادة القدرة على التحسين ، فان مستقبل هذا العلم يكاد يكون مضمونا .

واذا نظرنا نظرة تفاؤلية الى تكاليف الجهود المبذولة في سبيل التعاون عالميا بشأن استخراج النفط وتسويقه ، واذا لم تتدخل العوامل السياسية الدولية ، فمن الممكن أن يكون استخراج النفط في خلال القسم المتبقى من القرن العشرين اكثر فعالية وجدوى .

## هل ستؤثر الطاقة الذرية على النفط ؟

ان ما يقال عن موضوع النفط والطاقة الذرية يكاد يشبه ما قيل عن الفحم والنفط عندما أصبح الاخير مزاحما للاول .

فقد تنبأ الكثيرون بأن الفحم سوف يفقد قيمته كليا بعد تيسر الكميات المطلوبة من النفط للاستعمال .

ولكن الواقع أن الفحم لا يزال موجودا ومطلوبا ، وان كان وجوده على وضعه الحالي مدينا للحمايات الكمركية التي وضعت لغرض المحافظة على مستواه في البلدان المنتجة له .

فلا تزال مصادر الفحم تسد نسبة كبرى من حاجة استهلاك الوقود في أمريكا مثلا ، ولا تزال هذه الاخيرة تتوسع لمجابهة المزاحمة الكامنة في تنمية مصادر الطاقة النووية التي تنفق عليها اكثر من مائتي مليون دولار سنويا لوضع هذا المصدر الجديد للطاقة على أسس تجعله قابلا للاستثمار التجاري .

وآخر المشاريع الكبرى في هذا الميدان مشروع « ويستركريك » الذي يتوقع ان ينتج ـ نوويا ـ ستمائة الف كيلواط بسعر تجاري لمصلحة المستهلكين في منطقة نيويورك الكثيفة السكان .

وتقول صحيفة « الفاينانشيال نيوز » ان اصحاب المشروع يقولون ان مشروعهم هذا يستطيع ان يزاحم اقتصاديا المولدات التي تعتمد على الفحم ، وتشير الى الجهود المستمرة لتخفيض كلفة انتاج الكهرباء بالطاقة النووية بشكل يمكن أن يزاحم تكاليف انتاج الكهرباء بالفحم والمساقط المائية في حوالي سنة ١٩٨٠ .

والواقع ان تنمية مصادر الطاقة المتنافسة تجد ما يحفزها في توقع الخبراء استمرار الزيادة السنوية في استهلاك الكهرباء بمعدل ٦٪ طيلة هذا العقد والعقد التالي .

ولاول مرة تعلن الحكومة البريطانية على لسان وزيرها للطاقة المستر « فريد لي » بأن في وسع الطاقة النووية أن تصبح مزاحمة لانواع الوقود الاخرى بشكل اقتصادي .

وقد أيد الوزير المذكور أن سنة (١٩٧٠) سوف تشهد التوصل الى أخفض كلفة للكهرباء بعد الانتهاء من المشروع النووي الذي يجري تشييده في انكلترة في الوقت الحاضر .

ومن هنا يمكن جلاء الصورة بشكل اوضح اذا جعلنا الاجابة عن السؤال الخاص بمزاحمة الطاقة النووية للنفط مشروطة باحتمال واحد ، هو أن تتجه الدراسات والبحوث الخاصة في هذا الصدد اتجاها علميا مقصودا به الناحية الاقتصادية المجردة ، خلوا من العوامل الاخرى ، وفي مقدمتها الصراع المستميت على السلطة .

فان الطاقة النووية ما تزال حتى الان من ممتلكات الدول الكبرى التي

تحرص عليها باعتبارها من الاسرار الحربية المهمة . وليس سهلا في الوقت الحاضر ان يجزم المرء بأن تغيرا جذريا سيحصل في هذا الشأن ، ما دام الجو السياسي ملبدا حتى الان .

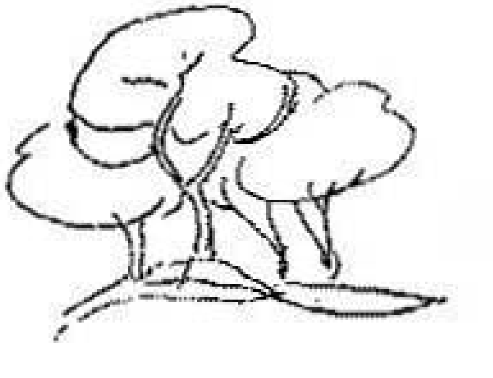
ويبقى بعد ذلك ان الطاقة النووية لا يمكن ان تصبح قبل سنة (١٩٧٠) على أحسن الفروض متيسرة لاغراض غير الاغراض الحربية على نطاق واسع . ولابد أن تمضي فترة أخرى غير قليلة لكي تكون موضع التجربة والخطأ ، فيمكن القول منذ الان ، ان منافسة حقيقية للنفط قبل سنة ١٩٨٠ غير معقولة . وفي هذا الوقت تجري الان الدراسات بصورة ملحة لايجاد منافذ اخرى لاستهلاك النفط على نطاق واسع فوق استهلاكه الحالي محليا ، ليمكن أن يحافظ على مستوى اهميته في البلدان المنتجة له ، وهـو ما يجري الان فعـلا .

فقد عقدت الرابطة البريطانية لتقدم العلوم اجتماعها السنوي قبل مدة للمرة الخامسة على التعاقب وكان موضوعها مصادر العالم وحاجاته من الوقود والطاقة ، وقد قالت جريدة « الغارديان » التي أوردت هذا النبأ أن العالم قد يعاني نقصا في الوقود في مستقبل قريب منظور ، وأن الندرة تأمل أن يكون في استطاعتها تحسين الوضع ببعض ما يمكن تبنيه مـن تدابـيـر .

كما أن ايران مثلا تقترح أن يجري منذ الان تشكيل لجان من منظمة ( اوبيك ) لدراسة إمكانيات خلق الفرص الممكنة للدول المنتجة للنفـط لاستهلاك نفطها ، أو أغلبه ، تفاديا من منافسة الطاقة الذرية له .

والواقع ان من الضروري بالنسبة للبلدان المنتجة للنفط أن تأخذ مأخذ الجد موضوع مستقبل النفط على أساس انه مهدد تهديدا اساسيا من جانب الطاقة النووية ، فتتخذ ما يمكن من التدابير لكي تحافظ على ثروتها بشكل متوازن بعيد عن المؤثرات .

( * * * )



# نِداء

**حميد سعيد**

يرين على ملامحك الذبول — وحسبي قد أمض بك التحول
وحمل مقلتيك صدى حزيناً — وأفقدها المنى درب طويل
احس وراء نظرتك احتراقاً — وأشواقاً يسربلها الذهول
وأغنية يكاد الفجر فيها — يموت ويسخر الليل الثقيل

* * *

أريدك كانطلاق العطر نشوى — بأنغام الحياة .. لتسمعيني
أريدك كالأغاني الخضر جذلى — أريدك كانفتاح الياسمين
كأحلامي ككركرة الصبايا — بقريتنا .. ويقتلني حنيني ..
فما أحببتها الا لأني — عرفت على ملاعبها يقيني
فيا يا من احب فدتك نفسي — أريدك هكذا .. ولتعذريني

* * *

أفاتنتي أيظهر بي شحوب — وقد عصفت بشاعرك الدروب
أعيش ورغم مأساتي أغني — هناك بقريتي أبداً طروب
سأضرب ما حييت بكل أرض — تناولني الفيافي والسهوب
وأفتح للحياة يداً وقلباً — تحف به على مقة قلوب
فديتك تسمعين .. اليك شعري — وأغنيتي تكاد هنا تذوب

* * *

وجدتك عبر دربي عين ماء — بصحرائي تنور لي طريقي

وتحملني الى فجر رقيق    وتسعدني وتطفىء من حريقي
عرفت بك الحياة وان تمادت    علي وقابلتني بالعقوق
وشدتني الى قدر غريب    وألقت بي الى عنت وضيق
ستبتسم الحياة .. لنا اذا ما    حملنا الشمس في وتر طليق

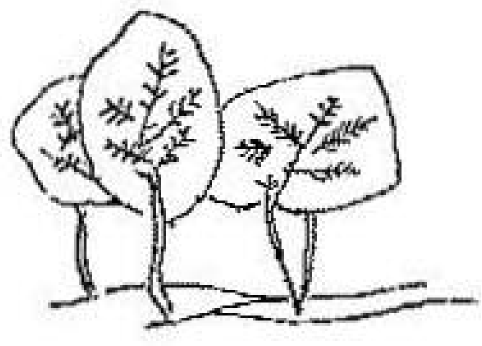
* * *

وأبحرنا نرى العتمات نوراً    وعصف الموج كالعذب النمير
وعانقنا الصباح بكل ليل    وغنينا الربيع مع الطيور
ندوس على الحصى فضاً غليظاً    فنحسبه فراشاً من حرير
أفاتنتي حياتي جرح مجد    أقدسه الى النفس الاخير

* * *

أفاتنتي أريدك لي ربيعاً    وينبوعاً ونهراً من أغاني
وبيتاً فاغماً بالطيب أنسى    به الدنيا وأوهام الزمان
وروضاً عابقاً عطر الحنايا    ولي في روض وجهك زهرتان
تسح على الدنى عطراً وحباً    والحاناً وفجراً من حنان





# القراءة المدركة والدعاية

عبد الودود العلي

**تقـــديم :**

ان التيارات السياسية التي تقاذفت الكثيرين من الناس شرقا وغربا وما ساوق ذلك من مشاكل في شتى المناحي الانسانية والثقافية والاجتماعية، مما سيحكم عليه التاريخ ، يدل بحد ذاته على ان الفرد العادي في بلدنا جاهل لابسط اصول القراءة المدركة • وحتى أولئك الذين يعتقدون في انفسهم كمال الثقافة والتعليم ، ممن يعرفون القراءة والكتابة قد يكونون جاهلين ، كما يبدو ، بقواعدها الاساسية ، وغير ملمين الا بميكانيكياتها الاولية ، مما لا يغني ولا يسمن من جوع ، كما لا يحصن المرء تجاه الصناعات الكلامية الحديثة التي تتمثل في الاعلان وانواع الدعاية : مكتوبة أو مقروءة أو مصورة ، بما فيها من غش وخداع ونفاق والتواء ليس من اليسير معرفته ما لم يكن المرء ملما به • وليس أدل على ذلك ، وكمثل أيضا يصدق عن الحاضر ، من هذا « العشق والغرام » لصناعات اجنبية معينة ، يمكن الاستغناء عنها بغيرها : وطنية أم أجنبية •

والحالة في هذا المضمار شبيهة الى حد بعيد بما وجد عليه الكاتب الشهير « مارك توين » أهل مدينة فرجينيا ، في ولاية نيفادا ، من عشق شديد لهواية تلقفها الناس آنذاك ، وكانت تتعلق بالمتحجرات • وقد بلغ من حبهم وتتبعهم لاخبار المتحجرات حد الهوس • فوجد « مارك توين » نفسه مضطرا لان يلبس لباس المصلح الاجتماعي ، وكان حينئذ يعمل محررا في مجلة "Territorial Enterprise" وفي بداية عهده بالكتابة • فكتب رواية خيالية ساخرة عنوانها « الرجل المتحجر » وملأها بكل المبالغات والخيالات والسخرية التي أرادها أن تنبه الناس في نيفادا وتثنيهم عن هوستهم ذاك •

ولشدة شغف الناس بهوايتهم تلقفتها الايدي والاعين بحسن نية ولم يفطن أحد الى قصد الكاتب من قصته الا بعد حين • وفي هذا يقول : « مارك توين » : لقد كان « الرجل المتحجر » كقصة ساخرة عن هوس المتحجرات ، أو عن أي شيء آخر ، فشلا ذريعا ، لان كل انسان استقبله بنية حسنة ، وقد دهشت جدا لرؤية المخلوق الذي صنعته ليهدم الهواية العجيبة، يتخذ مكانه بهدوء ، في الموقع الرئيسي الهام في قائمة العجائب الاصيلة التي

انجزتها نيفادا » (١) ٠

من هذه المقدمات يبدو ان الفرد العادي لا يعي ما يقرأ وأنه ليس ميالا الى نقد ما يقرأ نقدا صحيحا مدركا ٠ كما انه في أغلب الاحيان ، لا يقرأ في الواقع الا ما يساوق تحيزاته الخاصة ٠

## كنه القـــراءة

لقد بحث موضوع القراءة كثير من الاختصاصيين من وجهات نظـــر المواضيع التي يمارسونها ، فقد درسها الاطباء كما درسها الادباء واللغويون الذين يركزون اهتمامهم في العلاقات بين الاصوات ( التي تمثل التعبيـر الشفهي ) والاشكال المكتوبة ( التي تمثل شكلا من اشكال التعبير المدون ) ٠ وقد بحثها علماء النفس الذين يوجهون اهتمامهم الى دراسة الاستجابات الفردية أو الجماعية لمؤثرات معينة : صوتية أو صورية أو مكتوبة ٠ وكذلك بحثها علماء الاجتماع وغيرهم ٠ وقد قالوا فيها الكثير كل حسب اختصاصه ، وكان اهتمام معظم هؤلاء منصبا على المادة المقروءة وليس على القارىء ٠ الا ان وجهة نظر مدرس القراءة مأخوذة بصورة رئيسة عن وجهة نظر علم النفس الذي يوجه اهتماما كبيرا للافراد وتأثير القراءة عليهم ٠

ان المقصود بالقراءة حاليا هو ادراك المعنى وأصدار الحكم على المادة المقروءة بصورة صحيحة ناقدة ، وليس مجرد توفر قابلية التلفظ والنطق للعبارات المكتوبة ٠ والقراءة تعني ايضا أمورا مختلفة بالنسبة الى الاشخاص المختلفين كما تختلف بالنسبة لنفس الشخص باختلاف الاوقات ٠ فقراءة الطالب لدروسه وأمتحاناته غير قراءته لقصة او لرسالة من أهله وأحبائه ٠

ومن الضروري ان يكون المرء على حذر بالنسبة للمعاني المختلفة التي يمكن ان تعطى الى كلمة القراءة ، كما ان الطريقة التي تقودنا الى قراءة ما من وجهة نظر معينة قد تؤدي الى معنى مغاير من وجهة نظر مغايرة ٠

## مدارسنا والقراءة المدركة

ومن يتصفح الكتب التي دونت باللغة العربيـة لتدريس القـــراءة واصولها في مدارسنا ، لا يجد فيها غير ميكانيكيات القراءة ٠ كما ان الاهداف المدونة فيها ، اهداف تتميز بكونها لا تتعدى الدوران حول نقطة واحدة مفادها ان القراءة هي وسيلة الاطلاع والتفاهم ٠ وبالطبع فان مثل هـــذه الاهداف لا تدع مجالا للشك بأن تدريس هذا الموضوع الحيوي لا يلقى العناية التي ينبغي ان توجه اليه ٠ ان التحليل الناقد للمواد المقروءة معدوم تقريبا في مدارسنا بمختلف مستوياتها الابتدائية والثانوية وحتى الجامعية ٠

---

(1) Eller, William, "Fundamentals of Critical Reading." *The Reading Teacher's Reader*, 1958, pp. 30.

والذي يجلب النظر ان كل الجهود المبذولة هنا لا تتعدى ضبط اواخر الكلمات وغيرها من ميكانيكيات القراءة والتركيز على اعطاء المعاني الصحيحة بالنسبة الى مفردات تاتي في نصوص معينة لا تتعداها ولا تتغير في غالبية الاحيان • كما أننا نعتقد ان الاهتمام بالمواد التي تقرأ لا يلقي جدية مدروسة• وفي هذا ما فيه من خطر جسيم في التأكيد على أن الكلمات تحمل معاني خاصة لا تتعداها ، وهو أمر لايؤدي الى توسيع آفاق الادراك عند الطلبة • ولتنوع الموضوعات التي تقرأ وتحلل ، أهمية خاصة ، تهيأ الافكار الغضة عند طلبتنا لمواجهة شتى انواع الكتابات المهيئة لاغراض متنوعة •

أن مدارسنا لا تزال بأمس الحاجة لاعطاء خبر مدروسة ، تستند الى الاحصاء في تعليم القراءة المدركة والطرق التي تمنح المرء القدرة على تحليل ما يقرأ والتي توضح له كيف يقـــوم الدعائيون بعملهم واساليبهم • فالسيطرة على مثل هذه الامور تفتح للطالب آفاقا جديدة تمكنه من تقدير ما يقرأ تقديرا يكون أشد اقترابا من التجربة والموضوعية والفهم المدرك الواعي • ان مثل هذه الخبرات تحول دون تضليل الشخص لنفسه ، أذ أن المرء كثيرا ما يضلل نفسه لا سيما اذا انساق وراء تحيزاته الخاصة • فالسيطرة على ميكانيكيات القراءة فقط ، تضع في يد المتعلم سلاحا خطيرا : يمكن ان يقوده الى تضليل نفسه ، كما يمكن أن يؤدي به الى آفـــاق مســـتنيرة •



## عوائق في طريق القراءة المدركة

ان العقبات هنا تعود الى مزايا نظامنا التعليمي ، كما ان هناك أسبابا أخرى تعود الى تكوين مجتمعنا بصورة عامة • ان من أهم اسباب الضعف الكبير في اللغة خاصة وفي التعليم عموما ، ما يتعلق باستعمال اسلوب الكتاب المصدر الواحد • ان هذا الاسلوب يخدع المتعلم من عدة وجوه : منها فشله في التهيوء للقراءة المدركة • كما ان استخدام كتاب واحد كمصدر يعني أن هذا سيكون لدى الطلاب كثقة لا تدحض ، فيعتاد الطلاب على تقبل محتوياته دون شك أو تساؤل • فضلا عن أن عدم استعمال مصادر اخرى لا يوفر الفرصة للطلبة ليكتشفوا ان المؤلفين الاخرين قد لايتفقون تماما مع كتابهم الرئيس • ولذا فالكتاب الواحد يشكل خطرا ذي حدين : الاول ، انه يخلق هيبة واحتراما فائقين لمؤلف واحد ، والثاني انه يسلب الطلبة تمرينا ذهنيا هاما يتمثل في مقارنة وجهات نظر متباينة متعددة •

ويخلق التعليم في مدارسنا عقبة أخرى تتمثل في تلك الهيبة او الهالة التي تحيط بالكلمة المطبوعة التي تتكون في اذهان الطلبة مصحوبة بثقة عمياء فيما هو مدون على الورق • وكثيرا ما يسأل الطالب ، خصوصا في

المدارس الابتدائية ، عما يعن له ، فيكون الجواب أن « انظر ماذا يقول الكتاب » .

نستطيع أن نقلل من هذه الهالة وهذه الثقة العمياء ، باعطاء الاطفال بعض التمارين التي تدحض بعض ما يقرؤنه ، استنادا الى تجاربهم الخاصة . فبعض كتب الصحة تذكر الارهاق الذي يصيب العين نتيجة اوضاع خاصة في القراءة او الاضاءة ، وهو أمر يدحضه ولا يتفق معه جميع الاخصائيين من الاطباء . لذلك ، فالشروح التي يلقيها بعض هؤلاء الاخصائيين على الطلبة ستفيد هؤلاء في هذا المجال .

وربما كان من أسباب فشل مدارسنا في تطوير القراءة تجنب المواضيع التي تهم مجتمعنا بصورة مباشرة . وهذه وغيرها من الاسباب تدفع المعلمين والمدرسين والطلبة الى اجترار التفكير في أمور لا تمت الى الواقع بصلة أو تمسه فحسب مسا خفيفا ، ولا تصلح بصفة رئيسة كتمارين ذهنية حقيقية ، بل مجرد « روتين » للنقاش والجدل لا يعدو ان يستخدم قضاءا للوقت والهاءا اعتباطيا لمتطلبات درس معين . وبالطبع فمعظم المعلمين والمدرسين يتجنبون هذه المواضيع التي قد تتعلق بمشاكل سياسية او جنسية أو اجتماعية التي قد تثير ردود فعل من بعض الجماعات ، مما قد يسبب لهم مشاكل هم في غنى عنها .

ان التأكيد على مبدأ « حشر مع الناس عيد » يشكل عقبة في طريق القراءة المدركة . وهو يمثل الممالاة بأجلى معانيها . والممالاة أو المسايرة مرغوب فيهما الى حد ما ، ويؤديان الى اعداد خطوط عريضة يسير عليها المجتمع والناس بأسرهم ، الا أن المبالغة فيهما تؤلف عدوا خطيرا للتفكير الناقد الوقاد . وكثير من الاباء مثلا من الممالئين : اذ أن منهم من يقلق أشد القلق اذا اعلن أحد ابنائه عن رغبته في ممارسة او دراسة التمثيل مثلا . كما ان الكثير من الناس يخشى لبس بعض انواع الثياب لئلا يبدو « عصريا أكثر مما ينبغي » في أعين الناس الذين يحيطون به .

وهناك عقبة أخرى تقف في طريق الفكر والقراءة المدركة خصوصا بالنسبة لبعض الموضوعات ، وتتمثل هذه في السوية الشخصية للقارىء . فكثير من القراء لا يستطيع ان يكون موضوعيا في تثمينه أو حكمه على المادة المقروءة بالنسبة لمواضيع معينة . ومرد ذلك الى سوية الشخص النفسية والاجتماعية والاسس التي يضعها في ذهنه كقواعد يستند اليها في تثمين ما يقرأ .

ومما يساعد على وجود هذه العقبات هو فشل بعض القراء في معرفة ان القراءة المدركة من الضرورة بمكان ، وكذلك عدم وجود اساليب مقننة للتحليل والنقد . وهناك الكثير من الناس ممن لا تدخل الريبة نفوسهم في ان بعض المؤلفين قد يكتب لاغراض اخرى ، عدا غرض عرض الحقيقة

المجردة او الربح المادي الناتج عن بيع الكتاب أو المقال . كما أن هؤلاء القراء لايعلمون أن لهم حاجات معينة ترمي اليها الدعاية والاعلانات ، سيما واننا نعيش في عصر اطلق عليه « عصر العلاقات العامة » .

وتؤلف المعاني والعلاقات بين العبارات والجمل مشاكل أخرى تؤدي في غالب الاحيان الى واحد من اثنين : أولا ، فشل القارىء في فهم قصد المؤلف نتيجة تفسير خاطىء للمادة المقروءة : مفردات وعبارات . اذ تؤلف لغة الاستعارة والبيان والبديع والتشبيهات مصادر عدم الفهم الكامل ، وهي تؤثر على كل الافراد من شتى الاعمار والثقافات . وثانيا ، قد يفسر القارىء النص المقروء بالطريقة التي يرغب فيها المؤلف الى درجة ما .

وليست بنا حاجة هنا أن نذكر أن بعض انواع الدعايات له فوائده ، اذ ليس كلها ضار ، ومن امثال ذلك دعايات المؤسسات العلمية والتعليمية كاليونسيف واليونسكو . الا أن المرء ينبغي ان يعرف أنها دعاية حتى ولو كانت لسبب وجيه .

**اساليب الدعايـــة(٢)**

ان الاساليب التي تستخدم في الدعاية كثيرة ، وهي على الاغلـــب متشابكة وتستخدم بحذق كبير بحيث تفوت الفرصة في كثير من الاحيان على القارىء ، في ملاحظة هذه الاساليب واكتشافها ما لم يكن له المام بها . ويستطيع القارىء المدرك ان يتحسس الاساليب التالية :

١ ــ استعمال اللغة الانفعالية الرنانة باطناب .

٢ ــ استعمال الكلمات والعبارات الحبلى بالمعاني ــ الغليان ، الام ، التقرح ... الخ .

٣ ــ استعمال العبارات المتكلفة التي تحتل معنيين بخصوص رأي له أكثر من جانبين ( كما في : من لم يكن معنا فهو ضد ) .

٤ ــ النتائج تكون مستقاة من افتراضات مكذوبة ــ وتدعى باسلوب « الرجل القش » .

٥ ــ النتائج تكون مكذوبة ولا حجة فيها ، مستنتجة من فرضيات تبدو مقبولة .

٦ ــ التفسير المخطوء عن عمد او عن جهل بالحقائق المجربة .

٧ ــ الاستهزاء بالمعارضة .

٨ ــ التلميح أو الغمز واللمز .

٩ ــ المبالغـــة .

---

(2) Eller, William, "Reading and Semantics", *Fifth Yearbook Southwest Reading Conference*, 1956 p.p. 52-58.

## الحاجة الى ادراك المعاني وشمولها

تحتم القراءة المدركة اتخاذ خطوات واسعة في التفكير • وهي تتضمن ايضا محاولة الحصول على الحقائق وتفسيرها بتعمق اكبر ، واصدار حكم القارىء الشخصي فيما يتعلق بصحة المحتوى في نص معين ، والغرض منه ، واعتداله ، وتحيزه ، وصدق العبارات فيه (٣) • والقارىء الذي لا يحاول ان يفعل ذلك يسهل خداعه لنفسه وتضليله لها •

وتنبع الحاجة لاتخاذ هذه الخطوات مما يلي :

١ ــ معرفة ان مجموعة معينة من الكلمات ليست كتلة ثابتة تحمل معنى واحدا لا تتعداه ، بل تعني أمورا مختلفة لاناس مختلفين . كما انها مرنة احيانا الى درجة كبيرة • وكثيرا ما يكون المعنى كامنا في نفس القارىء • اذ ان أي قارىء يستند في فهمه لمعظم المعنى في نص من النصوص ، على خبرته الاساسية التي كونها لنفسه بمرور الوقت • وهو بدونها لا يستطيع أن يكسب الكلمات التي قد يستطيع أن يتلفظها ، أي معنى • ولو طرحنا سؤالا على عدد من الناس لوصف « موقف محرج » مثلا ، لتبين لنا مقدار التباين في « الموقف المحرج » الذي يسرده كل منهم •

٢ ــ معرفة اساليب الدعاية والاطلاع على نماذج مختلفة منها يساعد كثيرا على فهمها • وتهيئة التمارين لهذا الغرض ينبغي أن يدرس بعناية لايضاح جوانب الدعاية المختلفة في كل تمرين • وبهذا نستطيع أن نقود طلبتنا نحو الطريقة العلمية في التثمين •



٣ ــ معرفة أن جمهرة الكتاب تكتب لاغراض شتى • ومن الضروري ان يتساءل القارىء عن الغرض الذي كتب من أجله نص من النصوص • وقد نشرت بعض الكتب في أمريكا تبحث في أمثال هذه التمارين وفيها تعطى نصوص مختارة ويسأل الطالب عنا أسئلة كهذه : « من يريدك ان تعتقد بذلك ؟ » ، « لاي من احتياجاتك وجه هذا النداء ؟» و « ما هو غــرض المؤلف ؟ » كما نشرت كتب أخرى تبحث في القراءة المدركة عموما (٤) •

٤ ــ تبصر القارىء في مزايا نفسه وتفهمه لنواحي التعصب فيها • وهــذا يستغرق وقتا اكبر ويتطلب تجردا كبيرا من الشخص كما ينبغي ان نقدر أهميته • وفهم جوانب الضعف والقوة في المرء يساعد كثيرا في هذا الموضوع •

---

(3) Smith, Nila Banton, "Looking Ahead In Teaching Reading", *The Reading Teacher's Reader*, 1958, p.p. 41

(٤) من أمثال الكتب التي تهتم بالقراءة

a. Stroud-Ammons-Bamman, *Improving Reading Ability*.
b. Hayakawa, S. I., *Language In Thought And Action*.
c. Al tick, Richard D., *Preface To Critical Reading*.

## أهمية القراءة المدركة

ان أهمية التحليل المدرك للقراءة يستند الى حاجات ثلاث ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار :

١ ـ أن حياتنا الاعتيادية تعج بمختلف انواع المعلومات المشوهة من « سجاير منعشة » الى « ثلاجات تدوم العمر كله » الى « تعليم ودور حضانة أفضل » · لذلك اذا اردنا تنظيم حياتنا بصورة صحيحة ينبغي أن نلم بالوسائل التي تجنبنا المعلومات المخطوءة ·

٢ ـ ثم ان الطبيعة المثيرة للاعلانات والدعاية الحالية التي تسخر انواعا شتى من المزاعم التي قد تبدو منطقية وخداعة الى درجة كبيرة ، لاسيما ان المتدبر للاعلان يجد ان كل صاحب بضاعة يبدو مستعدا « ليبرهن » على ان بضاعته اجود بالطبع من بضاعة منافسيه · وفي هذا الخضم لا عجب ان يحار المرء في اختيار حاجاته وارتكاب اشنع الاخطاء ، احيانا ، والتورط في بضاعة لا تدوم الا ربع المدة المقدرة لها ، أحيانا اخرى · وفي كلا الحالتين يدفع الخسارة من جيبه ·

٣ ـ لقد فطن العالم المتمدن الى أهمية القراءة في اطلاع الجمهور على الاخبار التي تهمه ، فأخذ يشن حملات محو الامية ، ليتسنى للجمهور الاطلاع على الحقائق ·

من هذا يتضح ان المرء معرض لشتى المعلومات في حياته اليومية والتي ينبغي « غربلتها » وتحديد موقف منها · ولذلك ينبغي عليه ان يثمن مصادر معلوماته باستمرار ·

## أسس القراءة المدركة وتعليمها :

اذا أردنا ان نثمن معلوماتنا بصورة ناقدة صحيحة ، كان علينا ان نمتلك مهارات معينة ، فكما يتعلم كتاب الاعلان اساليب الدعاية وفنونها ، ينبغي أن يسيطر القارىء على أساليب تحليل الدعاية والاعلان ·

وليست قابلية القراءة معدومة او متوفرة بصورة كاملة عند الافراد ، بل هي موجودة فيهم بدرجات متفاوتة وتختلف باختلافهم ، وكذلك باختلاف الموضوعات التي تكون موضع القراءة والنقد · ولا تتوفر هذه القابلية عند قارىء واحد بالنسبة لكل المواضيع المحتملة ، إذ ان هذا يتطلب خبرة طويلة واسعة في جميع تلك الموضوعات وهذا أمر يكاد ان يكون مستحيلا ·

اما المدى الذي يتوصل اليه المرء في تثمينه ونقده للمعلومات فيعتمد

على ما يلي من الاصول :

١ ـ معلومات ثقافية واسعة ٠
٢ ـ الذكاء : متوسط أو أكثر ٠
٣ ـ المهارات المناسبة للقراءة المدركة ٠
٤ ـ السوية الشخصية التي تتيح المجال للبحث الموضوعي والعوامل البيئية المحيطة به ٠

من الواضح هنا ان بعض الاصول اعلاه يمكن التأثير عليها بالتعليم ٠ أما بعضها كالذكاء فليس من المنتظر أن يؤثر أو يحسن فيه التعليم رغم انه ضروري جدا ، بالنسبة الى نوع الحكم في القراءة المدركة (٥) ٠ اما السوية الاجتماعية والنفسية فيمكن التأثير عليها اذا اقتنع الاشخاص بالاسس التي يستند اليها هذا التأثير والذي قد يعني أحيانا تغيير بعض الاراء في المواضيع التي تهم المرء ٠

اما الاساس الثقافي الواسع والمهارات التثمينية فتستجيب بصورة ملحوظة الى جهود المعلم والمدرس كما يمكن تنميتها باستمرار وبسرعة تعتمد على توفر العوامل والاستعدادات الاخرى وهوايات القارىء كذلك ٠ وعند اتقان هذا الاساس يصبح المرء خبيرا في ذلك الموضوع ، وهو أمر لابد منه للنقد الموضوعي المدرك ٠

والملاحظ ان قليلا جدا من مدارسنا تعلم الطالب فيها اهمية فحص تاريخ حقوق الطبع وكفاءة المؤلف وسمعة الناشر ، وهي من « روتينيات » القراءة المدركة ٠ كما ان اعطاء الطلاب مواد دعاية احيانا تتلوها بعد القراءة أسئلة تتعلق بالغرض الذي يرمي اليه الكاتب من مقالته تلك ولماذا يريد القارىء ان يصدق مقالته ، الى غيرها من الاسئلة التي تتطلب أجوبة تحليلية نقـــادة ٠

وكثرة التمارين وتحليلها بصورة دقيقة صادقة تتيح الفرصة للطلاب فهما أكبر واستيعابا اشد وبالتالي تكون لهم قابلية للنقد المدرك لكل ما قد يتعرضون اليه من قراءة وكل ما يواجههم من معلومات متنوعة ٠ ويبـــدو بديهيا ان اطفال اليوم هم رجال الغد ، وان علينا مسؤولية كبرى في اعدادهم لحياة اليوم والغد اعدادا صحيحا ٠

**ختـــام**

ان كتب تعليم القراءة لدينا تؤكد على الميكانيكيات فقط دون جوانب

---

(5) Stroud, James B., *Psychology In Education*, Longmans: New York, 1956, p.p. 113-164.

التحليل والنقد . وهي بهذا تبدو هزيلة لا توفر ما يتطلبه التعليم الحديث لهذا الموضوع الحيوي . اذ ان جميع الطلاب : من سريعي الفهم أو بطيئيه ، يتعلمون ميكانيكيات القراءة أن عاجلا أم آجلا . الا ان الخطر يكمن في عدم تثمين النص المطبوع : سيما اذا علمنا ان الاعلان والدعاية الحالية تعكس جوانب النقد التي تعتقد بها الجماهير كما تعكس جوانب حسن النية التي تتصف بها . ولا يبقى بعد ذلك الا ان نعيد القول : ان من يمتلك المهارات الاولية للقراءة فقط ، يمتلك سلاحا خطيرا ذي حدين :

قد يضلل نفسه به أو يقودها الى آفاق مستنيرة . وكما يقـــول « رجارد آلتك » Richard Altick في كتابه المرسوم بـ « المدخل الى القراءة الناقـــدة » (Preface To Critical Reading)

« حينما يكتشف القارىء ليس فقط ما يقال ، وانما لماذا يقال ايضا ، شانه في طريقه ليكون قارئا ناقدا بالاضافة الى كونه قارئا مدركا » .





# المهرج

قصة : لالبرتو مورافيا    ترجمة : سركون بولص

في ذلك الشتاء وقد قر رأيي على ألا أترك عملا دون أن أزاوله ، بدأت أطوف على المطاعم عازفاً على قيثارتي بصحبة صديق لي كان يغني . كان هذا الصديق يدعى ميلوني، كما كان ملقبا بالاستاذ لانه كان قد ألقى ذات مرة دروساً في الالعاب السويدية . وكان رجلا كبيرا في حوالي الخمسين ، ليس سميناً بالضبط ولكنه أعبل ولحمي ، ذو وجه ثقيل ، شرس ، وجسمه كبير الجرم كان يجعل المقاعد تطقطق كلما جلس على واحد منها . وكنت أعزف على القيثار حسب فكرتي الخاصة ، ذلك هو الامر ، كنت أفعل هذا بجدية ، دون أن أتحرك تقريباً ، وعيناي مخفوضتان ، لانني فنان ولست مهرجاً ؛ كان ميلوني هو الذي يؤدي دور المهرج . وكان يبدأ بصورة عرضية ، وقد انتصب مستنداً بظهره الى الجدار ، وأسبل قبعته القديمة فوق عينيه ، وابهاماه في ثقوب صداره ، وكرشه يطل من قمة سرواله يسنده حزام من الجلد : كان يبدو كرجل مخمور يغني للقمر . وكان يبدأ بالتحمس تدريجيا فينتهي – رغم انه لم يكن يغني حقاً ، فما كان له ثمة صوت ولا أذن للغناء – بأن يجعل من نفسه هزأة ، أو بالاحرى ، كما قلت ، بأن يؤدي دور المهرج . كان اختصاصه الاغاني الشعبية ، أشهر الاغاني التي من هذا النوع ، الاغاني التي كانت بالاجمال تؤثر في الناس وتدفع بالدموع الى عيونهم ، ولكن في فمه هو كانت هذه الاغاني لا تؤثر مطلقاً ، بل انها كانت تدفع الناس الى الضحك ، لانه كان يعلم كيف يجعلها مضحكة بطريقة سيئة ، كئيبة وحده العارف بها ، لم أكن أدري بما ينتاب هذا الرجل – في احتمال ان تكون ثمة امرأة قد عاملته بشكل سيء في شبابه ، أو في احتمال ان يكون قد ولد بتلك الصورة ، ذا شخصية من النوع الذي يسره أن يمسخ الاشياء الرائعة الجميلة . ولكن تبقى هناك حقيقة انه لم يكن شخصاً بتلك البساطة ، كلا ، فقد كان يقدم في عمله نوعا من العنف يحتاج كل ما لدى الناس المشغولين بالأكل من بلادة كي لا يدركوا بأن عرضه لم يكن مضحكاً بقدر ما كان مؤلما . وكان يتخطى نفسه بالاخص حين يقدم

حركات أنثوية صغيرة وألاعيب وتلميحات · ما الذي تفعله المرأة ، أهي تبتسم باغراء ؟ وكان ، تحت حافة قبعته ، يبتسم ابتسامة منحطة كما تفعل المومس · أهي تهز ردفيها قليلا ؟ وكان يبدأ برقصة بطيئة ، مطوحا بردفيه المربعين الصلبين كقراب جندي · أهي تجعل صوتها ناعما عذباً ؟ وكان ، اذ يمط شفتيه ، يبعث بصوت طفيف ، متـــولع ، كصوت المزمار كان بالتأكيد يبعث على الغثيان · ولم يكن لديه ، في الواقع ، ثمة تجديد ، فقد كان يكرر ذلك دائماً فيغدو بليداً منفراً · وكنت لهذا ، في الحق ، أشعر بالخجل أحيانا كثيرة ، لانه شيء ان تصاحب بالقيثار رجلا يغني وشيء آخر أن تكون مرافقا لمهرج ·· وآنذاك كنت أتذكر بأنني كنت قبل وقت قريب أعزف لهذه الاغاني نفسها ، يؤديها بشكل جاد فنان رائع ؛ فكان يشقيني أن أراها تهون بتلك الصورة ، وتطمس قيمتها والرهافة التي فيها · قلت له هذا مرة ، حين كنا ننطلق عبر الشوارع من مطعم الى آخر · وسألته :

ـ ولكن ما الذي فعلته بك النساء ؟

وكان ، كالعادة بعد ان يؤدي دور المهرج ، كئيبا شارد الذهن ، كأن جميع الانواع من الافكار الغريبة تمر برأسه · وقال :

ـ بي ؟ انهن لم يفعلن بي أي شيء ·

فأوضحت قائلا ـ ان سبب سؤالي هو انك كثير التحمس في التنكيل بهن ·

فلم يجبني ، وكانت تلك نهاية الحوار ·

كنت سأتركه لو لم تكن فائدتي في البقاء ؛ لانه كان ـ ولو ان هذا قد يبدو مستحيلا ـ يربح بسفالاته من النقود أكثر مما يربحه أي مغن متجول ممتاز بأغانيه الجميلة · وكنا نذهب في الاغلب ، ليس الى المطاعم الثمينة ، ولكن الى أماكن كانت أبسط واكثر شيوعاً الا انها غير رخيصة مطلقا ، أماكن يذهب اليها الناس لينعشوا أنفسهم بقضاء وقت جيد ، وكنا ما ان ندخل وابدأ أنا ، دونما صوت ، بأن أتناول قيثارتي من غطائها ، حتى ترتفع من الموائد المزدحمة صيحة وحيدة ·

ـ آه ، الاستاذ ·· ها هو الاستاذ ·· تعال هنا ، يا أستاذ ·

وكان ميلوني يتقدم ، مقطبا ، زلق العينين ، في انشراح تام ، يزلج بقدميه على الارضية ، فيقدم نفسه بهذه العبارة : « في خدمتكم » ؛ و « في خدمتكم » هذه كانت بذاتها مضحكة ، بالكيفية التي يقولها بها ، بما يكفي ليجعل كل أحد ينفجر ضاحكاً · وفي تلك الاثناء تكون صحون السباغيتي قد وصلت ؛ وبينما الخادم يهرول ليقدم الطعام ، كان ميلوني يعلن ، بصوت أحمق ، مبهوز صغير :

ـ أغنية جميلة حقا ! « حين تهبط روزينا من قريتها » ٠٠ ساكون أنا روزينا ٠

ولك أن تتصور كيف كان اولئك الناس ، وهم يراقبونه يؤدي دور روزينا ، بتلميحاته ومجونه المألوفين ، يتوقفون تماما والسباغيتي يتدلى من شوكاتهم ، بين أفواههم وصحونهم ٠ وما كانوا جماعات من القصابين أو ما شاكل ذلك : بل كانوا نوعا من البشر الانيقين ، رجال يرتدون بزات قاتمة زرقاء ، ذوو شعر مدهون ولآلىء في أربطة أعناقهم ؛ ونساء رقيقات ، باذخات ، يرتدين الفراء وكثيرا من المجوهرات ٠ وكان أحدهم يقول للآخر ، بينما ميلوني يقوم بدور المهرج ٠

ـ انه عظيم ٠٠ انه لعظيم حقا ٠

أو ان احدهم يصيح ثانية بعصبية :

ـ والآن من فضلكم لا تذيعوا على كل انسان بأننا قد اكتشفناه ٠٠ والا فسوف يفسدونه ٠

ومن بين مباذله الاخرى ، كانت لميلوني لاغنية اعتاد ، في نقطة معينة منها ، لكي يجعل الشخصية مضحكة اكثر ، ان يصدر من فمه أصواتا معينة لن أصفها هنا ٠ حسناً ، هل ستصدقون ؟ لقد كانت دائمـا تلك السيدات الانيقات ، الراقيات أنفسهن من اللواتي يرغبن في استعادة هذه الاغنية ٠

يجب الاعتراف بأن رأس ميلوني قد أدارته هذه الترحيبات جميعا ٠ لقد كان يعيش في غرفة مؤثثة ، معتمة ورطبة ، في منزل خياطة في « فيـا سيمارا » ٠ وفي الوقت الحاضر ، كلما ذهبت الى المنزل لأرافقه ، كنت أجده واقفا أمام المرآة ، يتمرن على قطعة جديدة تبعث على النفور ، أو يقوم بتبدلات اخرى ٠ وكان يسبغ على هذا المشهد رتوشا كئيبة ، كممثل عظيم يستعد لدوره ، وكنت وأنا جالس على السرير أراقبه يؤدي رقصة بطيئة أمام المرآة الموضوعة فوق الدولاب ـ أفكر أحيانا بأنه مجنون بعض الشيء ٠

سألته ذات يوم :

ـ ألم يحن الأوان لتخترع شيئاً جذاباً ، شيئاً مثيراً ؟

أجابني ـ كما تعلم ، انك لا تفهم من الامر أي شيء ٠٠ حين يأكل الناس ، فهم يريدون أن يضحكوا ، لا أن يثاروا ٠٠

وأضاف بشراسة : ـ وأنا ، انني أدفعهم الى الضحك ٠

وسرعان ما دفعته الرغبة في التجديد الى أن يحمل معـه ، في حقيبة صغيرة ، بضعة أثواب نسائية ـ قبعة صغيرة مثلا ، وازار ، وصدرية ـ كان يرتديها وهو في مكانه ، لكي يجعل مهازله اكثر تسلية ٠ وكان حب الملابس النسائية هذا ، في نفسه ، غريزة تقريبا ؛ ولا أستطيع ان أصف كم كانت مؤلمة رؤيته وهو يتهادى في مشيته وعلى عينيه القبعة الصغيرة ، والصدرية مربوطة بحزامه ، فوق سرواله ٠ وفي النهاية ، حينما عجز عن اكتشاف حيل

اخرى ، أراد مني ان أمثل دور المهرج أيضا ، أثناء مداعبتي لأوتار قيثارتي ، الا انني رفضت ان أفعل هذا ٠

كنا نطوف على المطاعم حسب امكاننا ، فيما بين الساعة الثانية عشرة والساعة الثالثة وبين الثامنة ومنتصف الليل ٠ وكنا نتناولها مجموعات ، حسب الايام : في حين ما المطاعم التي في محلة بيازا دي سبانيا ، وفي الحين الآخر تلك التي في بقعة تراستيفير ٠ وبعد ذلك تلك التي قرب المحطة ٠ ولم نكن نتكلم ونحن ننطلق خلال الشوارع منتقلين من مطعم الى آخر ؛ ما كان هناك ثمة انسجام حميم فيما بيننا ٠ وكنا ، اذ ننهي دورتنا ، ندخل حانة فنقتسم فيها المال ٠ ثم في صمت ، كنت أدخن سيجارة ويشرب ميلوني ربعاً من النبيذ ٠ وفي الأماسي ، كان من عادة ميلوني أن يتدرب على أدواره أمام المرآة ؛ وأثناء ذلك كنت أنام أو أذهب الى السينما ٠

ذات مساء والريح تهب ، وبعد أن تجولنا في مطاعم تراستيفير ، دخلنا حانة خلف شارع ماستاي ، وقد فكرنا بأن ندفيء نفسينا أكثر من تفكيرنا بتقديم عرض ٠ وكانت غرفة طويلة ، ضيقة ، تشبه دهليزا ، فيها صف من المناضد تحاذي الجدار ، والى المناضد يجلس أناس فقراء على الأكثر ، يشربون نبيذ صاحب الحانة ويأكلون أشياء ملفوفة في جرائد ٠ ولابد انه الغرور ـ طالما انه لم يكن اهتماما ـ ذاك الذي شجع ميلوني على أن يجعل من نفسه أضحوكة في حانة من ذلك الصنف ٠ على كل حال ، لقد اختار أغنية من أجمل أغانيه ، وبواسطة فأفأته المعتادة وتحشنه ، حولها الى مقطوعة هزلية ٠ وحين انتهى ، صدر عن الناس تصفيق متلوج جدا ، وبعد ذلك ، قال صوت من بين المناضد :

ـ والآن أنا الذي سأغنيها لكم ٠

واستدرت فرأيت ، مقبلا نحوي ، شابا جميلا ، يرتدي بدلة ميكانيكي ، رقيقا كالملاك ، كان يرمق ميلوني بنظرات ساخطة كأنما كان مستعدا لأن يأكله ٠ وقال لي بلهجة آمرة :

ـ عد الى العزف من البداية ٠

وكان ميلوني قد خاف فتظاهر بأنه منهمك وسقط في مقعد قرب الباب ٠ وأشار الشاب الي بأن أبدأ ثم شرع يغني ٠ لست أدعي بأنه كان يغني كالمغني الحقيقي ، الا انه كان يغني بانفعال ، بصوت بديع ، دافيء ، ناعم ؛ كان يغني ، في الواقع ، كما يجب أن يغني الانسان ، وكما يفترض في الأغنية أن تغنى ٠ وفوق هذا ، كما قلت ، كان رقيقا جدا ، بخصلات شعره تلك ، خصوصا حين مقارنته بميلوني ، الضخم الكئيب للغاية ٠ وكان قد استدار نحو الممر الذي في الحانة وهو يغني ، محدقا باتجاه منضدة كانت تجلس اليها فتاة وحيدة ، كأنما كان يغني لها ٠ وحين انتهى ، أشار بيده المبسوطة الى جهة ميلوني ، كأنه يقول : « هكذا يغني الناس ٠ » ؛ ثم عاد الى المنضدة ، والفتاة التي ألقت بذراعيها حول عنقه على التو ٠ وفي الحانة ،

والحق يقال ، لم يصفقوا له أكثر مما صفقوا لميلوني ، ولم يفهم أحد منهم لماذا أزعج نفسه فغنى ٠ الا انني فهمت ؛ وكذلك فهم ميلوني ٠

وبينما كنت أعزف ، كنت أرمق ميلوني بصورة مستمرة ؛ ولقد رأيته ، عدة مرات ، يمرر يده فوق وجهه وتحت شعره المتهدل فوق جبينه ، كانسان يحاول جاهدا ان يستيقظ بينما النوم يصرعه في الحقيقة ٠ الا انه لم ينجح في أن يخفي تعبيرا مريرا لم أره على وجهه من قبل مطلقا ؛ وكلما بدأ الشاب مقطوعة جديدة ازدادت تلك المرارة كما كان يبدو ٠ وأخيرا نهض وهو يتمطى ويتظاهر بالتثاؤب ، وقال :

ـ حسنا ، حسنا ، لقد حان وقت العودة والنوم ٠ اني لنعسان بشكل مريع ٠٠٠

وافترقنا في ركن الشارع ، ضاربين الموعد المعتاد لليوم التالي ٠ وما حدث بعد ذلك أثناء الليل ، استنتجته فيما بعد ؛ الا ان الأمر كله ليس غير استنتاج وحسب ٠ لقد قلت بأن رأس ميلوني قد دار ، وانه كان يؤمن بأنه فنان من نوع ما في حين انه لم يكن في الواقع الا حطاما بائسا يؤدي دور المهرج ليمتع الناس بينما هم يأكلون ؛ لذلك ، ازداد وقع السقطة التي أدت اليها تلك الاشارة من قبل الشاب الذي يرتدي بدلة العمل ٠ أظن انه ، وبينما الشاب يغني ، لا بد قد رأى نفسه ، على حين فجأة ، ليس كما كان يعتقد حتى ذلك الحين ، بل كما كان حقا ـ رجل زري ، ضخم في الخمسين ينحط بنفسه ويلقي الأشعار الشعبية ٠ بيد انني أفكر أيضا بأنه أدرك ان من المستحيل عليه ان يغني بعد ، حتى لو تعاقد مع الشيطان ٠ كل ما كان يطيقه ، بالفعل ، هو أن يدفع الناس للضحك ؛ والطريقة الوحيدة التي يستطيع بها أن يضحكهم هي أن يهزأ بأشياء معينة ٠ وفي الواقع ، كانت تلك الأشياء هي الأشياء التي لم يفلح قط في أن يملكها طيلة حياته ٠

ان الأمر ، كما قلت ، ما هو الا تخمين ٠ الشيء الوحيد المؤكد هو أن الخياطة التي يسكن لديها ، وجدته في اليوم التالي معلقا بين النافذة والستارة ، في المكان الذي يعلق به قفص الكناريا عادة ٠ لقد لحظه عابرو السبيل في الشارع ، حين نظروا خلال النافذة فرأوا زوجا من السيقان والأقدام يتأرجح في الهواء ٠ وفي حقد ، كجميع من ينتحرون ، كان قد أقفل الباب ووضع ازاءه الدولاب ذا الأدراج ، وفي أعلاه المرآة : من المحتمل انه أراد ان يشاهد نفسه ، كما كان يفعل حين يلقي أغانيه ، وهو يضع رأسه في الأنشوطة ٠ على كل حال ، لقد وجب عليهم أن يكسروا الباب ، فسقطت المرآة وتهشمت ٠ وحين أخذوه للدفن كنت رفيقه الوحيد ، تاركا قيثارتي هذه المرة ٠ وكان على الخياطة أن تستبدل المرآة بأخرى ؛ الا أنها عوضت نفسها بأن باعت الحبل ، على قلة ثمنه ٠

# محاولة في دراسة أدب السياب

عبد الرحمن طهمازي

١ ـ في هذه المحاولة سنقوم بدراسة ديوان السياب الاخير ( شناشيل ابنة الجلبي ) لما يمثل في سلوك التاريخ من انتهاء ومشارفة · ولما يحويه هذا الديوان من دلالات في نفسية السياب وتطوراته في نفسه وما يعنيه هذا التطور · فقد استطاع علم النفس ان يقدم لنا ما استطعنا بواسطته ان نلقي الضوء على نفسية السياب ·

٢ ـ في هذا الديوان قصائد ذات تكتيك بدائي غير معهود في قصائده المتمكنة ولعل هذا راجع الى مرضه · فهو يكتب بوهن وضعف · وتبدو هذه الظاهرة التي يلح في اللوم فيها · وهذا ينسجم مع ضعفه وبالتالى يتلائم مع طريقته في التعبير حيث يأتي اللوم وتذكر الماضي باشفاق وتواضع وقد يمضيان بانكسار فهو لذلك يختار اللفظة العادية التي لا تتعب والانسيابية المريحة التي تسير برزانة خلال هذا النوع من القصائد ··

اما قصائده التي اراد فيها ان يعاود تمرده فهو لمرضه كذلك ولواقعه النفسي ولمادة شعوره يراجع تراثه الشعري فلا يلتفت ابدا عن تكتيك القصيدة الجديدة المتعب ·

وتفسير ذلك انه مريض ويحاول التمرد ·· حزين يذكر اسباب حزنه فهو يتمرد باستماتة ويثور بغضب وحنق ( ليالي السهاد ) ·

والذي يبدو ان القصائد التي نظمها في البصرة متعبة منهوكة قد أخذت من السياب قسطا من راحته فهو يكتبها مسلوب القوة والسيطرة على اداته ·

اما قصائد لندن فاكثرها شديدة السبك يبدو فيها السياب مستعدا تمام الاستعداد للكتابة ·

والملاحظ ايضا ان قصيدته ( جيكور أمي ) ذات الشكل العروضي الجديد الذي شرحه باختصار في نهاية القصيدة ، كتبت في لندن ، وهذه القصيدة غير ذات قيمة في بنائها لفشلها الموسيقي وتثاؤبها وتقلتها المتدحرجة، فهو مرة يلزم روح محمود حسن اسماعيل ولكنه في اغلب الاحيان يلزم روح القصيدة التي التزم بناءها هو · ومع هذا فتدل هذه القصيدة على أن السياب كان متفرغا لما نظمها فهو يريد ان يشغل وقته حتى بابتداع نظم جديد ! أو وزن جديد استساغته اذنه في المرض ·

وهذه القصيدة ضمن احدى عشرة قصيدة كتبها الشاعر في شهر واحد وهذا يدل على أن الشاعر قد تمتع في ذلك الشهر بصحة طيبة اعطته الفرصة للتفوق على المرض ومحاولة السيطرة على الصوت الحقيقي له ·

ولكن اغلب هذه القصائد التي نظمت في ذلك الشهر كانت ايضا ضعيفة التركيب في بنائها واظن انه من الخير تقسيمها حسب ايام نظمها لنرى :

١ ــ ليلة في لندن ٣ـ٢ـ١٩٦٣ قصيدة جيدة البناء ·
٢ ــ جيكور أمي ٥ـ٢ـ١٩٦٣ تحدثنا عنها ·
٣ ــ في المستشفى ٥ـ٢ـ١٩٦٣ تبدأ ببناء عروضي عمودي الا انها تنتقل الى التكنيك الجديد بخفة متداعية ·
٤ ــ ارم ذات العماد ٢١ـ٢ـ١٩٦٣ وهي قصيدة رائعة من ناحية بنائها وتسلسلها ·
٥ ــ يقولون تحيا ٢٣ـ٢ـ١٩٦٣ قصيدة عادية في مراثيه الذاتية ذات تكنيك متأخر ولكنه ليس تكنيكا متطورا ·
٦ ــ شناشيل ابنة الجلبي ٢٤ـ٢ـ١٩٦٣ من قصائد الديوان الجيدة ·
٧ ــ اغنية بنات الجن ٢٦ـ٢ـ١٩٦٣ قصيدة تبدأ خفيفة وتنتهي خفيفة · في الوسط تكون اسمك من ناحية الشكل والموسيقى وضربة المعنى ·
٨ ــ يا غربة الروح ٢٦ـ٢ـ١٩٦٣ في هذه القصيدة تقدم وارتداد حيث يبدأ بالقريض ثم يتقدم الى الشكل الجديد الا انه يتراجع ايضا وهكذا ·
٩ ــ في الليل ٢٧ـ٢ـ١٩٦٣ من قصائد الديوان الجيدة ·
١٠ ــ وغدا سألقاها ٢٧ـ٢ـ١٩٦٣ قصيدة صغيرة يظهر بها التراجع الشكلي واضحا ·
١١ ــ ها ها هوة ٢٩ـ٢ـ١٩٦٣ متراجعة جدا ·

هكذا يظهر التراجع في قرابة الزمن في هذه القصائد · واذا حاولنا الاستفادة من هذه النظرة فاننا نقول ان الديوان كله قد نظم في اشهر متقاربة الا القليل جدا · واعتقد انه من الخير للقارىء ان يراجع الديوان كله حتى يقف على شكل السياب في هذا الديوان الذي أصدره في حالة مرض وجوع حيث سيجد قصيدته ( متى نلتقي ) وغيرها ايضا ·

٣ ــ ونستطيع أن نرصد الديوان رصدا فوقيا يحتمل الاصابة والخطأ بل انه يبدو يحتمل الخطأ ولكن لا بأس لهذا الرصد للنهاية في تقرير هذا الامر الذي سنعرضه ·

الديوان يحمل عنوان ( شناشيل ابنة الجلبي ) فهو للمرأة حيث يذكر في قصيدته التي بهذا العنوان ماضية ويعاود تذكر ( حبيباته السبع ) ولعل

هذا العدد شعري ، ويذكر مآلهن بعد زواجهن من غيره كل ذلك يذكره بروح الواهن المنتصر ٠

وفي الديوان كذلك اشارات الى امه التي نفتقدها في أكثر دواوينه ، يذكرها بحقيقتها او بالرمز كما وانه يرمز الى غيرها بها ( جيكور امي ) ٠ وامه باعتبارها قطب الموت وهو في حالاته تلك كان يتقرب الى الموت فاذن من المناسب جدا تذكر الام ( الباب تقرعه الرياح ) وفي ( في الليل ) يوضح هذه الصورة حيث تلقاه امه وتضمه اليها وتكسوه من كفنها الذي لا يبلى حيث ينسجه عزريل ٠٠

ولو مضينا في هذا الترصد الفوقي العادي لوجدنا قصيدة بعنوان ( في انتظار رسالة ) و ( احبيني ) و (غدا سالقاها ) و ( ليلـة وداع ) و ( اغنية بنات الجن ) التي يشترك فيها بنات الجن والانس بلباقة فهي اغنية للبنات جميعا و (أم كلثوم والذكـرى ) و ( كيف لم احببك ) و ( سلوى ) وأخيرا ( متى نلتقي ) وضمن هذه القصـائد يلاحظ مجون يائس متمرد ٠

والقارىء الذي يراجع هذه القائمة من العناوين سيجد دلالتها على التأنيث وعلى المرأة ٠ فلم رجع السياب الى المرأة في مرضه ؟ ٠ حنان المرأة وضعفه في مرضه وانكساره وآلامه جعلته يتذكر ماضيه وصباه بل حتى طفولته ويلونها بلون دام ويضمن ذلك حبيباته ٠



٤ ـ في هذا الديوان نلاحظ ان السياب تخلى عن رموزه التي اختارها قبل وفي بداية المرض فهو يفقد الثقة هنا بكل شيء ٠٠ نعم اغلب الاشياء التي كانت تمثل قطب الحياة لدى السياب ( أم كلثوم والذكرى )

قساة كل من لاقيت لا زوج ولا ولد
ولا خل ولا أب او أخ فيزيل من همي

٥ ـ العراق في هذا الديوان يحتل شيئا ما ويؤدي دوره في مسائل تطورات الشاعر كلها ٠ فالسياب عندما يكون في البصرة يبدأ بالبوح القريب حيث يملك الاشياء امام عينيه فيتحدث بهدوء وقرب اليها فهو يقترب من جيكور ويختلط بها ( جيكور واشجار المدينة ) ٠ كما انه في البيت حيث لا يسمع خفقة من نعال ولا كركرات على السلم ( خلا البيت ) ٠

وهو يمنح بلاده أكثر شعره دائما ففي ليالى السهاد يكتب أكثر مايكتب عن ليلته في العراق ويؤدي دور المغترب المنفي الذي خلقته الغربة والمحنة ٠٠

ففي العراق يكون السياب قد استرجع أنفاسه للتذكر والحرقة فيذكر الحكومات وأحوال العراق وهذا اقرب أيضا الى واقعه فهو لم يتلق المساعدات الكافية من الحكومات لدفع المرض عنه ويعلن بضجيج خروجه على الشيوعية حين تمرد الانسان فيه ٠

وهكذا يبدو السياب في قصائده التي يتحدث فيها عن العراق واحدا

من الذين يثيرون فينا شيئا من الشفقة والعطف ٠

٦ ـ حينما يتذكر السياب ماضيه ويجعله موضوعا لقصيدة ما يسيطر تمام السيطرة على اعصابه فيكتب وهو يستوحي اسطورة كما كان يكتب الشعر في الماضي ٠

واحسن مثال هو ( شناشيل ابنة الجلبي )و ( أرم ذات العماد ) ٠

فائتلاق الشناشيل مرة واحدة هو ائتلاق شبابه مرة واحدة وتربصه لرؤيتها هو كذلك تربص لعودة احلامه الضائعات ٠

ثلاثون انقضت ، وكبرت : كم حب وكم وجد
توهج في فؤادي !
غير اني كلما صفقت يدا الرعد
مددت الطرف ارقب : ربما ائتلق الشناشيل
فأبصرت ابنة الجلبي مقبلة الى وعدي !
ولم ارها ٠ هواء كل اشواقي اباطيل
ونبت دونما ثمر ولا ورد

اما ( ارم ذات العماد ) فهي مسرحية كاملة تخلو من الميلودرامية تماما فأرم هو شبابه الذي رآه مرة واحدة وجده الصياد والقاص هو السياب نفسه ٠ والملاحظ ان هاتين القصيدتين مع كونهما ضمن اضبارة قصائد الشهر الثاني الا انهما لموضوعهما ـ كما وضحنا ـ يبعدان عن اشكال تلك القصائد وموضوعاتها ٠



٧ ـ الصورة لدى السياب تلقى مركزة جدا ثم ينتهي الى التفصيل ٠ وفي هذا الديوان نجد ان السياب يتخلى لدرجة كبيرة عن هذه المسألة حيث يحاول ان يفصل دائما ٠٠ فهل يمكن اعتبار هذا تطورا طبيعيا في ظروف صحية ؟

لا يمكن اعتبار ذلك تطورا ٠

والسبب في ذلك التحول الناشئ هو ان السياب قد عدم الرؤية الطبيعية للاشياء فهو مريض يحب الحياة ويحب الموت وكلا المعنين يحملان معنى المضادة والمقابلة ولكنه اكدهما في معظم دواوينه السابقة ووضع لكل منهما رموزا خاصة ٠ وهو كمريض ليس مثل باقي البشر الاصحاء ٠ فيحاول ان يفهم الناس بما يريده فيطول ويشرح ٠

ولو بحثنا عن سبب آخر ماذا يكون ؟ نحن نعرف ان الفلاسفة مولعون بالتشبيه وضرب الامثال والتشريح مع التعبير بدقة في كل هذه الامور ٠ وهذه الظاهرة نجدها في كتابات الفلاسفة على مر العصور ٠ فهل كان السياب فيلسوفا ؟

لا اظن ذلك كما ان فكرة الدكتور لويس عوض في هذه القضية من

ان السياب صاحب دعوة او ما اشبه ذلك هي تحميل لظهر السياب اكثر مما يحمله ·

٨ ــ السياب في هذا الديوان تخلى تماما عن الامل ولم يحاول ان ينسى الموت او حتى ا نيتذكر الحياة كما تركناه في ( منزل الاقنان ) · واعتقد ان هذا التحول من اخريات تحولاته التي انتهت ولم يعبر الى غيرها حتى مات وهو تحول مهم من أهم ما حوى هذا الديوان ··

فالتفكير بالموت هو ارهب التفكيرات التي ترود الفكر الانساني والتفكير الحقيقي بهذه المشكلة يخلق من الانسان مخلوقا هازئا متشائما · ومن أغرب الاشياء في الحياة ان الاجيال التي تعيش قرنا ما ويحتويها زمن معين تولـد ناسية لكل الذين كانوا احياء · فهي تظن ان حياتها وحيدة يجب ملئهـا اما النظر الى الخلف أو حتى الى امام ــ من هذه الزاوية فهو ما يدفع الناظر الى الهرب وعدم الرجوع مرة ثانية الى هذه المغامرة الصعبة ·

وقلة جدا من يجتازون هذه السلطنة ، هذه القلة التعيسة تظفر بأسى وحزن نشفق عليه في اكثر الاحيان الى خارج الدائرة وتظل تعي الموت وتتفكر فيه بالحاح وضغط كبير · والانسان الحديث الذي وعى على صوت حربين انسان ما بعد الحرب الثانية كان أرهف من غيره لهذا كان تفكيره بالمـوت أرهف كذلك ·

والانسان العادي فيه ( السائر في نومه ) يسيطر عليه الحزن والاكتئاب من مصيره الذي كونه الحاده ونفوره من الدين قبل ان تقدر الآلة على مـلء الفراغ الذي احدثه تنحي الدين عن مهمته ·

من هذه الملابسة كان الانسان غير جدي يجد في البرغسونية والحيوية الراحة والاستلقاء بأمان ·

والسياب كشاعر وكمنتج لهذا الجيل كان احساسه بالموت احساسا قويا هذا سبب وسبب ثان هو وضعه المرضي وما يقدمه له من وثائق لتعميق هذا التفكير · والمرض لا يوحي بشيء واحد فهو يحوي مشاعر متضادة جدا ·

ولو حاولنا من خلال المرض ومن قصائد ديوان الشناشيل ودواوينـه السابقة أن نرسم المنحنى الجانبي لحياة السياب بعد مرض عنيف فأمـل بالحياة فصوفية تطوبيبة مطلقة فتمرد متخوف متطير فتجـديف بالدين والعقيدة ·· فأنتحار نفسي رهيب فتذكر رومانسي مدني محزن للصـبى والفقر ·· والولد الصغير الفقير ·

هذه الامور نستطيع بعد ترتيبها ترتيبا زمنيا حسب عمر السياب أن نرسم خطا يمثل المنحنى الجانبي لهذه الحياة الذي ينتهي الى يأس وفقـدان ثقة يلبسه ثوب الماضي صباه ·· عشقه ·· ايامه في جيكور ·· ملاعباتـه لغيلان ·· طيبة اقبال ·· دفق بويب ·· جوع العراق ·· الفناء في حبـه

العراق .. التحديق جيدا باشرعة وراء دجلة فأنتهاء الى فقدان الثقة وعـدم الرؤية لكل ذلك للمرض ولعمر المرض كذلك .

حتى قصيدته عن أم كلثوم ما هي الا قصيدة عن الذكرى . فأم كلثوم تذكرة بماضيه كما يذكره أي شيء ، رؤية امرأة .. صوت طائر .. حوادث العراق .. الضجيج في المدينة الكبيرة لندن مثلا .

وهو وان كان يود الموت ـ في دواوينه السابقة ـ أو يتصوره قريبـا منه الا أنه في شعور طبيعي مضاد يحب الحياة والرجوع الى جيكور وتقبيل غيلان ورؤية اقبال حاملة الفانوس في الليل على عتبة داره تنتظر المريض النازح .. وهذا ما يعنيه الأمل . وهو شعور تهربي غامض للفرار من هول وحشة الاهل بعد موته والخوف من التفكير والتأمل المهلك في مصير اولاده الذي يتأكله في معظم قصائده المتقدمة على هذا الديوان فقد كان يفر بحياء حزين كي يدعي انه سيعود للحياة وذلك يختلف عن تمرد ديكرت وشـو ودستويفسكي الذين كانوا يدعون انهم لن يموتوا لانه ليس هناك سبب يبرر موتهـم .

ولكن السياب في هذا الديوان الاخير كان قد تخلى عن ايمانه كله وصرخ آخر الامر وسحب الثقة من كل شيء وهذا ما يمثله ديوان الشناشيل كله ويلخصه قوله في قصيدته ( أم كلثوم والذكرى ) .

قساة كل من لاقيت لا زوج ولا ولد

ولا خل ولا أب أو أخ فيزيل من همي

واذا أراد القاريء أن يتصور ضخامة هذا التحول فلينظر فقط الى انتاج السياب السابق نظرة سريعة .

٩ ـ ان قاريء السياب من أكثر القراء حيرة فهو لا يقدر على فهم السياب قدر تذوقه له واعجابه به . لذلك كان التناقض الذي يدعو الى الابتسام في أكثر الاحيان هو نصيب الكثير من التفسيرات المقدمة عن انتاج السياب .

والسبب في ذلك ـ على الاغلب ، أو أهم سبب ـ هو ان شعر السياب بما يحويه من الاسطورة والرمز والثقافة كان جديدا على القاريء العربي فهو معجب به قبل أن يكون متفهما لشعره الذي يسلبه في أكثر الاحيان حتـى التفسير البسيط له دون تناقض واحتمالات كثيرة .

والناقد يقف في معظم الاحيان موقف القاريء بالنسبة للسياب .

أريد أن أقول ان تفسيرات شعر السياب أصعب من أن تحلها هـذه الدراسة المختصرة عن ديوان أخير ليس ـ بالطبع ـ اهم دواوينه ولكنه أخيرها ـ حتى الان ـ وهذا ما يبرر لنا دراسته منفصلا .

# رائعة

عبد الستار محسن جواد

يا زهرة في روضتي يانعه — يا غنوة الايام يا وادعه
انت ربيع العمر يا زهوه — ما انت الا شمسي الطالعه
يا بسمة الآمال قد افتتن — قلبي باشراقتها اللامعه
يا حلماً طافت على موجه — واستيقظت اشواقنا الهاجعه
يا نغمة رددها شاعر — فكانت الانشودة الرائعه
من حولك الآسى انتشى راقصاً — يستاف منك النفحة الضائعه
وقد تغنى الروض في زهوه — اذ كنت فيه الباقة اليانعه
والبلبل الغريد في وكنه — غنى فحيا النجمة الساطعه
وصفقت نشوى على لحنه — راقصة اغصانك الفارعه
وابتسمت تغمرها فرحة — يا نفحتي ، زهرتك اليانعه
يا رمز انشودتي في دنى الافراح — يا احلامي الراجعه
كم جلسة قد جمعت بيننا — يا حبذا جلساتنا الجامعه
وكم حديث همت في لحنه المعسول من انغامك الساجعه
يا رمز حبي وهو في مهده — طفل رعته البسمة الوادعه
ما كان لولا عطفك الحلو يا امنيتي ينمو فنحيا معه
عودته الوصل فعذبته — صداً فهل أيامه راجعه

# لقاء مع الفنان



# عطا صبري

لقاء هذا الجزء من الاقلام مع الفنان الاستاذ عطا صبري حين استعرضنا معه بعض موضوعات الساحة الفنية

.. كان سؤالنا الاول له :

**هل تعتبرون فن الرسم العراقي ـ رائدا ـ في مضمار الفنون الجميلة ؟ وما هي ـ في رايكم السمات المميزة له ؟**

فأجــاب :

في الحقيقة يمكن القول أن « فن الرسم في العراق » وليس (فن الرسم العراقي) لاننا لم نتوصل بعد الى مدرسة عراقية كالفن الصيني والهنـــدي والياباني مثلا ·

ان الفنون العربية الاخرى كالموسيقى والفنون المسرحية تقدمت تقدما كبيرا في البلاد العربية وخاصة في العربية المتحدة · أما فن الرسم في العراق فمنذ ربع قرن خطا خطوات كبيرة وذلك من سنة ١٩٤٠ · فرجوع البعثات الفنية العراقية الى الوطن في تلك السنة كانت الخطوة الاولى والحجر الاساس للحركة الفنية ولكن بأسلوب وتكنيك أوروبي بحت وتشكلت أول جمعية للفنون الجميلة وبدأت المعارض الفنية والمحاضرات وغيرها ، ثم بدأ الوعــي الفني ينتشر في الفنون التشكيلية شيئا فشيئا ·

أما السمات المميزة له فظهرت بعد أن تحسس المرحوم جواد ســـليم بدراسة مدرسة بغداد والفنان ( يحيى الواسطي ) عندما طلب الاستاذ ساطع الحصري من أحد الفنانين العراقيين نقل لوحاته وذلك لغرض الازياء العراقية ثم عرضت تلك اللوحات التاريخية في متحف الازياء عند ذاك ، وافتتح معرض الفن الهندي الاول في بغداد بعد سنة ١٩٥٠ ، ونشرت بعض المقالات عنـــه وخاصة حول الطابع الخاص بالفن الهندي فنرى ان هذه الظروف والعوامل كلها تجمعت وأخذ الفنانون العراقيون يتجهون نحو ايجاد مدرسة عراقية أو مدرسة بغداد · وعرضت اللوحات الفنيــة في المعارض على ضوء تلك التجارب وظهرت نتائجها بعد سنوات ·

ثم جاء دور الشباب من الفنانين وتشكلت جمــاعات وتخطت تلك التجارب نحو فن حديث وبميزات تمت الى المدرسة العراقية أو مدرســـة بغداد للقرن الثالث عشر ·

وعندما اشترك العراق في المعارض الفنية الدولية كمعرض دلهي الجديدة لاقى المعرض العراقي من الفنانين النقد الجيد والمديح وبصورة خاصة بين المعارض الفنية للدول العربية ·

وسألناه

**هل تعتقدون ان الخلف ، من الفنانين ، حمل بأمانة رسالة السلف ، والى أى مدى حقق الفنانون الشباب رسالتهم ؟**

فقــال :

ان الفنانين الاوائل الرواد في العراق ظهروا بظروف قاسية جـدا ، كعدم وجود التشجيع الكافي للفنانين والمعاهد الفنية والمعارض والمطبوعـات والـكتب والمصادر ، وعلاوة على هذا كله كانت البداية غير صحيحة أي النقل عن اللوحات الفنية والجهود الفردية · ومع كل هذه الصعوبات ظهر عدد منهم

وشقوا طريقهم في وقت كانت فيه كلمة الفن بين الناس لا تدل على غير الفقر ٠ ثم أوفد هؤلاء ببعوث فنية الى انكلترا وايطاليا وفرنسا وعند رجوعهم تأسس معهد الفنون الجميلة والجمعيات الفنية والمعارض الفنية ودرس على يد هؤلاء عدد من الشباب العراقي ثم ذهبوا للخارج لاتمام تخصصهم بالفنون التشكيلية وكان من حسن حظ هؤلاء الشباب انهم لاقوا التشجيع الكافي ووجدوا معاهد فنية للتخصص والدراسة كما وجدوا المعارض الفنية والجو الفني اللازم للعمل وهكذا نجد أن هؤلاء الشباب تكتلوا بجماعات حول الفنانين الاوائل وأخذوا في الاشتغال بجد ومثابرة وسعي متواصل وحملوا بامانة رسالة السلف ٠ ومارسوا التجارب الفنية وتقدموا بخطوات جبارة مما يفرح القلب ومن هؤلاء الفنانين الشباب الذين يستحقون الذكر بكل تقدير واعجاب ( كاظم حيدر ) و ( غازي السعودي ) ٠

ان الذي أقدره في هؤلاء الشباب أنهم لم يقلدوا الاساتذة وانما كونوا لانفسهم شخصية خاصة وقوية ولهم تجاربهم الفنية ومدرستهم الخاصة وان مواضيعهم الفنية التي طرقوها من صميم المجتمع العراقي والعربي ومن بطون التأريخ متأثرين بفنوننا الشعبية الاصيلة ٠

فهؤلاء الشباب حققوا رسالتهم الفنية وهم الذين سوف يضمنون الحجر الاساسي لمدرسة بغداد أو المدرسة العراقية ٠



عيد الربيع عند اليزيديين

( تصميم لصورة جدارية )
١٩٤٩

**ثم سألنا عن رأيه في الحديث ، تجريده ، وتكعيبه وتكوينه ؟ وما اليها ، وبماذا يقيم مذاهب فن الرسم الجديدة ؟**

فقـــال :

ان جميع هذه المدارس الفنية الحديثة وبمختلف اسمائها وعناوينها البراقة ما هي الا نتائج لعوامل مختلفة ولحالات نفسية واقتصادية وسياسية ظهرت بعد الحربين الاولى والثانية • ان اوضاع العالم اليوم من جهة وتقدم الآلة والعلم من الجهة الثانية في تصوير كل ما هو موجود أمامه بكل دقة وأمانة وبألوان مضبوطة وطبق الاصل جعلت الفنان يفتش عن آفاق وطرق ومدارس جديدة للتعبير عن أفكاره وبأساليب جديدة •

ان العالم الجديد الذي يقوده العلم والعلماء بصواريخهم وسفنهم الفضائية المندفعة نحو كواكب أخرى يحتاج الى فن جديد يتماشى مع روح العصر •

والفنان المعاصر مرتبك ولا يعرف تماما الى اين يتجه وسوف يستقر في مدرسة جديدة عندما تستتب الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم وعنده ذاك يتوصل الفنان الى نتائج جديدة من خلال التجارب الطويلة التي حصل عليها •



وكان السؤال الاخير :

**كرسام ، ما هو رأيكم في فن النحت العراقي •• وفي السيراميك ؟**

فأجــاب :

ان فن النحت العراقي المعاصر له جذور عميقة ويتصل بفن النحت الآشوري والسومري وغيره من فنون الحضارات العراقية القديمة • ومشكلة النحات العراقي اليوم ليست صعبة كمهمة الرسام ، بل هنالك تأريخ قديم وزاخر بمنحوتاته العظيمة سواء في متحف برلين ، والمتحف البريطاني في لندن واللوفر في باريس والمتحف العراقي أو في خورساباد وغيرها من الاماكن الاثرية في العراق •

ولكن كحركة فنية جديدة لم تظهر الا منذ ربع قرن وعلى يد النحات العراقي المرحوم جواد سليم • وبطبيعة دراسته للنحت في لندن وباريس وروما كان يتجه نحو النحت الاوروبي الى ان جاءت الحرب الثانية حين رجع الى العراق واشتغل فترة في مديرية الآثار العامة الامر الذي جعله يتحسس النحت العراقي القديم ، لكن رجوعه ثانية الى لندن بعد الحرب الثانية جعله ينغمس بالفن الاوروبي والافريقي مرة أخرى والحركات الفنية الحديثة في اوربا الى أن رجع مرة أخرى الى العراق واتجه أكثر فأكثر نحو الرسم وكانت تجاربه متجهة نحو يحيى الواسطي ومدرسة بغداد في القرن الثالث عشر وأخذت تظهر هذه التجارب الجديدة بالصورة التي سماها

« بغداديات » .بينما بقي في النحت متصلا بالتجارب العالمية الحديثة ٠

هنالك نحات آخر وهو ( خالد الرحال ) وهو أحد طلاب المرحوم جواد سليم ولقد حاول هذا النحات الشاب دراسة النحت العراقي القديم ونحت بعض الرؤوس على غرار النحت السومري كما نحت عدة قطع نصف مجسمة على غرار المدرسة الآشورية ولكن جميع التجارب كانت سطحية وغير عميقة وليست عن دراسة بل تقليد ونحت قطع أخرى كالأم والطفل المعروضة في حديقة الأمة ببغداد محاولا التأثر بالنحت الآشوري وغيره من المدارس العراقية القديمة ٠

ومن طلاب المرحوم جواد اللامعين « محمد غني حكمت » الذي نحا منحا آخر بمنحوتاته وقطعه النحتية الصغيرة وخاصة البرونزية منها ولكنه اتجه نحو مواضيع شعبية أكثر من غيرها ٠

ويدفع معهد الفنون الجميلة والبعوث الفنية موجات أخرى من النحاتين وكلهم من تلامذة النحات جواد كعبدالرحمن الكيلاني بقطعه الصغيرة التي تشبه لحد كبير مجموعات هواة الآثار بجودتها وصقلها ٠ ثم يأت محمد الحسني والقرغولي واسماعيل فتاح الترك ٠ واذا « بميران السعدي» يقفز من بين هؤلاء جميعا لتحقيق النصب التذكارية لساحات بغداد ٠

وبالمناسبة فان مشروع أمانة العاصمة نحو تخليد الشعراء والعلماء والادباء العرب عظيم من حيث الفكرة وتشجيع كبير للنحاتين العراقيين ٠

أقول مع كل هذه التجارب التي بدأ بها جواد سليم وانتهى اليها طلابه من بعده لم يتوصل النحت العراقي بعد الى مدرسة عراقية كما توصل النحات المصري المرحوم مختار من دراساته للنحت الفرعوني ٠

أما السيراميك فجديد عندنا حيث افتتح هذا الفرع في معهد الفنون الجميلة منذ أكثر من عشر سنوات وبدأ به جواد وأولدو أخيرا فالانتينوس حيث يعود له الفضل الاكبر في تخريج أكبر عدد من المختصين بهذا الفرع والذي تمتص طاقاتهم الوظيفة والتعليم بينما الحياة الحديثة والتطور الصناعي الجديد في العراق الحديث يحتاج الى هذا الفن الذي يستعمل في حياتنا اليومية أكثر من غيره من الفنون ٠ ان فن الخزف والفخار في العراق قديم جدا ويرجع الى ظهور البشر عندنا والحضارات القديمة العراقية ولقد ابدعوا بتصاميمهم على القطع الفخارية الموجودة في المتحف العراقي والمتحف البريطاني وغيره من المتاحف العالمية ٠ ثم يأتي الدور الاسلامي وسامراء وهنالك القطع الخزفية المزججة بالوان جميلة للغاية وعليها زخارف اسلامية وعربية ٠ ان حركة السيراميك اليوم عندنا ينقصها التجارب والاتصال بالفخار العراقي القديم ودراسة الخزف الاسلامي وبهذا يكون عندنا ( سيراميك ) عراقي حديثله جذور واتصال بالفن العراقي القديم والروحية الاسلامية والوانها وزخرفتها ٠

ان ذوي الاختصاص والجهات الفنية مدعوة اليوم للقيام بدراسات

تاريخية عميقة من أجل تحقيق السيراميك العراقي الاصل ·

واملي كبير في تحقيق فرص تفرغ الفنانين من أجل تحقيق أهدافنا الفنية المنشودة ·

**الفنان في سطور :**

- ولد فى كركوك ١٩١٣ وكان والده عسكريا ورساما
- تخرج فى دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٣٤
- درس فى جامعة روما ( الأكاديمية للفنون الجميلة من سنة ١٩٣٧ – الى سنة ١٩٤٠ ) ·

ثم بعد الحرب الثانية ارسل من قبل وزارة المعارف للدراسة الفنية فى ( جامعة لندن ـ السليد الفنية ) وحصل على ( دبلوم جامعة لندن في الفنون الجميلة ) ·

- اشتغل فى تدريس الرسم منذ سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٦٠ فـى المدارس الابتدائية ، المتوسطة ، والثانوية ومعهد الفنون الجميلة وكلية التحرير ·

ومنذ سنة ١٩٦٠ اشتغل مفتشا للفنون التشكيلية بمديرية تربية الرصافة ·

- اشترك فى معارض فنية داخل العراق وخارجه ومعارض فنية دولية ومعارض عراقية أرسلت للخارج ولعدة سنوات ·



●
●
●

# أدب البرق (التلغراف) في العراق

## موسى الموسوي

تنوعت أغراض الشعر العربي مع اتساع آفاق المعرفة وتقدم الحياة الاجتماعية وانتشار العلوم والمخترعات منذ منتصف القرن التاسع عشر وما بعده حتى عصرنا الحاضر . فكان الترام والباخرة والسيارة والقطار والراديو .. الخ . مسارب جديدة للافكار والتأملات الشعرية ، ومجالات طريفة للوصف المبدع الجميل .

ولئن لم تخرج الصور التي تركها لنا شعراء تلك الفترة عن أطرها التعبيرية المألوفة الا انها كانت ولاشك صورا لاتخلو من طراوة وحلاوة وهي تشير الى تأثرها الشديد بالتطور الاجتماعي المستمر السريع في هذه الحقبة من الزمن .

وكان التلغراف حدثا جليلا في عالم المخترعات . ففي سنة ١٨٤٨ تكللت جهود العلماء والمخترعين بالظفر ، حين تم للمخترع الامريكي الشهير ( مورس ) مد اول خط للتلغراف بين واشنطن وبالتيمور . وقد فضلت طريقته في اختراعه هذا ـ ليسرها ومتانتها ـ على طرائق غيره من المكتشفين الذين توصلوا الى النتيجة نفسها في الوقت ذاته . وفي سنة (١٨٥٠) جرى اول اتصال سلكي بحري بين فرنسا وانكلترا . وكان ان شاع بعد ذلك استعمال التلغراف على مداه الواسع ، وبدأ يعم بلدان السلطنة العثمانية بلدا بعد آخر .

وفي سنة ١٢٧٧هـ ـ ١٨٦١م أمر السلطان عبدالمجيد بمد خط التلغراف الى بغداد مما جعل شعراء بغداد يولون هذا الحدث العظيم اهتمامهم البالغ ، وكان في طليعتهم الشاعر الشهير عبدالباقي العمري الذي سجل انطباعاته في عدة صور مشرقة . من ذلك ارجوزته التي وصف بها هذا الاختراع واثنى على السلطان وضمنها اشطرا من الفية ابن مالك . ومما جاء فيها قوله :

نظمتها في نعت من أمدنا ... بما به كل بعيد قد دنا
من مدد مسلسل الامداد ... يلوح مرفوعا على اعواد
تهتف فوقها هواتف الثنا ... على أمير المؤمنين علنا
من بعض تسهيلاته الجزئية ... وهي لعمر جده كليه

صدور أمره الشريف العالي | للحظة الزورا بلا امهال
في مد خط (التلغراف) المستوي | على قواعد باحكام قوي

ومن المختار الجيد من هذه الارجوزة قوله :

ذو نقرات تسمع الصم الدعا | وكم بها من عبرة لمن وعى
نهاية الايجاز في تقريره | وغاية الاعجاز في تعبيره
مسافة العام مع العامين | يقطعها كطرفة بالعين
في لحظة من مركز الخلافة | يسري فينتهي الى الرصافة
وسيره في سائر الاقطار | الطف من طيف الخيال الساري
ان الذي ابدعه تخييلا | ( مستوجب ثنائي الجميلا )

وقال في وصف خط التلغراف :

لخط التلغراف حروف جمر | يجيء بها من الغور البعيد
ويلفظها بغير فم ولكن | بألسنة حداد من حديد

وفي سنة ١٣١٢ على عهد السلطان عبدالحميد امتدت اسلاك التلغراف الى النجف فقال السيد جعفر كمال الدين الحلي الشاعر المشهور مؤرخا :

نفدي أمير المؤمنين جميعنا | بالاهل والاموال والاعمار
في كل يوم منه تصدر منة | فأدام منته عليه الباري
فالتلغراف لبلدة النجف انتهى | أرخ ( أجل يأتيك بالاخبار )



* * *

وقد أصبحت الرسائل البرقية بما تقتضيه من اختزال للالفاظ وشمول للاغراض منطلقا رحبا لقابليات التعبير عند الشعراء العراقيين وبالاخص من كان يعني منهم بالمحسنات البديعية وبتصيد الشوارد الادبية • فقد افتنوا في رسائلهم تلك ، وابدعوا في هذا اللون الجديد من الادب ان لم يكونوا ابتدعوه • وكانت برقياتهم لا تخلو من طرفة نادرة أو نكتة حلوة أو تورية رائعة •

وكانت أول وأطرف رسالة شعرية حملتها اسلاك البرق -على ما اعلم- هي تلك التي أجاب بها الشاعر ( علي العمري ) على تعزية اليازجيين ناصيف وولده ابراهيم بوفاة خاله الشاعر المرحوم عبدالباقي العمري وهي قوله :

ابنتما لابنتما ماجدا | نحن الى تأبينه نحنو
لو لم تكن قدسية روحه | لما رثاه الاب والابن

ولا يخفى ما في هذين البيتين من جمال الصياغة وبديع التورية • ومن البرقيات الطريفة ما بعث بها الشاعر الشعبي المعروف الحاج حسن القيم الحلي المتوفى في مطلع القرن الهجري هذا معزيا عيسى أفندي ابن محمد آل جميل بوفاة والده على لسان بعض وجهاء الحلة :

بفقد (محمد) ان جل خطب | له الأشراف طأطأت الرؤوسا
فان الصبر في عيسى (جميل) | فتى يجلو بطالعه النحوسا
بموت ابيه مات المجد لكن | باذن الله قد أحياه (عيسى)

ومن ذلك البرقية التي بعث بها السيد عبدالمطلب الحلي الى الشيخ باقر حيدر عند دعوته للجهاد ضد الانكليز واستنفاره العلماء والرؤساء لذلك وهي قوله :

نحن بني العرب ليوث الوغى | دين الهدى فينا قوي عزيز
لابد ان نزحف في جحفل | نترك نهبا فيلق الانكليز

وقيل ان الذي بعث بهذه البرقية هو العلامة السيد مهدي القزويني الى العلامة المجاهد الحبوبي حين زحف بالقبائل العراقية المتطوعة الى الشعيبة سنة ١٣٣٣ .

وقد شاع أدب (البرق) في الحلة شيوعا عجيبا على عهد الزعيم الديني السيد محمد القزويني الذي فتح هذا الباب على مصاريعه : فقد استعان بالتلغراف في معظم مراسلاته الشعرية بحيث اجتمع لديه من ذلك كتيب متوسط الحجم سماه ( طروس الانشاء وسطور الاملاء ) تضمن الكثير مما دار بينه وبين أصدقائه واعيان اسرته وغيرهم من كبار رجال الدولة العثمانية ووجهاء بغداد كآل الالوسي وآل النقيب وآل الشواف والشاعرين الزهاوي والرصافي ، وأكثر ذلك مثنيات ومقاطيع كتبها سنة (١٣٢٣) . وتوجد من هذا المجموع نسخة عند الشيخ الجليل اليعقوبي نقلها عن نسخة الاصل التي بقلم المؤلف وفي حياته ، وأضاف اليها ما ليس فيها مما سنح له بعد التاريخ المذكور .

ومن ذلك ما أبرق به الى السلطان عبدالحميد شاكرا له انشاءه ترعة الحميدية التي تصل الفرات بالنجف وهي :

شكرا امام المسلمين | على صنائعك السنية
أجريت نهرا في الغرى | به مننت على الرعية
وسقيتها العذب الفرات | على الظما سقيا هنية
فاليك بالدعوات قد | عجت بأكباد روية

ومنها برقيته الى ناظم باشا والى العراق في مستهل عهد السلطان رشاد . ملتمسا منه ان يبذل كل مافي وسعه لانشاء سد الهندية واغاثة سكان لواء الحلة الذين جف نهرهم فجف مورد حياتهم وهي قوله :

قل لوالي الأمر قد مات الفرات | ومضى عنه أهاليه شتات
افترضى ان يموتوا عطشا | وبكفيك جرى ماء الحياة

وقد عنى ناظم باشا بامر البرقية عناية حسنة فامر بترجمتها الى اللغة

التركية وبالاجابة عليها اجابة مرضية .

ومن بدائع برقياته ما اجاب بها على برقية من الشيخ محمد رضا شهيب الخطيب الحلي . وكان هذا كثير الاختلاف على المدن العراقية مابين دجلة والفرات كالمسيب وسامراء والحي والعمارة وهو يومئذ في العمارة :

أتانـــا تلغرافك فابتهجنـــا وفيــه الشكر للرحمن أوجب
الا ان العمارة فيـــك قرت وان الحي بعدك كـ (المسيب)

وابرق الى المرحوم الشيخ محمد والد الدكتور محمد مهدي البصير عند وصول الشيخ الى الشام في طريقه الى مكة قوله :

مددت الطرف نحو الشام شوقا وزاد لذكرها شـغفي وحبي
غداة محمد قد حل فيهـــا (وما حب الديار شغفن قلبي)

ومن ذلك هذان البيتان اللذان نظمهما على لسان الحاج مصطفى كبة وابرقهما الى اخيه الشيخ محمد حسن :

لقد سحرتني بابـل فاستمالني هواها عن الزوراء من حيث لاأدري
فلو لم تكن فيها هجرت لاجلها (عيون المها بين الرصافة والجسر)

وله مبرقا الى السيد نعمان الالوسي ومهنئا له بقدومه من استانبول :

حباك مـولاي سرورا كمـــا حبـــاك في عـــز وتأييـــد
ونلت من دهرك أقصى المنى بالفرحتين العـود والعيـــد

وابرق مهنئا سادن الروضة الكاظمية بارجاع السدانة اليه بقوله :

أنعم سلطان الورى نعمـــة أحيى بهـــا روح الورى كلها
نشكر مـــن انعامه انـــه رد الامانـــات الى أهلهـــا

وأبرق السيد باقر القزويني المتوفي سنة ١٣٣٢ الى عمه السيد محمد بهذين البيتين من النجف الى الحلة على اثر محاولة اغتيال ابيه الهادي سنة ١٣٢٨ ونجاته ومقتل خادمه (محصول) .

بشراك في حادثـة اخطـــأت وما سـوى جـدك خطاهـــا
فدت مقاديـــر الـه السمـا أبي ( ومحصول ) تلقاهـــا

فابرق عمه ببيتين خاطب فيهما اباه وهما :

فديت بالمحصول كي يفتدي اصلك محفوظا لآل الرسول
والمثل السائر بيـن الـورى (خيرمن المحصول حفظ الاصول)

ومع اعجابي برصانة الجواب وجمال التضمين والتورية فيه الا أني لم استطع ان استسيغ هذا التهوين لقتل الخادم المسكين .

ومن ذلك ما بعث به العلامة الشهير السيد رضا الموسوي الى ولده السيد أحمد وكان في صيدا بلبنان :

وكنا ان اردنا منك وصلا أصبناه ولو نمشي رويدا
فصرنا نستعين على التلاقي باشراك الكرى لنصيد (صيدا)

وكان الحاج مصطفى كبة قد زار الحلة ونزل ضيفا على السيد جعفر القزويني وبعد عودته الى بغداد أبرق الى القزويني بقول اخيه الحاج محمد حسن :

لم أنس عهد مغان فيك مزهرة قد آنستني فانستني بك الوطنا
فما تجاوزت ميلا عنك مرتحلا حتى اكتحلت بسهد يطردالوسنا

فأجابه ببرقية موريا :

على مغاني بابل من بعد مسراك العفا
يا حسنا في فصله انت لقلبي مصطفى

نتبين مما مر انه كان لآل القزويني ـ من ذكرنا منهم ومن لم نذكر ـ السهم الاوفر في ارتياد هذا المجال الطريف . الا ان ما اجتمع عندي لغيرهم شيء وافر ورائع من هذه البرقيات المتسمة بالجمال والرونق في المبنى والمعنى واكثر ذلك لا يخرج عن الأغراض المألوفة كالتهاني والتعازي والمطايبات مثل مراسلات الاعلام كاشف الغطاء والسيد صادق الموسوي الشهير بالهندي والشيخ عبدالحميد السماوي رحمهم الله والشيخ محمدعلي اليعقوبي والشيخ عبدالمهدي مطر حفظهما الله ، وغير أولئك وهؤلاء .

**من مصادر هذا المقال**


زبدة الصحائف ـ لنوفل الطرابلسي
نهضة العراق الادبية ـ للبصير
البابليات ـ لليعقوبي
الشعر السياسي ـ للوائلي
شعراء الغري ـ للخاقاني
شعراء الحلة ـ له
ديوان العمري
ديوان السيد رضا الهندي جمع كاتب المقال مخطوط
مجموع أدبي مخطوط ـ لكاتب المقال

# نشيد العلم

عبد الأمير جمال الدين

أجيبوا داعي العلم    سراعاً يا بني الشعب
فداعيه ينادينا    حذار غفوة القلب

* * *

بلادي منبع العلم    ومهد للحضارات
ففي « شنعار » والحدبا    وفي نصب المسلات
دروس كلها شرف    ورمز للبطولات
روت آثارنا مجداً    مضى والفخر في الآتي



* * *

فما للشعب من فخر    بغير العلم يا قومي
فهيا نصرع الجهلا    بسيف الجد والعلم
فكل العار أن يفنى    علا يسمو على النجم
ونرضى الوهن جلباباً    وثوب ـ الخصم ـ من عزم

* * *

فهيا واشحذوا العزما    فهذا النور قد عما
و « تموز » له أذكى    فحيوا « الثورة » العظمى
وأهدافاً لها جلت    تعم الجيل بالنعمى
وحيوا في « مدارسنا »    مناراً يكشف الظلما

# الاشباع والتخفيف
## في الشعر الحديث

عبد العزيز عسير

اعتاد الشعراء العرب منذ العهد الجاهلي على اشباع الحركات الى حروف العلة المناسبة لها ، فأشبعوا الكسرة حتى تولد منها حرف ( ياء ) والفتحة حتى تولد منها حرف ( ألف ) والضمة حتى تولد منها حرف (واو) وتلك ضرورة شعرية معروفة ، وكثيرا ما تجد ذلك في القوافي كقول نازك الملائكـــة :

لا تسلني عن سر أدمعي الحرى     فبعض الاسرار يأبى الوضوحا(١)

فقد كان اصل كلمة ( الوضوحا ) ( الوضوح ) وقد اشبعت الشاعرة الفتحة على الحاء فولدت منها حرف ألف .

كما اعتاد الشعراء العرب على عكس ذلك اي خففوا الياء الى الكسرة والواو الى الضمة والالف الى فتحة(٢) .

قال نعمان ماهر الكنعاني من الخفيف :

يا اهيل الوداد نسمت الناجيكم حنينا الى الليالي الوضـــاء(٣)

قد خفف ( الياء ) في كلمة ( الليالي ) الى كسره

وقال خالد الشواف من ( المتدارك ) :

قد حملنا الكتاب المبـــين
وطلعنـــــا على العـــالمين
مثـــل أبائنـــا الاولين(٤)

قد خفف الالف الى فتحة في الكلمات ( حملنا ، على ، أبائنا ) .

وقال حسان بن ثابت من الطويل :

وشـق له من اسـمه ليجله     فذو العرش محمود وهذا محمد(٥)

وقد خفف الواو الى ضمة في كلمة ( ذو ) .

ويأتي هذا التخفيف في النثر أيضا وذلك لثقل لفظ حرف العلة قبل همزة الوصل . ولو انعمت النظر في جميع الكلمات التي جاء بها التخفيف

لوجدتها قد سبقت كلمات تبتدىء بهمزة وصل . وكثيرا ما يأتي هذا التخفيف في الكلمات التي تسبق الاسماء المعرفة بالالف واللام ـ كما في الامثلة التي ضربتها لك ـ ولكنه لا يقتصر على ذلك بل يأتي في سائر الكلمات التي تسبق الكلمات المبدوءة بهمزة وصل ، كما في قول المرحوم بدر شاكر السياب من الكامل :

تلقي الضياء من النوافذ في ارتخاء(٦)

فقد خفف الياء في كلمة ( في ) التي تسبق كلمة ( ارتخاء ) المبدوءة بهمزة وصل .

وكذلك في قوله من المتقارب :

خذي الكأس بلي صداك العميق بما ارتج في قاعها من شراب(٧)

وكان ذلك في ( بما ارتج ) .

وقد يأتي الشاعر بالتخفيف في كلمة لا تسبق كلمة أخرى تبتدىء بهمزة وصل وهذا خطأ .

والذي دفعني الى كتابة هذا البحث هو اني عرضت على استاذنا مدرس اللغة العربية قصيدة كان هذا هو أحد ابياتها :

كان الدجى دربي وكنت ارى الحيا
ة مليئة امثال أمي وخالي

وقد أحتج الاستاذ علي قائلا : ان الياء في كلمة ( امي ) زائدة ، وقد عجبت لذلك كثيرا ولكني سرعان ما عرفت السبب وهو اني كنت قد خففت الياء الى كسره في كلمة ( امي ) فلفظتها ( ... امثال أم وخالي ) ولما كانت تلك الكلمة لا تسبق كلمة تبتدىء بهمزة وصل فما كان من حقي ان اخفف الياء فيها .

وقد راجعت الكثير من القصائد العربية فوجدت ان التخفيف لا يأتي في الكلمات التي تسبق كلمات أخرى تبتدىء بهمزة وصل وما عدا ذلك فخطأ .

ولاحظت هذا الخطأ في شعر بعض الشعراء الناشئين كالشاعرة المصرية روحية القليني ، ففي قصيدتها ( الزورق الحائر ) :

انا حائر في الموج قد ضلت خطاي العاثره
والحظ لم يرحم على الايام أمسي وحاضره(٨)

والخطأ في كلمة (أمسي) فقد خففت الياء الى كسرة دون ان يلي تلك الكلمة كلمة اخرى تبتدىء بهمزة وصل .

ولو قرأت القصيدة لوجدت ان التخفيف جاء في الكثير من ابياتها

صحيحا كما في البيت ( انا حائر في الموج ... ) فقد خففت الياء في كلمة (في) التي سبقت كلمة الموج .

ولعلك تلاحظ كلمة (انا) في ذلك البيت قد جاء بها التخفيف دون ان تليها كلمة تبتدىء بهمزة وصل . ولكننا قد تعودنا على تخفيف هذه الكلمات القصيرة أمثال ( انا ، ما ، اذا ، ماذا ... ) . ولكن هذا أيضا غير مستحسن وقد يحدث ضعفا أو اضطرابا في البيت كما في قول أبي ماضي في قصيدة المساء من الكامل :

سلمى بماذا تفكرين
سلمى بماذا تحلمين(٩)

ففي البيت الاول خفف الألف في كلمة (ماذا) فاحدث ضعفا في البيت .

وأخر خطأ لحظته من هذا النوع كان في قصيدة علي جعفر العلاق التي يرثي بها السياب ، حيث يقول من البسيط :

من يشكو للربوات الغافيات هوى
من يغزل النغمة العذراء كفاه(١٠)

وذلك في كلمة (يشكو) حيث خفف الواو الى ضمة دون ان تليها كلمة تبتدىء بهمزة وصل .

وهذا الخطأ يأتي في شعر المبتدئين والناشئين ولكنك لا تلحظه في الشعر القديم ولا في شعر الصاعدين المعاصرين .



## المراجع

١ ـ ديوان ( شظايا ورماد )
٢ ـ ( .......... )
٣ ـ مجلة الاقلام العدد ( الجزء الثالث )
٤ ـ نفس المصدر السابق
٥ ـ ديوان حسان بن ثابت
٦ ـ ديوان ( ازهار واساطير )
٧ ـ نفس المصدر السابق
٨ ـ مجلة الرسالة في عددها الصادر في ١٩ نوفمبر
٩ ـ ديوان الجداول
١٠ـ مجلة الاديب

# النتاج الجديد

## وقفة عند « المدار المغلق »

**للاستاذ جبرا ابراهيم جبرا**

**بقلم : جميل الجبوري**

حقيقة تفرض نفسها باصرار ، وتؤكده بألف دليل ، تلكم هي وجود حركة التجديد في الشعر وسلوكها مسارب شتى كونت مدارس مختلفة مهما قيل أو يقال فيها ٠

ولا أظن الامر يعدو كون هذه الظاهرة استجابة طبيعية للتطور الذي مس جوانب الحياة ، كل جوانب الحياة ٠

فانسان العصر الذي ينعم اليوم بالطريف والمبتكر من حصائل الانطلاقات العلمية الوثابة ، هذا الانسان الذي شهد المعجزات في الطب والفلك والكهرباء واستطاع أن يغرس سهم الارض في خد القمر ، لا يرتضي البتة الابقاء على جانب حياتي لم تمسسه يد التجديد ، كائنا ما كان ذلك التجديد ٠٠٠ فالمحاولة بداية الوصول الى الهدف وما أحرانا أن نرعى باليد الحانية أزهار الحياة ، كل أزهارها ، وأن نضوع بعطرها أرجاء الكون ٠

ولئن انفتح الشعر القديم ، بل الفن القديم كله ، على الرؤى المباشرة وتناول تجارب حياتية مبسطة سمحة لم يداخلها التعقيد بعد فان الفن المعاصر يتسم بغموض التجربة الحياتية وتعقيد الانعكاسة النفسية ٠ انه صورة صادقة لحياة تعاني الكثير من الملابسات ولواقع هو غير ذلك السمح المنبسط على اي حال ٠

**ويقدر ما يتعلق الامر بالشعر ـ موضوع الحديث ـ فلعلي لا اجانب الدقة ان قلت ان جوهر الغموض الذي يسم المحاولات الجديدة فيه هو ضريبة يؤديها الشاعر والقراء على حد سواء ٠**

ان النظرة الجديدة للشعر ـ كما هو معروف ـ ترى أهمية القصيدة فيما تكونه لا فيما تعنيه وان هذه (الكينونة) يدركها المتذوق بعد تمثله المعنى الذهني وادراكه كنه الحالة الشعورية وتقديره لموقف الشاعر القائل تقديرا يستوحيه من لهجة القول ومناخه ـ ان صح التعبير ٠

والمقصود ـ طبعا ـ هو أن يحقق بناء القصيدة كيانا فنيا متكاملا وأن يحقق ـ كذلك ـ حاجة الجيل التي يرتقبها من شعرائه ٠

**فالوظيفة الاجتماعية للشعر الحديث هي رسم اللوحة الجديدة للحياة المعاصرة ـ كل ما في الحياة المعاصرة ـ ولكن بشكل يعاف الفوتوغرافية ويتجنب الرؤى المباشرة والتجارب المسطحة ٠**

ومسألة الشعر اليوم لم تعد ألفاظا تهز فحسب ولا موسيقى تطرب فقط ، ثم هي بذات الوقت ليست كلمات ترسم صورة ، مجرد صورة ٠ لا ، انها اليوم أكثر من ذلك كله وأبعد مدى ٠ فالشعر الجديد يقدم لقارئه رموزا تشيع في النفس هزة وتحدث في أغراضها جملة أصداء ٠

ومهمة قارىء الشعر الجديد تتمثل في تنظيم واعادة توازن ما اثير في نفسه وارتسم في ذاته وواضح ان الانفعال ذاك ـ في جملته ـ بعيد الاثر في السلوك الانساني قوي الصلة بالحياة ٠

فشاعر اليوم ـ وعندما أقول كلمة ( شاعر ) أعنيها ـ يستطيع بجدارة أن يعبر عن ( المعادل الشعري ) لمستنبطات الفكر من غير أن يكون ملزما بتسليط ( انارة ساطعة ) على الفكر ذاته ٠

أما قضية الموقف ، الموقف من الشعر الحديث ، له أو عليه ، فلا أدري كيف جاز لنا أن نطبق « مفاهيم » المواقف و « اعتباراتها » على قضايا التذوق الفني والتحسس الجمالي ٠ ان المسألة لا تعني بحال ( التزاما ما ) بكذا أو كيت من الالتزامات ، انها مسألة تذوق محض ، تجربة ادراك واع لارهاصات شاعر العصر وفهم لانعطافات فكرة والتماعات ذهنه وما أظن ان من الضروري أن يكون المرء ( كاثوليكيا ) ليتذوق كوميديا ( دانتي ) الالهية ولا يشترط ( الالحاد ) لتذوق صرخة ( رامبو ) في وجه يسوع !

ولئن سمع تاريخ الشعر جاهليا يهتف مستغيثا :

« ما أرانا نقول الا معارا     أو معادا من قولنا مكرورا »

ولئن شهدت الاندلس تجربة الموشحات وحاول شعراء آخرون البند ـ وان كان ذلك في عصور الانحطاط ـ فما تلك المحاولات الا استجابة مدركة لضرورة مواكبة ركب التطور ، سواءا حققت المحاولات أهدافها أو لم تحققها ٠

والمسألة ـ مع ذلك ـ تبقى تحتمل القديم والجديد وما بينهما ، فليس الشعر مادة استعمال حياتي على مستوى الاثاث والكساء ٠ وما ضر متحف اليوم أن يحتفظ بالجيوكندا قبالة رسوم بيكاسو ، وما ضر مكتبة

اليوم أن تضع ( ابن خلدون ) بجانب ( لطفي السيد ) و ( افلاطون ) بجوار ( سارتر ) ؟!

انه امتداد لتطور الفكر الحضاري تنسرب جذوره في أعماق الارض وتشرأب أغصانه المورقة الى كبد السماء ، وتبارك الفكر الخلاق ٠

وما أظن الواقعية والوجودية والرومانسية والسريالية والشكلية وما اليها من المدارس الحديثة في رحاب الفنون ، كل الفنون ، الا تعابير مختلفة الشكل عن حيوات يداخلها الكثير من معايير التطور الانساني عبر مسيرة الزمن المتقدمة أبدا ٠

هذه خواطر عامة أثارت تداعيها قراءتي لـ ( المدار المغلق ) مجموعة الشاعر الفنـــان الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا التي صـدرت مؤخرا عن ( المؤسسة الوطنية للطباعة النشر ) في بيروت ٠

والمجموعة ضمت خمس عشرة لوحة ـ وبعض عناوين هذه اللوحات ينتظم أكثر من لوحة واحدة ـ من الشعر الجديد ٠ وعندما أقول (الجديد) لا أعني الشعر الذي تمرد على البحور الستة عشر بتفاعيلها التي استقرأها ( الخليل ابن أحمد الفراهيدي ) من منظوم كلام العرب وحسب ولا الشعر الجديد الذي صبه مبدعوه في القوالب الجديدة التي مثلت شواهد الطريق في مســيرة التطور الشعري الجديد فقط ، لا ، انما هو خطوة اخرى في دروب الشعر المعاصر ٠

وأرجو أن لا أكون مغاليا ان قلت انها لوحات من الفكر الرصــين والرؤى المعمقة والمعايشة الصادقة لتجارب الحياة رسمت بريشة رسـام قدير ٠



ان القارىء المدقق يستطيع أن يضـعها في باب الالتماعة الذهنية الواعية والثمرة الناضجة لثقافة تطل على حركة التطور العالمي من ألف شباك ٠

ولكن ، هل هي ترنم في سمع القارىء موسيقى الشعر ؟٠٠٠ وهل ان حروفها تسمع جرس الكلمة ؟

هنا أقف متسائلا لانني ما أحسست ذلك قط وان اثارت في نفسي الافكار أعمق الانفعالات ٠

ان الاستاذ جبرا يرى ان هذا هو الشعر الجديد بمعنـاه الأصـح ٠ وهو يقول :

( لو كنت احمل بوقاً على فمي
وبه كهربت صيحتي
لكانت مني حتى النحنحة
خدينة الزئير من الأسد )

وحقا أقول انني وجدته في كل ما رسمته لوحات « المدار المغلق »

هكذا ، « نحنحة هي خدينة الزئير من الأسد » .

وحيث لابد من تقديم الشاهد والنموذج فان المتحدث عن « المدار المغلق » يجد نفسه ازاء أمر عسير ، ذلك ان اللوحة هنا مرسومة بشكل مكتمل الكيان لا يقبل التجزئة بحال الأمر الذي يضيق معه مجال النشر .

ومع ذلك فسأبيح لنفسي أن أثبت بعضا من هذه النماذج على سبيل المثال ليس الا .

في لوحته المعنونة بـ ( نرجس والمرايا ) يقول :

« خطى الليل في راسي عنيدة
تدق المطارق
والمرايا تسمع الدق ، تراه
في عيني الكحلاء ، في

فمي العريض ، تقول لي :

« في سرير عينيك يركض الليل دوائر
وعلى التيه من شفتيك ليل
من غرف النوم المقفلات
والفحفحات الهوج الحوارق » ... الخ

وهكذا تروى تجربة حياتية عنيفة الزخم الانفعالي مع « الليل » و « الفراغ » و « القلق الثالث » .. انفعالات ترجع وقعها المرايا « مراياي الحبيبة الغادرة ، أراها ولا تراني » . وفي ( اركضي اركضي يا مهرتي ) تبتدأ اللوحة هكذا :



اركضي اركضي يا مهرتي ،
حيثما الوجه قفا
والليل تعلنه ساعة الظهيرة
الى الأمام ، الى الوراء ، اركضي
ما همنا أن يشير السهم
الى هناك ، الى هنا ،
والسهام خدعة جميعها
في مدار الأفق
اركضي اركضي يا مهرتي » ... الخ

وهكذا يرسم الشاعر الفنان بقية لوحته مجسدا تجارب حياتية اخرى ، ذكية ، عميقة ، خصبة العطاء .

وفي القسم الثالث من ( يوميات من عام الوباء ) يقول :

أبي ، أبي
من أي أرض ، أي كرم جئت بي

من أي حقل حرثته بأظافرك
من أي تل فيه غنيت بكيت
رغيفك الصلب معفرا —
أبي ،
من أي أرض ، لأي أرض جئت بي
حاملا للناس بذرا
رغم الليالي الضامرات

ويختتمها بهذا الشكل :

رحماك أبي ، من أي أرض أي كرم جئت بي
لاي جدب ، أي عقم ، أي نقع مرعب ·

وهو يبدأ ( متواليته الشعرية ) ذات المقاطع العشرة هكذا :

شبح في ضياء البدر سرى
بين الدوالي ، وجهه
أبيض كالقناع ، يداه
كفرعين مورقين ترتفعان
الى الجدران ، نحو الطريق ، الى
بيت صمتت أرجاؤه المظلمات —
لا الأيام تقيه ، ولا الموت ،
هوى السارية في ضياء البدر ، على
شفتيها رغم القناع غناء
كالهواء يهب ، نحيب
لست أنا ، بل الدنيا هي التي تنتحب ·

واعترف ان النماذج المختارة لا تعطي الصورة المثلى التي تعطيها قراءة « المدار المغلق » جميعه ، حيث تتجلى بالقراءة المركزة رصانة التجربة وعمق الاداء وتتضح روعة الرسم ودقته ·

لـــكن السؤال الذي يبقى يفرض نفسه باصرار هو : ترى ، هـــل نستطيع أن نسمي محاولة كهذه — في اللغة العربية — شعرا ، بالنسبة لمفاهيم الشعر المعروفة ؟

انها قد تكون كذلك عند بعض مدارس الشعر الغربي ، **ولكن الشعر العربي — وحتى الحديث منه — لم يكتف بالفكرة والصورة وحدهما ، ··· انه لا يفتقد الجرس والنغم والموسيقى ·**

ومهما يكن من شيء فاننا أمام محاولة لم يزل محاولوها قلة قليلة في بلادنا العربية ··· محاولة تنتظم سمات كثيرة في الأدب الجديد ، وما أحرانا بتدارس كل ذلك واستيعابه فمسيرتنا اللاحبة نحو الشمس توجب علينا أن نسقي كل زهرة وأن نتنسم كل شذى عطر ·

# رسائل الجاحظ

**لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ**

**تحقيق : عبدالسلام محمد هارون**

**نشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ٦٤/٦٥**

**بقلم : محمد جبار المعيبد**

ترك الجاحظ ثروة كبيرة من الرسائل في موضوعات شتى ، يربو عددها على المئتين .. فقد الاكثر منها ، أو هكذا نحسب ، وبقي الاقل موزعا في المكتبات والمتاحف ، لا يضمه كتاب ولا يحفظه مكان . وكان الاهتمام بشيخ البصرة قديما ، فقد ظهرت أول مجموعة من رسائله بليدن سنة ١٩٠٣م ، تبعتها مجاميع عديدة نشرت في مصر وألمانيا ، كما ذكر المحقق .

والمجموعة الأخيرة من رسائله أخرجها لنا المحقق الاستاذ عبدالسلام محمد هارون الذي كان له فضل كبير لا ينكر في احياء تراثنا العربي ، وتراث الجاحظ بخاصة . وهذه المجموعة تشتمل على ١٧ رسالة وكتابا ، نثبتها هنا وهي :

١ ـ رسالة الى الفتح بن خاقان في مناقب الترك وعامة جند الخلافة .
٢ ـ رسالة المعاش والمعاد ، أو الاخلاق المحمودة او المذمومة كتب بها الى ابي الوليد محمد ابن أحمد أبي دواد .
٣ ـ كتاب : كتمان السر وحفظ اللسان
٤ ـ كتاب : فخر السودان على البيضان
٥ ـ رسالة في الجد والهزل الى محمد بن عبدالملك الزيات .
٦ ـ رسالة الى ابي الوليد محمد بن احمد بن ابي دواد في نفي التشبيه .
٧ ـ رسالة الى ابي عبدالله احمد بن ابي دواد يخبره فيها بكتاب الفتيا .
٨ ـ رسالة الى الفرج بن نجاح الكاتب .
٩ ـ كتاب : فصل ما بين العداوة والحسد .
١٠ـ رسالة في صناعة القواد .
١١ـ رسالة في النابتة الى ابي الوليد محمد بن ابي دواد .

١٢ــ كتاب : الحجاب ٠
١٣ــ كتاب : مفاخرة الجوارى والغلمان ٠
١٤ــ كتاب : القيان ٠
١٥ــ كتاب : ذم اخلاق الكتاب ٠
١٦ــ كتاب : البغال
١٧ــ رسالة الحنين الى الاوطان ٠

والاصل الذي نشرت عنه هذه المجموعة موجود فيمكتبة (داماد ابراهيم) بتركيا ، وهي نسخة فريدة فقد من أولها ١٩ ورقة ، رجح الاستاذ المحقق « ان تكون الرسالة المفقودة التي كانت في صدر المجموعة هي ( كتاب حكاية عثمان الخياط في اللصوص ووصاياهم ) التي يعز وجود أصل لها ٠ وذلك أن داود الجلبي في كتابه ( مخطوطات الموصل ص٢٦٤ ) ذكر مجموعة من رسائل للجاحظ كانت محفوظة في مكتبة أمين بن أيوب الجليلي تطابق في عنوانات رسائلها مجموعة داماد وتزيد عليها في أولها ( حكاية عثمان الخياط في اللصوص ووصاياهم ) ، ومن المؤسف أن مجموعة أمين الجليلي فقدت بعد وفاته ٠٠٠ »[1] ، وبفقدان هذه المجموعة فقد نص مهم فريد من نصوص الجاحظ ٠

* * *

ورسائل هذه المجموعة نشرت كلها في مجاميع متفرقة ، أو رسائل منفردة ، لا نستثني غير واحدة منها هي ( رسالة الى ابي الفرج بن نجاح الكاتب ) ٠ ا لأن المحقق نوه في مقدمته الى أن بعض الرسائل تنشر للمرة الاولى ، يقول « وقد قدمت لكل رسالة أو كتاب من هذه المجموعة بمقدمة أوضحت فيها تاريخ نشرها ان كانت قد نشرت من قبل ، أو نبهت على أنها تنشر للمرة الاولى »[2] والرسائل التي لم ينبه المحقق على انها منشورة ، هي :

١ ــ نفي التشبيه ، وهي السادسة في المجموعة
٢ ــ الفتيا ، وهي السابعة في المجموعة
٣ ــ صناعات القواد ، وهي العاشرة في المجموعة
٤ ــ الحجاب ، وهي الثانية عشرة في المجموعة

أما الرسالة الاولى ( نفي التشبيه ) فقد نشرت في مجلة المشرق ( ايار ــ حزيران ١٩٥٣ ) بتحقيق الاستاذ شارل بلا[3] ، ويبدو أنها نشرت عن مجموعة داماد ابراهيم ٠

والرسالة الثانية ( رسالة الى ابي عبدالله احمد بن ابي دواد يخبره فيها بكتاب الفتيا ) نشرت في مجلة ( لغة العرب ) البغدادية (٨: ٦٨٦ــ٦٩٠) عن نسخة الموصل المفقودة ، ويبدو انها نشرت قبل ان تلفها يد الضياع ٠

أما رسالة (صناعات القواد) ، فذكر المحقق انها مضمنة في كتاب ( طراز المجالس ) للخفاجي ولم ينوه بالنشرات السابقة ، وبذلك اتخذ كتاب الخفاجي فقط موضع مقارنة مع نسخته المخطوطة ، مع انه عدها في المقدمة ضمن مجموعة فيشر (رقم ٢٦) ، ونشرها السندوبي أيضا في كتابه (٢٦٠-٢٦٥) ، كما نشرت في مجلة لغة العرب البغدادية (١٩٣١) ص٢٦-٣٨ .

ومثلها رسالة (الحجاب) ، وهي مضمنة في كتاب ( طراز المجالس ) ، وقد اتخذ نسخة الطراز موضع مقارنة مع نسخته المخطوطة ، دون الاشارة الى انها نشرت في مجموعتي فيشر والسندوبي .

* * *

أما مقدمة الرسائل فتتضمن وصفا لمجموعة داماد ابراهيم والرسائل التي تحتويها ، ثم عرضا للمجاميع السابقة التي حوت رسائل الجاحظ ، وقد عد منها سبعا ، هي :

(١) مجموعة فان فلوتن التي طبعت بمطبعة ليدن بهولاندا سنة ١٩٠٣م ، وتشتمل على ثلاث رسائل .

(٢) مجموعة الفصول المختارة ، اختيار عبيد الله بن حسان . طبعت على هامش الكامل للمبرد سنة ١٣٢٣-١٣٢٤هـ/١٩٠٥-١٩٠٦م في جزأين ، وتشتمل على ١٨ رسالة .

(٣) مجموعة محمد الساسي ، وعنوانها ( مجموعة رسائل ، لمؤلفها العلامة الشهير والفهامة الكبير الاستاذ أبي عثمان عمرو بن محبوب المعروف بالجاحظ ) طبعت بمطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٥هـ .

(٤) مجموعة يوشع فنكل ، المستشرق . وعنوانها ( ثلاث رسائل ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ) طبعت في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤هـ ، واعيد طبعها سنة ١٣٨٢هـ .

(٥) مجموعة فيشر التي نشرت في مدينة شتوتجارت سنة ١٩٣١م ، « وهي مقتطفات وترجمات من آثار الجاحظ الى جانب نصوص اصيلة اخرى له لم تنشر من قبل » ، وتشتمل على ٣٩ رسالة .

(٦) مجموعة حسن السندوبي ، بعنوان ( رسائل الجاحظ ) ، طبعت في مطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٢/١٩٣٣م ، وتشتمل على ١٣ رسالة .

(٧) مجموعة باول كراوس وطه الحاجري ، وعنوانها ( مجموع رسائل الجاحظ ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٣م ، وتشتمل على ٤ رسائل .

وقد أجاد المحقق في عرض هذه المجاميع وما تحوي من رسائل ليطلع عليها من لم يطلع - غير انه لم يذكر المحاولات التي بذلت لنشر بعض هذه

الرسائل منفردة ، ففي مجلة ( لغة العرب ) البغدادية نشر الكثير من رسائل الجاحظ عن الاصل المفقود لمخطوطة الموصل ، وهذه الرسائل يصبح اتخاذها أصلا للمقارنة مع الاصل المخطوط لمكتبة داماد • وقد ذكر بروكلمان هذه هذه الرسائل في كتابه ، وذكر الكثير منها بنشر الاستاذ داود جلبي • كما نشر المستشرق شارل بلا مجموعة من الرسائل في مجلة المشرق البيروتية ، أهمهـــا :

(١) رسالة نفي التشبيه
(٢) رسالة ذم العلوم ومدحها(٤)
(٣) رسالة في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي في فعله(٥)

كما نشر الدكتور ابراهيم السامرائي رسالة ( في مدح الكتب والحث على جمعها )(٦) ، والاستاذ حســـن حسني عبدالوهاب رسالـــة ( التبصر بالتجارة )(٧) ، وغيرهم •

* * *

وهناك بعض الملاحظات نجملها بما يلي :

(١) يقول المحقق عند ذكره رسالة ( في الحنين الى الاوطان ) « ولم أجد لهذه الرسالة ذكرا في مرجع من المراجع القديمة » ، الا أن ابن خير الاشبيلي ( المتوفى سنة ٥٧٥ھ ) ذكر في فهرسته(٨) رسالة للجاحظ باسم ( حـــب الوطن ) ، لعلها الرسالة المقصودة ، خاصة وان رسائل الجاحظ قد حرفت عناوينها وصار للرسالة أكثر من اسم •

(٢) في رسالة ( مفاخرة الجواري والغلمان ) ص١٣٥–١٣٦ ، يذكـر الجاحظ بيتين لـ (سياه) وهو ميمون بن زياد مولى خزاعة • وقد علق الاستاذ شارل بلا في نشرته بأن لدعبل الخزاعي بيتين يشبهان هذا الشـــعر في كتاب (الورقة) لابن الجراح(٩)• ولم يعلق أو يستفد الاستاذ هارون من هذه الملاحظة ، والصحيح أن الشعر المذكور في كتاب الورقة هو لـ ( رزين بـــن زندورد العروضي ) وليس لدعبل • وقد خرج البيتين الاستاذ عبدالكريم الاشتر جامع ديوان دعبل الخزاعي للشاعر من مصادره المخطوطة(١٠) •

(٣) من الشعراء من لم يصلنا ديوانه ، بل جمع شعره في مجموعات صارت مرجعا للباحثين كديوان دعبل الخزاعي ، وابي الشمقمق البصـري والنابغة الجعدي وغيرهم • والاستاذ المحقق لم يستفد من هذه المجاميـــع ولم يذكرها في ثبت مصادره •

هذه الملاحظات يسيرة بجانب الجهد الذي بذله الاستاذ هارون باخراجه هذه المجموعة من الرسائل اخراجا علميا ممتازا اتسم بالامانة التامة والحرص الشديد على اصول قواعد التحقيق ، وجعل هذه الرسائل مفيدة بما وضـــع لها من فهارس فنية للآيات والاحاديث والامثال والاشعار والارجاز والالفاظ

اللغوية ، والكلمات غير العربية والكتب وغيرها ، فأصبحت بذلك هـذه الثروة من الرسائل سهلة التناول للباحثين والدارسين .

## رغم كل شيء

### مجموعة قصصية تأليف : عبد القادر حميدة

**نقد : فوزي عبد القادر الميلادي**

اذا كان قراء العربية يعرفون الأستاذ عبد القادر حميدة سكرتير تحرير مجلة الاذاعة بالقاهرة صحفيا لامعا له صولات وجولات في ميدان النقد والتحقيقات الصحفية ، فان القليل منهم يعرفونه شاعرا وقصصيا ، ذلك أن فرصة الالتقاء بالقراء في ميدان المقال الصحفي أرحب من الالتقاء بهم في ميدان الشعر او القصة ..

لكن هذه الحقيقة التي لا يغفل عنها الصحفي الأديب لا تجعله ينسى أو يتناسى أن الانتاج الفني الخالص الذي ينبع من نفس صاحبه في لحظات الاشراق الروحي أبقى على الدهر وأخلد على الزمن .. فلا غرو أن يعمد كثير من الشعراء والأدباء الذين تباعد مشاغل الحياة بينهم وبين التفرغ الأدبي الى جمع انتاجهم في دواوين أو مجموعات قصصية تتألق في سماء الأدب من وقت لآخر ..

كانت هذه الأفكار ملء خاطري وأنا أقلب بين يدي صفحات كتاب « رغم كل شيء »(*) وهو مجموعة قصص قصيرة للأديب عبد القادر حميدة .

---

(١) مقدمة الرسائل ص ٥ ـ ٦

(٢) مقدمة الرسائل ص ٧

(٣) لم أطلع على هذه الرسالة ، ولكن الاستاذ صلاح الدين المنجد ذكر ذلك في مجلة ( معهد المخطوطات العربية ) نوفمبر ١٩٥٧ ص ٣٣٥ في هامش حديثه عن رسالة : مفاخرة الجواري والغلمان .

(٤) مجلة المشرق ـ بيروت ، المجلد ٥٠ (١٩٥٦) ص ٧٠ ـ ٧٨

(٥) مجلة المشرق ـ بيروت ، المجلد ٥٢ (١٩٥٨) ص ٤١٧ ـ ٤٩١

(٦) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٨ (١٩٦١) ص ٣٣١ ـ ٣٤٢

(٧) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ( ج ١٢ : ٣٢١ ـ ٣٥٥ )

(٨) فهرسة ابن خير ص ٣٨٥

(٩) الورقة لابن الجراح ص ٣٣ ـ ٣٤

(١٠) شعر دعبل الخزاعي : صنعة الدكتور الاشتر ص ٣٣٢

---

(*) صادر عن الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة في سلسلة الكتاب الماسي .

وعناية الاستاذ حميدة بجمع هذه القصص التي ألفها ونشرها في أوقات مختلفة من سنى حياته تدل على رغبته الأكيدة في أن يواصل السير في ركب الأدب بجانب ركب الصحافة ..

والكتاب وان تنوعت موضوعاته بتعدد القصص الا أن القاريء يستطيع أن يلمح دون مائمة عناء خيطا واحدا يشد القصص الى بعضها البعض .. ذلك هو تصوير حياة الطبقة الفقيرة وماكانت تقاسيه من مرارة وحرمان وعلى الأخص في الريف المصري في النصف الأول من هذا القرن .

ومن الصفحات الأولى للكتاب بل من السطور الأولى من قصته الأولى « سعدية » تكاد تلمس مرارة الألم والحرمان ..

ففي هذه القصة يرسم لك المؤلف صورة فلاح عاطل عن العمل بعد أن فصله العمدة من خدمته لأنه سرق ست جوافات(٢) واخفاها في جيبه استجابة لرغبة زوجته العارمة في تذوق الجوافة .

ويزيد من لوعة الفلاح « محمود » أن تعطله جاء في وقت أحوج مايكون فيه الى النقود .. فزوجته تعاني آلام المخاض .. وكلاهما يتقلب على جنبيه هي من آلام الوضع وهو من آلام الحرمان ..

ويتوجه محمود الى القابلة وفي الطريق يقابله « شعبان » الخفير ومنافسه من قبل في الزواج من « انعام » زوجته فيسخر الخفير منه .

« رايح فين ع الصبح يا أخي ؟ يعني وراك الوظيفة قايم لها بدري .. »

ويحس محمود بمغزى كلامه وتشتاط النار في صدره .. ويفكر في العمدة الذي فصله من العمل وجعله محلا لسخرية هذا الخفير وتراوده فكرة الانتقام من العمدة بأن يتربص به وهو يتسلل في المساء الى الكشك الخشبي المجاور لمنزله حيث تنام « ست أبوها » احدى خادماته .. وينقض على زمارة رقبته ويضغط عليها حتى يتركه جثة هامدة ..

وينقلك المؤلف بعد ذلك الى جو مشبع بالدفء والحنان .. حيث تضع الزوجة مولودها الجديد ويدور حوار بين القابلة والأب المعدم الذي لايملك من حطام الدنيا الا « قفة ذرة » فيقتسمها معها وهو يقسم لها باغلظ الأيمان أنه سينقدها « ربع جنيه » كاملا غير منقوص عندما يعثر على عمل ..

ويرفع الأب ابنته « سعدية » بين ذراعيه ويخاطبها في حنان بالغ « الله يا سوسو » .

وتسمع الأم الكلمات الدافئة تنساب من بين شفتي زوجها فتستشعر المأساة التي يعيشها زوجها وقد أصبح أبا وهو عاطل عن العمل .. فتنصحه

---

(٢) (الجوافه) فاكهة شعبية تزرع في الريف المصري .

أن يعود أدراجه الى العمدة يلتمس رضاه لعله يعيده الى عمله فتتفتح للاسرة أبواب الرزق ..

ويرتجف محمود ثم يرد عليها « الأرزاق على الله .. يا انعام .. على كل حال .. » وتموت الكلمات على شفتيه .

ويغادر محمود منزله في منتصف الليل لا يلوى على شيء وعندما يقترب من سور حديقة العمدة يلمح العمدة وهو يتسلل كعادته كل مساء الى حجرة خادمته ست أبوها .

ويجمع العمدة أطراف شجاعته ويصرخ « مين هناك » فلا يجيبه أحد ، ويقترب منه فيرد عليه العمدة السلام وهو الذي لم يبدأه بسلام أو كلام فيعاتبه العمدة وهو يرتجف خشية الفضيحة مذكرا اياه بالعشرة القديمة فلا يأبه له محمود ولا يرد عليه ويستمر في طريقه ويحس « بشيء من الراحة يتنفس في اعماقه وهو يضرب بقدميه في زحمة الظلام .. » .

وشخصية البطل كما رسمها المؤلف في هذه القصة تستدعي التأمل والانتباه .. فان هذه الشحنة من البطولة والتسامي التي تفجرت فجأة في ختام القصة تكاد تبدو غير طبيعية وغير متسقة مع مجريات الأحداث في القصة ومع شخصية محمود كما تبدو من خلال تلك الأحداث ..

فهذا الأب الخاوي الوفاض الذي يمتلىء قلبه بالحقد على العمدة ، كان يملك أن يسلك أحد سبيلين وهو يشهد العمدة في موقف المتلبس بجرمه ، كان يملك أن يملأ الدنيا صياحا ويمسك بتلابيب العمدة بالقرب من مكان الجريمة فيستيقظ الناس على صياحه ويفقد العمدة سمعته واحترامه ... وينتقم هو لنفسه .. ، وكان يملك أن يرد على العمدة تحية بتحية وسلاما بسلام وكانت الفرصة مواتية له ليأخذ وعدا بالعودة الى عمله بعد أن أصبح أبا تثقله الحياة بأعبائها وتكاليفها ..

ولكن المؤلف نفخ في « محمود » فجعله بطلا اسطوريا يعف عن الانتقام كما يعف عن انتهاز الفرص لاستعادة مورد رزقه الذي انقطع فجأة بفعل العمدة الظالم الغاشم .. وهو الذي سبق أن سرق ست جوافات ارضاء لطالب زوجته ..

وبالاضافة الى أن هذه البطولة تبدو غير طبيعية كما ذكرنا فهي قد امتزجت بالسلبية .. ف « محمود » اكتفى بالراحة النفسية التي غمرته وهو مترفع عن العمدة ويشهده في موقف خسيس ذليل ولكنه في الوقت نفسه لم يتخذ موقفا ايجابيا يساهم به في زعزعة صرح الظلم ...

وفي قصة « الليلة السابعة » .. يروى المؤلف قصة «رشدي» .. صبي صغير من صبيان القرية يترك مجلسه بين قرنائه عصر كل يوم ويتوجه على انفراد الى حيث تقع محطة السكة الحديد يجلس هناك الساعات الطوال

ينتظر عودة أبيه الذي لن يعود الى القرية ·· والصبي لا يكل من الانتظار يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة وأمه « مسعودة » الأرملة الشابة الحزينة تشفق على ابنها من أن يعرف الحقيقة ·· الحقيقة المؤلمة ··

لقد كان أبوه ناظر زراعة عند صاحب الأرض ·· وفي لحظة نحس طرده من العمل واظلمت الدنيا في وجهه وعملت زوجته خادمة ·· واستطاعت أن تدخر خمسة قروش كاملة ليسافر بها زوجها الى المدينة للبحث عن عمل ويؤثر الزوج أن يدخر بدوره الخمسة قروش ويسافر الى المدينة مشيا على الأقدام وفي طريقه تطوف برأسه الأفكار والخواطر فلا ينتبه لصفير القطار الذي ما يلبث أن يمر فوقه فيطويه ويطوي صفحة حياته ·· ومع ذلك فقد نجحت مسعودة في اخفاء الخبر عن رشدي · لقد كان يخرج عصر كل يوم لينتظر أباه الذي سوف يعود من المدينة يوما ما ··

لقد أضفى موقف الصبي اليتيم الذي يجهل أنه قد أصبح يتيما ·· أضفى على القصة مسحة انسانية رفيعة وقد استطاع المؤلف أن يدير الحوار بينه وبين أصدقائه في مقدرة فائقة كما استطاع من خلال أحداث القصة أن يرسم صورة صادقة لحياة الصبية والأطفال في القـــرية ·· غير أن الذي يؤخذ على المؤلف افتعال حادث طرد الأب من وظيفة ناظر الزراعة فهذا الحادث فضلا عن أنه تكرار لحادث طرد محمود في القصة الأولى فانه يبـدو دخيـلا على أحداث القصة الرئيسية وكان يكفي أن يسافر الأب الى المدينة لسبب أو لآخر ويصرعه القطار ويكتم الخبر عن الابن حتى يكتمل للقصة مغزاهـــا ومبناها ··

ويختتم المؤلف مجموعته بقصة « رغم كل شيء » وهي التي اتخذ عنوانها عنوانا للمجموعة كلها ···

هذه القصة تصور قطاعا من الحياة في المدن ·· في مدينة الاسكندرية بالذات حيث قضى المؤلف جانبا من شبابه ··

في القصة صراع حاد وعنيف بين الحاجة الملحـــة وبين المثل العليا والتمسك بالشرف والاستقامة ·

مدحت موظف صغير لكنه يملك سلطات كبيرة في توقيع الغرامات على الذين يشغلون الطريق العام وهو بهذه السلطات يستطيع أن يغض الطرف قليلا فيمتلىء جيبه ذهبا ويستطيع أن يشتط في تنفيـذ الأوامر والتعليمات فتتكدس المحاضر والغرامات على التجار وأصحاب المباني والمقاهي ·· الخ ·

ويلتقي مدحت في تجواله اليومي بالحاج حمدي اسماعيل مقاول هذه العمارة الضخمة التي تملأ مهماتها عرض الطريق ويشيح مدحت بنظره بعيدا ويغمز له الحاج بعينه ويقول له في صراحة تعودها أنه مسـتعد لكل طلباته ···

ويجلس مدحت مع المقاول في ركن منزو من احدى المقاهي ويأخذ المقاول في المساومة والمراوغة ويخرج من جيبه ورقة بعشرة جنيهات ويتأملها مدحت وفي ذهنه صورة والدته المريضة التي لا تجد ثمن الدواء ·· ثم تتراءى أمامه صورة السجن والقضبان وفي النهاية تنتصر الكرامة والمثل العليا ويختم المؤلف قصته وكتابه بهذه العبارة :

« حين ناوله صورة المخالفة ·· كان انفه يشمخ في سماء المقهى وهو خارج ليستأنف جولته من جديد » ·

العجيب أن المؤلف كان قد نشر هذه القصة ذاتها في جريدة الجمهورية القاهرية ولكن بنهاية مختلفة تماما ·· اذ جعل البطل يقبل الرشوة ويغض الطرف عن تصرفات صاحب العمارة المخالفة للقانون ولكن يبدو أن تلك النهاية ـ النهاية الأولى ـ اعتبرها البعض غير أخلاقية فأشير عليه بتعديل الخاتمة فجاءت على هذا النحو الجديد ··

ولا أكتم الاستاذ حميدة القول أن هذه النهاية أقوى بكثير من الأولى لأنه ما معنى أن يدور صراع في أعماق موظف شاب والدته مريضة ثم يستسلم للظروف ويقبل الرشوة ·· تحت وطأة الحاجة ·· أما أن يرفض في مثل هذه الظروف مبلغا في أشد الحاجة اليه فهذا لا شك يرفع من قدر القصة ، واذا كان هناك ما يؤخذ على القصة بوضعها الراهن فهو استخدام المؤلف العبارات الانشائية والخطابية وخاصة في الجزء الأخير منها وهذه العبارات من شأنها أن تقطع سياق السرد القصصي وتأباها طبيعة القصة كعمل فني ·

والحق الذي لامراء فيه هو أن المؤلف استطاع أن يعطي القارىء صورة صادقة لجوانب من الحياة في مصر قبل سنة ٩٥٢ وبقي بعد ذلك أن يصور بقلمه ملامح مجتمعنا العربي الجديد في مجموعات قصصية قادمة ··

والذي يستلفت النظر في أسلوب هذه المجموعة ان المؤلف استخدم للسرد اسلوبا عاليا رفيعا يكاد يصل الى مرتبة الشعر المنثور ·· وفي الوقت نفسه نزل بالحوار الى اللغة الدارجة ·· ويبدو أنه لم يستطع أن يقرب لغة الحوار الى لغة الاسلوب فتركها على حالها كما تلقفها من أفواه الفلاحين أو انه أراد ان يثبت أنه يستطيع ان يجمع بين الضدين ويوفق بين النقيضين في صعيد واحد وانه على ذلك لقدير ·

# شعر علي محمود طه
# ( دراسة ونقد )

**منشورات معهد الدراسات العربية العليا**

**عدد الصفحات ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير**

**للاستاذة نازك الملائكة**

**بقلم : عبدالجبار داود البصري**

**خلاصة البحث :**

أ ـ قلما تصلح الشهرة مقياسا لعظمة الشعر وجماله وأصالته .. ولكن شـهرة علي محمود طه ترتبط ارتباطا متينا بجوهر شاعريته وخصائصها البارزة .

والصفة الكبرى لشهرته أنها عريضة .. نال حظوة عند المحافظين والمحدثين ، وآثره ذوو الثقافة المعقدة والذين ما زالوا ذوي ذائقة أدبية ، ورضي عنه دعاة الالتزام والفن الخالص .

ورغم هذه الشهرة لم يحظ بدراسات جيدة عن شعره ما عدا اليسير النادر وعددا من مقالات الثناء والاطراء .

في ١٩٠٢ كان ميلاد الشاعر وفي ١٩٢٤ تخرج من مدرسـة الفنون التطبيقية وكانت الفترة بين ١٩٢٧ ـ ١٩٣١ موسم صداقة أدبية متينة وفرصة سانحة لدراسة الادب الفرنسي اذ تعرف على أحمد حسن الزيات وصالح جودت وناجي والهمشري .

وفي عامي ١٩٣٢ و١٩٣٣ تأسست مجلتا أبولو والرسـالة فساهم فيهما وعرف طريق الصحافة الادبية .

وبين ١٩٣٤ ـ ١٩٤٧ تتابعت دواوينه مبتدئة ب « الملاح التائه » ومنتهية ب « شرق وغرب » وأبرز حدث في حياته سفره الى أوربا ١٩٣٨ . وقد توفي الشاعر عام ١٩٤٩ .

ب ـ عرف علي محمود طـه بغزارة موضوعاته .. وبقدرته على الارتفاع الى مستوى الجودة في مختلف أنواعها بينما يبدو نزار قبساني

مجيدا في قصائد العاطفة والحب مخفقا في قصائد الوطنية .. ويبدو سليمان العيسى مجيدا في قصائد الوطنية والحماسة .

ويمكن تقسيم قصائد علي محمود طه من حيث موضوعها الى عاطفية وفكرية ، وانسانية ، وقومية ، وشعر مناسبات واخوانيات . والقصائد العاطفية يمكن تقسيمها الى شعر حب ، وغزل ( وصف ) ، وعبث .

شعر الحب هو الغناء العاطفي اللهيف المعبر عن مشاعر مشتعلة وحنين معذب .. ومن أمثلة هذا النوع قصيدة « اغنية ريفية » ، و«النشيد» .. وتكثر نماذج شعر الحب في ديوانه الاول ــ الملاح التائه ــ

وشعر الغزل وتسميه نازك بـ «الوصف» لانه يعني بما يراه الشاعر في حبيبته لا بمشاعره المشتعلة وحنينه العذب وصفات هذا النوع في انتاج علي محمود طه .. الرؤية عن بعد ، والحسية ، والموسيقى العذبة ، والبديع ، وأسلوب الموشح وسطحية المضمون ومثاله : « الجندول ، نهر الرين ، كليوباترة ، أندلسية ، سيرانادا مصرية .. » .

وقصائد العبث العاطفي ينقصها اللمسة الروحانيسة والحرارة الغرامية .. ومميزات هذا النوع انه خال من العاطفة الاخاذة مع شعور عنيف بمرور الزمن ، وجمع بين الريبة والبراءة .

ويشمل الشعر الفكري قصائده الفلسفية والروحية ، وقصائد الخيال المحلق ، والطبيعة ، والخمريات ، والتغني بالبطولة .

ففي قصائد « البحر ، العلم ، صخرة الملتقى » يظهر شوقه للمجهول وفي قصائد الله والشاعر ، والتمثال ، والعشاق الثلاثة يعرض فلسفته ورموزه ، ومن أجمل قصائد البطولة ما قاله عن طارق بن زياد ..

وتبدو في خمرياته ملامح شبه قوية بشعر أبي الفارض والخيام ..

وربما كان مفهوم الملاح ناجما من معنى البحر الذي يطلقه الشاعر على الحياة .. أما « التيه » فيعني تخطي الحدود الضيقة بحثا عن القيم الرفيعة .

ومن أبرز قصائده الانسانية والقومية قصيدة « الموسيقية العمياء » ، و « ليلة عيد الميلاد » و « الى الطبيعة المصرية » .

وتتصف هذه القصائد بالجهورية ، واستعمال التعبير المباشر ، وبناءها على أساس « الهيكل المسطح » .

ويلاحظ أن هذا النوع من الهياكل لم يستعمله في قصائده العاطفية بل استعمل فيها الهيكل الهرمي ( النمو العنصري ) والسبب في ذلك يرجع الى أنه في قصائده القومية يجاري ذوق الجمهور .

وشعر المناسبات لا يشوق القارىء بصورة عامة لا لكونه نظم في مناسبات خاصة ككل شعر مناسبة ولكن صفاته تنفرنا منه فهو شخصي لا يتخطى الخاص الى العام ، وأفكاره مقترحة على الشاعر من خارج ذاته واهمال الشاعر لمتطلبات الفن بسبب نشوته التي يسبغها تشجيع الجمهور

وتصفيقه له .. ولعلي محمود طه شعر مناسبات ومراث عديدة .

ج ـ ان دراسة الاسلوب من أكثر مباحث النقد الادبي طموحا .. واسلوب علي محمود طه مملوء بالجذور الدقيقة الخفية ، ويملك طائفة من الخصائص العامة الواضحة التي تسلم نفسها لمن يتأمله وهذا هو الجزء العائم من مملكة الشاعر .

فمن مظاهر أسلوبه : الموسيقى العذبة القائمة على أساس التناغم الصوتي ، وانسجام الصوت مع المعنى ، والاستفادة من : المناسبة والتكرار والجناس ورد العجز على الصدر .

وتمتاز صوره بالخيال البصري .. ويمكن القول انه شاعر جو لا شاعر صورة .. كما هو شأن السياب وقباني ومحمود حسن اسماعيل .

وألفاظه حية موحية ، ورموزه تختلف كثيرا عن مفهوم المذهب الرمزي في الغرب فهو لم يكن غامضا ولا اعتنى بعالم اللاوعي ولم يصور على طريقة بودلير المعروفة « بنظرية العلاقات » .

وقد اعتنى الشاعر بتوزيع الضوء واللون ..

ومما يؤخذ على أسلوبه في بعض القصائد وجود كلمات قاموسية خاصة في قوافيه ، واستعمال مترادفات بدون فنية ، ووضوح النثرية .

د ـ تردد مفهوم الشعر الحر على لسان أحمد زكي أبو شادي وكان يعني الخلط بين الأوزان وهو مغاير لمفهوم الشعر الحر كما نعرفه اليوم .. وعلي محمود طه لم يتذوق هذا الخليط .. وان كان جبران خليل جبران وايليا أبو ماضي قد فعلا ذلك .



استعمل علي محمود طه أوزانا مهملة كالمنسرح وبعض تشكيلات الخفيف ومخلع البسيط فأجاد فيها .. كما نجح في استعمال المقطوعة الثنائية في الموضوعات الفكرية .. وطور الموشحات وجعلها فنا جديدا .

ويلاحظ أن قوافيه كانت موحدة اذا كان الموضوع موحدا .. ومنوعة اذا كانت القصيدة ذات أفكار متنوعة .

ومن المآخذ على عروض الشاعر أنه يخطئ أحيانا في الوزن اذ يخلط بين الاضرب .. كما أنه يستعمل بعض الضرورات المستكرهة .

وهو يخطئ في النحو وأبرز أخطائه النحوية عدم التفريق بين ياء التأنيث وحرف العلة في الفعل المضارع .

وهو يخطئ في اللغة من حيث اشتقاق بعض المفردات كما يخطئ في الاملاء .

هـ ـ آراء الشاعر عديدة وأبرزها .. نظريته في الشعر ، ومفهومه للحب .

أما عن نظريته في الشعر فهو يرى أن وظيفة الشاعر مقدسة لانه يؤدي رسالة الجمال ، والشاعر نضو أحزان بسبب عشقه للمثل العليا ورحمته واحساسه بفناء الحضارات .. والشاعر رجل أخلاق وسمو ..

أما عن الفن في الشعر فلم يعبر عنه علي محمود نثرا بل قدم نماذج حية له وكان صاحب مدرسة ·

وأما نظرته للحب فقد اعتاد الجمع بين الطبيعة والحب كأنهما شيء واحد ·· كما جمع بين الحب والعبودية حيث يمنع الحب الروح والعقل من الانطلاق ·· والجمع بين الحب والجمال فهما في مرتبة واحدة ، والجمع بين الحب والغريزة الجنسية ·

و ـ نماذج مدروسة من شعره :

قصيدة القمر العاشق : قصيدة حب تمثل تكامل الشكل والصياغة وفيها جو ساحر وشخوص جميلة ، واصالة في الفكرة والموضوع ·

نشيد افريقي من شعر البطولة ·· وهي قصيدة ناجحة ·

امرأة وشيطان : قصة شعرية ·· لم تتذوقها الناقدة ·

مطولة الله والشاعر : درست نازك مغزاها واسلوبها وجوها النفسي ووزنها وقافيتها ولغتها ·

اغنية الرياح الاربع : مسرحية اختيار موضوعها غير موفق وكذلك تصميم الفصول ، ولم ترتبط الاحداث بضرورة مسرحية ، ودوافعها وعوامل نموها ضعيفة ، وشخصياتها ناقصة ، وحوارها رديء وفيها أخطاء عروضية ونحوية ولغوية ·· ولكنها تشتمل على بعض المقطوعات الغنائية الجيدة ·

أرواح وأشباح : مسرحية فاشلة ··

ز ـ لقد تطور علي محمود طه من الملاح التائه الى شرق وغرب ·· لقد انتقل من الحب الى الغزل ، من التقوى الى الوثنية ، من جو عربي الى جو أوروبي ·· من الصومعة الى الشرفة الحمراء ··

والتفسير النفسي لهذا التحول لا يمكن البوح به حاليا الى أن تتيسر المعلومات الوافرة عن حياة الشاعر وسيرته ·

وبهذا تسكت نازك الملائكة « عن الكلام المباح » ·

**ملاحظات :ـ**

أ ـ يلاحظ أن المنهج الذي اعتمدته نازك لم يتعد الموضوع ، الاسلوب العروض ، الآراء ·· وهو صورة جديدة لمناهج النقد العربية القديمة ·· فلم تحاول أن تدرس نفسية الشاعر أو أن تقحم الانثروبولوجيا في بحثها كما هو شائع في نقد الدكتور محمد النويهي ·

كما أنها نهجت منهج القدماء في التركيز على الجزئيات ·· البيت الواحد واللفظة الواحدة ومن هنا جاء اهتمامها بالنحو والبلاغة والصرف والاملاء ·· بينما يهتم النـاقد الحديث بالعمليات الداخلية للأثر الفني ويدرسه من الوجهة الجمالية ككل كنماذج النقد عنـد احسان عباس أو محمود أمين العالم ·

ب ـ خالفت نازك في آرائها ما هو معروف عن علي محمود طه ··

فقد قالوا عنه انه حسي شهواني فحاولت جهدها أن تثبت أنه روحاني .. وقالوا ان شعره جعجعة ألفاظ رنانة ليس وراءها شيء من الفكرة والعمق فقالت عنه أنه مفكر وشعبت الحديث في فكره وفلسفته .. وقالوا عن الوزن المتقـــارب كما استعمله علي محمود طـه بأنه وزن هزيل نحيف لا يحتمل الفكرة الفلسفية فقالت عنه لا بأس في طوله وهو جليل الوقع يصلح للشعر الفلسفي والفكري واعتمدت في رأيها على نماذج ناجحة من شعر أبي العلاء المعري .

جـ — ذكرت الشاعرة عن علي محمود طه انه فاتته الدراسة الثانوية فضاعت عليه الفرصة التي يبني فيها الطالب المعاصر ذهنه العلمي ويروضه على التفكير المعقد .. كما فوت عليه أن ترسخ قدمه في معرفة قواعد العربية وآدابها وذلك أمر نلاحظ مظاهره في أجزاء ديوانه .

ما رأي السيدة نازك بالعقاد لغته وعقليته وهو أيضا فاتته الدراسة الثانوية ؟ وما رأيها بمن لم تفتهم الفرصة وأكملوا حتى دراستهم الجامعية ومؤلفاتهم مليئة بالأخطاء الاملائية واللغوية والنحوية وتفكيرهم سطحي .. وهي أدرى بهم مني ..؟

ألا يمكن القول ان الضعف اللغوي ظـاهرة اجتماعيـــة في مجتمعنا الحديث لا يمكن أن تعلل بالدراسة الثانوية وحدها .. وانها يجب أن تدرس صلتها بالتطور الحضاري والثقافي واتساع نطاق العلاقات الانسانية .



د — تجاهلت في تفسيرها لمعنى « الملاح التـــائه » ما كتبه الدكتور احسان عباس عن الموضوع ذاته .. في مجلة الآداب البيروتية .. وكان يقصد بما كتبه أن يكون مدخلا لفهم شخصيته وشاعريته .

هـ — ان كثيرا من الأخطاء النحوية واللغوية التي أخذتها على الشاعر هي موضوع نقاش ان لم يكن لدى القدماء فلدى المحدثين من الادباء .. كما أن كثيرا مما ذكرته لا يدل على حرص على اللغـــة بقدر ما يدل على « غلق باب الاجتهاد » .

و — اذا صحت المفاضلة بين أبواب البحث .. قلنا ان خير أبوابه وأجملها .. الباب الخامس حيث تناولت تحليل ونقد نماذج من شعره .. وأثقلها الباب الرابع .. الذي تناولت فيه آراء الشاعر ..

ولم تخل أبواب البحث من تكرار « للمادة » .

كما أن شاعرية نازك أضفت على بحثها رونقا جميلا .. وبثت فيه روحا جميلة واستطاعت أن تحوم كالفراشة حول زهور شعره .

# الايديولوجية الانقلابية وتساؤلات العصر

**بقلم : لطفي الخياط**

.. على صعيد فكري انساني عام زادت اهمية دراسة الثـورات في التاريخ الحديث . لان الحروب التي كانت طريقا الى حل المتناقضـات في الماضي اصبحت اداة لاغية . تحاول الانسانية جمعاء تجنبها .. ذلك زاد من دور الثورات . ومن الاعتماد عليها في حل تلك المتناقضات . وهذا يفرض علينا ان ندرك طبيعة الثورات في جميع اصعدتها كي نفهم طبيعة العصر الذى نعيش فيه ..

وكتاب « الايديولوجية الانقلابية » للدكتور نديم البيطار محـاولة للاجابة على تساؤلات العصر الذى نعيش فيه ..

ان عصرنا عصر الانقلابات الايديولوجية الكبرى . ومن واجبنا ادراكه. الدراسات الاجنبية التي يمكننا الرجوع اليها في الموضوع لاتنطوي على مقارنات ايديولوجية بين جميع التجارب الثورية الكبرى في التاريخ .

وهنا تقوم قيمة كتاب « الايديولوجية الانقلابية » الاولى لانه يعالـج تلك الناحية بالذات ..

لقد وضع المؤلف في كتابه ايدلوجية ثورية طرحها امام الثوريين العرب لكي يستفيدوا منها في تنظيماتهم الشعبية وفي تحـديهم للبرامج الاجتماعية الاجنبية . ويعملوا على بناء مستقبل امتهم الافضل وفق اسس علميةصحيحة واسترشادا بأيديولوجية ثورية تلاحظ واقع الامة وتخطط وفق ما تمليـه عليها ظروفها الانية بعد الرجوع الى معالجة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الارث الثقيل الذى يحاول ان يلف بظلامه اوضاعنا الجديدة .

* * *

بعد ان انهيت قراءة كتابه « الايديولوجية الانقـلابية » الواقـع في (١٠٣٠) ورقة خرجت بعديد من الاسئلة حول ما احتواه الكتاب من مضامين اجتماعية لايمكن عبورها بسرعة دون الوقوف امامها والتعمق في دراستهـا وما يقصده المؤلف من تثبيتها في مؤلفه الثمين ..؟

وبصراحة لم اجد شخصا واحدا قرأ الكتاب بتعمق ويمكنه ان يرد على اسئلتي حول الكتاب وفكرته وصدى وقوعه على المنظمات الثورية العربية . الا ان حيرتي لم تدم طويلا حيث حل ضيفا في بغداد مؤلف الكتـاب

الدكتور نديم البيطار .. ولم انتظر طويلا .. حملت اوراقي وتوجهت نحو الفندق الذى يستريح فيه الدكتور نديم البيطار لالتقي به . ولاوجه اليه الاسئلة التي خرجت بها بعد قراءتي لمؤلفه الكبير .

الدكتور نديم البيطار اجاب باسهاب على سؤالي الاول حول الفكرة الاساسية .. بالاحرى الفرضيات الاولى التي ينطلق منها الكتاب فقال مشكورا ..

× العرب يمرون الآن في مرحلة ثورية كبرى ..

× ان هذه المرحلة لم تكن طبعا الاولى من نوعها .. وان التاريخ شاهد العديد منها ..

× دراسة تلك المراحل الانتقالية الثورية التاريخية بغية الكشف عما يمكن ان يسودها من قوانين عامة تعيد ذاتها في كل منها ..

× فان كانت تلك المراحلات تعبر عن ذاتها في قوانين محددة .. وان كانت المرحلة العربية التي نمر بها .. هي مرحلة مماثلة لتلك المراحل .. اذن وجب علينا ان نرقب سيادة تلك القوانين لتطورات مرحلتنا . كما سادت غيرها .. ذلك لان المظاهر الاجتماعية السياسية ليست اكداسا منفصلة من الاشياء المستقلة . بل هي تخضع لسنن واتجاهات رئيسية . ففي اوضاع مماثلة تقوم قواعد سلوك سياسي او ثوري مماثلة ..

× بدلا من معالجة جميع القوانين الممكنة التي تسود تلك المراحل في مستوياتها المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها . فقدتركزت على الصعيد الايديولوجي فقط وحاولت ان اقارن بين التجارب الايديولوجية الثورية المختلفة التي كانت تعبر عن تلك المراحل الانتقالية وذلك بغية الكشف عن القانون الايديولوجي العام الذى يسودها جميعا ..

× وان لي كلمة اخرى .. فقد حاولت ان احدد العناصر الواحدة التي تعيد ذاتها في جميع الايديولوجيات التاريخية ..

... وهنا وجدت ان الدكتور البيطار قد اكثر من استعمال كلمة الايديولوجية الانقلابية .. فسألته عن المعنى الذى يقصده من ورائها .. فقال

× ان ما أعنيه بالايديولوجية هو « أي تفسير شامل لعلاقة الانسان بالتاريخ والمجتمع » .. اما الانقلابية فتعني اى تفسير من ذلك النوع الذى تعتمده اية حركة ثورية في نقض التفسير السابق .. او الايديولوجية التقليدية التي يعتمدها النظام السابق .

وسألت الدكتور نديم البيطار :

لقد ذكرت في كتابك .. انه دراسة فلسفية اجتماعية : فهل لي ان

اسألك .. ماهو الفرق بين الفلسفة الاجتماعية . والايديولوجية الانقلابية ؟
اجاب الدكتور البيطار قائلا :

× ان الفلسفة الاجتماعية تفسر بشكل عام أو جزئي علاقة الفرد مع المجتمع والتاريخ . وتحاول ان تكشف ايضا عن المنطق الذى يسود تحولاتها ..

اما الايديولوجية فهي صنع نفس الشيء . ولكن مع التركيز على قصد واع . هو انشاء مجتمع جديد ..

× انني أحب انالاحظ ايضا ان الانقلابية تعتمد عادة فلسفةاجتماعية تقدم لها او ترافقها .. الفلسفة الاجتماعية تفسر وتناقش القضايا . وفي اى تفسير تقدمه نجد دائما انه يتركز على ادراك التاريخ والتأمل به فقط ثم على عنصر من التساؤل المستمر حول التاريخ والمجتمع . ولكن الايديولوجية تبسط الفلسفة الاجتماعية . تركزها . تضبطها . الى اكبر حد ممكن .. وتستثنى منها عنصر الشك . والتساؤل وتحولها من التأمل في التاريخ الى صنع التاريخ ..

× ان الفلسفة الاجتماعية لا تقصد الى تحويل باطني وجداني ... تجربة الفرد . او المجتمع . أما الايديولوجية فذلك هو دورها الاول .. أما قصدها النهائي .. فهو تحويل الانسان ذاتيا بشكل يؤدي الى ولادته ولادة جديدة ..

وهنا سألت الدكتور نديم البيطار السؤال التالى :

ـــ ماهي الايديولوجيات الاساسية التي اعتمدها كأمثلة في الكشف عن القانون الايديولوجي الذى تكلمت عنه ..؟

فأجاب الدكتور ..

× لقد اعتمدت بشكل اساسي الليبرالية باشكالها المختلفة .والماركسية في اشكالها وثوراتها والنازية . والى حد ما البروتستنطية . والفاشية الايطالية . ثم اعتمدت المسيحية كمثل عن الايديولوجيات التي ترجع الى ما وراء الطبيعة ( الايديولوجيات الميتافيزيقية ) ..

هنا احب ان انبه .. انني في هذه الدراسة التي تقارن بين مختلف التجارب الايديولوجية في التاريخ لا اعتمد اى تقييم اخلاقي . او آخر . لمضامين تلك التجارب المختلفة من فلسفية وفكرية وروحية واخلاقية .. ان مقياسي كان مقياسا موضوعيا محضا يفتش فقط عن الميزات التي تجعل أية تجربة ايديولوجية تعتمد تفسيرا عاما لعلاقة الانسان بالتاريخ والمجتمع .. او بالحياة والكون .. بالاضافة الى المجتمع والتاريخ ... المقياس الاساسى العام هو فقط تحقق شروط ذلك التفسير ..

— « واثناء قراءتي للكتاب لاحظت ان الدكتور البيطار قد اعتمد على التجارب الاجتماعية الغربية فقط فسألته » :

— لماذا كانت جميع الايديولوجيات التي اعتمدتها ايديولوجيات تسود الغرب ؟

× انني اعتمدت تلك الايديولوجيات فقط • لان الحركة الثورية العربية تعود بمقدار كبير الى احتكاكها مع الغرب •• الى الضغط الحضاري الكبير الذي يحيطها به ذلك الاحتكاك • والى التحدي الكبير الذي يواجهها به • لذلك كانت الحركة العربية تتأثر بشكل عفوي تلقائي بذلك التركيب • وبشكل خاص بما تنطوي عليه من تجارب ثورية •• وهذا يعني اننا يجب ادراك ذلك التركيب وبالاخص تلك التجارب في حركة مقاومتنا•• وفي حركة تجديدنا للوجود العربي •• اما اعتمادي على المسيحية كمثل عن الايديولوجية التي تعود الى ما وراء الطبيعية • يرجع الى ان المسيحية كانت تشكل الاطار العام الذي يسود الغرب عندما قامت تلك الايديولوجيات الزمانية تؤكد ذلك • فكان تناقضها الاساسي يقوم مع ذلك الاطار •• لهذا كان علينا ان نفهم طبيعة ذلك التناقض •

— وهنا سألت الدكتور نديم البيطار عن الدافع المباشر لتأليف كتاب « الايديولوجية الانقلابية » فرد الدكتور البيطار قائلا :

× لقد اجبت جزئيا وبشكل غير مباشر ، على ذلك فيما تقدم ، ولكني اجيب بان الفراغ الايديولوجي الذي يسود الحركة العربية القومية الثورية هو الذي دفعني بشكل مباشر الى تأليفه •

•• ان اول خطوة في معالجة مشكلة ما •• هي تحديد تلك المشكلة وطرحها بشكل صحيح •• انني حاولت ان احدد في الواقع طريق المعالجة لمشاكل مماثلة للمشكلة التي نعانيها • كيف ان التجارب الثورية التاريخية كانت تتجاوز فراغا مماثلا ••• نتبين على ضوء تلك التجارب ، وضوء القانون الذي يسودها طريقنا • فنبني مستقبلنا ونوفر بذلك للحركة العربية الثورية التركيز في الجهد وعدم تبعثره والانضباط في الاتجاه وعدم تشتيته• فكما تكون الحركة العربية الثورية فعالة بعمق وفي المدى البعيد في التاريخ وجب عليها ان تتبين مقدما « ان لم نقل الطريق الى التاريخ » فعلى الاقل امكانات ذلك الطريق • الحركة العربية الثورية تحتاج كي تكشف عن فعاليتها • وجميع ما تنطوي عليه من امكانات ان تعتمد قابلية مستمرة على مبادرة التاريخ •• كي يتوفر لها ذلك يجب عليها ان توفق الى موقف ايديولوجي انقلابي بالمعنى الذي سبق ان حددته •• تحديد الطريق الى ذلك الموقف هو اول خطوة في الوصول اليه ••

وهنا قلت للدكتور نديم البيطار تعقيبا على ما فات

— من هذا استدل ان البحث لايزال غير كامل • وان الدراسة التي

قدمتها لاتقدم معالجة متكاملة للفراغ الايديولوجى الذى ذكرته · فهل أنا على صواب في استنتاجى ··

اجاب الدكتور ··

× طبعا كان استنتاجك صحيحا · فكي تتكامل المعالجة · وجب ان نحدد ايضا الاداة الايديولوجية المعينة في تجاوز الفراغ العقائدى ··

ان كتاب « الايديولوجية الانقلابية » يجيب على هذا السؤال · الى حد لاباس به · ولكنه لايزال ناقصا يحتاج الى المزيد من التطوير والمتابعة ··

الكتاب يقدم مبدأ تفسير للتاريخ · والاجتماع · وللتحولات التي يتكشفان عنها ··

انه مثلا ينبه الى ضرورة ادراك توزع القوى الايديولوجية وديالكتيك صراعها في ادراك مرحلة ما وخصوصا المراحل الثورية ··

وهنا قلت للدكتور البيطار ··

ــ هل تفكر بمتابعة المعالجة بنفسك ؟

رد البيطار على سؤالى ··

× انني افكر بذلك ·· وفي الواقع انني الآن احضر دراستين على مستوى كتاب «الايديولوجية الانقلابية » اولها هو كتاب « مشكلة الانقلاب العربى » يبحث في طبيعة مرحلتنا الثورية · ويحددها على ضوء التاريخ · والثاني تحت عنوان « قضية الانقلاب العربى » ويبحث الاطار النظري الايديولوجي العام الذى يبرر تجربتنا الثورية ··

قلت للدكتور البيطار ··

ــ لقد ذكرت ان كتاب « الايديولوجية الانقلابية » يسمح بادراك التاريخ · وخصوصا مراحله الثورية عن طريق توزع القوى الايديولوجية ·· فهل لى ان اسألك · كيف تحقق ذلك في تفسير الاتجاه الماركسى في الوطن العربى ··؟

اجاب الدكتور البيطار

× هذا سؤال ذو قيمة كبيرة · ولكن الاجابة عليه بوضوح تتطلب معالجة خاصة لايتسع لها المجال · ولكنني هنا احب بشكل عابر ان اجيب على سؤالك بما يلى :

١ ــ ليس من ايديولوجية تاريخية برزت وتطورت واكدت ذاتها بشكل مستقل عن اوضاع تاريخية معينة ·· فطبيعة تلك الاوضاع وهي ذات معالم محددة لا مجال لبحثها الان · هي التي تفرض ولادة ونجاح الايديولوجية ··

٢ ــ هذا يعنى ان ولادة وتحقق الايديولوجية لايعودان الى عقلانية · أو علمية محضة او مستقلة · وليس الى قوة منطقها العلمي أو العقلى في

الاقناع · بل يعود الى علاقتها الديالكتيكية بتلك الاوضاع الى قدرتها في التعبير عن الاتجاهات والمشاعر الجديدة التي تحاول البروز منها ··

٣ ـ هذا يعني بدوره ان طبيعة المرحلة التي نمر بها هي مسؤولة عن اي نجاح تصيبه الماركسية ·· ان اهم ما يقود الى ذلك هو :ـ

أ ـ الفراغ الايديولوجي الذي سبق وان ذكرته · فالثوري العربي يفتش حوله كي يجد موقفا ايديولوجيا يحقق له ما يعانيه من حاجة تلقائية الى تفسير جديد لعلاقته مع التاريخ فيضفي على المتناقضات التي يجابهها وحدة ما · فلا يجد امامه غير الماركسية ··

ب ـ علاقة الماركسية الوثيقة بمبدأ الصراع الطبقي · وفي هذا المبدأ الجزئي يجد الثوري العربي علاقة حسية مع الوضع العربي فيعتمدها دون ان يدرسها · او ان يلم بجميع عناصرها · لان الصراع الطبقي تجربة يومية في حياته يحتاج الى ما يفسرها ·· الدافع هنا ليس علمية التفسير ·· ولكن حاجة الثوري الى تفسير يعبر عن مشاعره · ويربط بين تلك المشاعر ونزوعها الملح الى تجاوز وضعها ··

**نصوص ضائعة من كتاب**

# الوزراء والكتاب

## لمحمد بن عبدوس الجهشياري

**علق عليه ونشره : الاستاذ ميخائيل عواد**

بعض المستشرقين الغربيين ، الذين جمعتني بهم ظروف الكتاب والدراسة ينظرون الى بعض المؤرخين ، من العرب المعاصرين : حبهم للشهرة السريعة ، واللا دقة في البحوث التاريخية ، والاسراع في النشر : غير انني مرارا برهنت لهم ان هناك جمهرة تبني عليها دعائم الثقة في كل بحث يطرقونه وفي عالم الكتاب العربي لهم حذق في الموضوع ، وتمحيص في المصدر ، وثقة تامة في المراجع ومناقشتها · وخير برهان كنت اقدمه لهم تلك الجمهرة الكبيرة من مؤرخينا ومنهم الاستاذ البحاثة ميخائيل عواد ، واضرابه من المؤرخين الثقات الذين نطالع لهم ، ونقدر لهم ، جلدا وتصميما من اجل ان تكون الحقيقة مضيئة الجوانب ·

بين أناملي الان ما صدره الاستاذ البحاثة ميخائيل عواد من كتابه

الاخير « النصوص الضائعة » وهو من ثمرات ( مطابع دار الكتاب اللبناني ١٩٦٤ ) صدره بمقدمة تاريخية مركزة في تعابيرها ٠

وتطرق الى بحوث تاريخية جرت ظروفها وحوادثها في ايام سبعة من الخلفاء هم : المأمون ( ٨١٣ – ٨٣٣م ) انظر ص٢٣ والمعتصم (٨٣٣ – ٨٤٢) ص٥٩ والواثق بالله ( ٨٤٢ – ٨٤٧ ) ص٦٤ والمتوكل على الله ( ٨٤٧ – ٨٦١ ) ص٧١ والمعتز بالله ( ٨٦٦ – ٨٦٩ ) ص٨٣ المعتمد على الله ( ٨٧٠ – ٨٩٢ ) والمعتضد بالله ( ٨٩٢ – ٩٠٢ ) ص٨٨ ٠

هذا وتلاحق سرد الحوادث هوامش تاريخية ، ومعارضة مع مقارنة ٠ يدعم النص ويجول فيها مصدرنا البحاثة المحترم جولات موفقة في بحوثه التي تطرق اليها بحكمة ، ورصانة ٠ ناهيك عن تبويب الكتاب تبويبا فضفاضا يقع في ١١٨ صفحة ٠

مزيدا من الاعتراف ايها الفاضل الجليل ، فالظمأ التاريخي مازال يبرح اشواقنا اللاهفة الى عوالم المعرفة ، ومودة وتقديرا لك ولبحوثك الشيقة القيمة ٠

كركوك        **الاب يوسف سعيد**

**مع الكتاب العربي**

**تعليق : الاب يوسف سعيد**

**كتاب نور القبس**

**المختصر من المقتبس**

الف هذا الكتاب « أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني[1] » واختصره ( أبو المحاسن يوسف بن احمد بن محمود الحافظ اليغموري ) عني بتحقيقه ونشره صديقنا البروفسور الدكتور رودلف زلهايم مدير القسم الشرقي في جامعة فرانكفورت ٠

والعلامة زلهايم تلميذ العلامة بروكلمان اشهر مستشرقي الالمان والذي كرس حياته كلها من اجل سمو مكانة حرف الضاد ٠ معززا يزهو بما تركته اجياله السالفة من مجد ، في سطور كتب العرب في جميع مراحل اطوارهم ٠

والعلامة زلهايم خدمت اسرته آثار العرب التاريخية ، فحذقتها باعجاب ( انظر المقدمة ص٤٠ ) وينظر اليه عارفوه من مؤرخي العرب المعاصرين نظرة اعجاب لما سيحققه ويؤلفه من بحوث عربية صميمة ٠

يقع الكتاب في اكثر من ٤٥٢ صفحة ، وصدره بمقدمة ضافية ، شاملة ٠ بلغت صفحاتها ٤١ صفحة ، وساح الشرق مرارا من اجل مؤلفه ، وبحث عنه في مكتبات الهند العربية ٠ كما حاضر مرارا عن الكتاب ، وحققه عن

---

(١) طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٦٤ ٠

مخطوطة اعلمه عنها صديقه المستشرق الشهير ريتر وهي في مكتبةاستانبول تحت رقم ٢٣٩١ب ( والترقيم الجديد ٢٨٨٧ ) انظر ص١٩ ٠

وأثناء الليالي المديدة ، والايام المشبعة بالانوار ، سعى العلامة زلهايم بدون هوادة تعرف في سبيل تحقيقه بدقة متناهية ، وصبر عجيب ، وجلد قلما ناله انسان مدقق ٠ اللهم الا اصحاب المواهب وقد شاهدت ذلك بأم عيني ، يوم كنت محاضرا بمعية علامتنا الجليل نحقق سوية مخطوطة سريانية ٠

الكتاب الذي نحن بصدده عن نحاة العروبة وادبائها وشعرائها وعلمائها واليك ثبتا بتعدادهم ٠

تحدث عن ٥٩ شخصية علمية ، فكان في مقدمتهم : ابو اسود الدولي وانتهى بعمر بن شبه ص ٢٣١

كما تطرق الى بناء ثلاثة مدن عطرت شهرتها الآفاق وهي : البصرة ص ١٧١ والكوفة ص ١٣٢ ومدينة السلام « بغداد » ص ٣٠٨

وتحدث عن العلماء الذين نشأوا في تلك الفترات الزمنية التي تخللت مجد تلك المدن وقد بلغ عدد العلماء منذ تأسيس البصرة حتى بناء مدينة الكوفة ٢٩ عالما تطرق المرزباني الى لمحة مشبعة عن حياتهم وعرضها اليغموري في كتابه الذي نحن بصدده بمختصر مفيد ٠

ويلي بناء مدينة الكوفة ٣٠ عالما اولهم قبيصة بن جابر الاسدي ص ٢٣٦ ويختم حديثه عن ابن الاعرابي ٠

اما علماء مدينة بغداد فقد بلغ ٢٢ عالما اولهم ابن اسحق ص ٣١٠ وآخرهم ابو بكر الصولي ص ٣٤٦

ناهيك عن مقدمة ضافية حدثنا فيها عن العلم ، وتقويم اللسان ص٢

هذا وقد تطرق الى اربعة من النسابين انظر ص ٣٤٧ و ٣٤٨ وهم : دغفل بن حنظلة ، ابو ضمضم البكري ، النخار العذري ، ووهب بن منبه ٠

وذيل الناشر الاريب كتابه ب ٨ أبواب سردها سردا محكما قويما تطرق الى اعلام الكتاب وقبائله وفرقه ص ٣٥٤ واماكنه وبلدانه ص ٤٠٠ وايامه ص ٤٠٥ وآياته ص ٤٠٦ واحاديثه وحكمه وامثاله واقواله ص ٤٠٩ وفهرست كتبه ص ٤٥٠ وتحقيق حواشيه ص ٤٥٢

اختتمه بمقدمة عامة باللغة الالمانية ٠

هذه نظرة عاجلة على كتاب نورالقبس ٠ وانني اشعر ان بحوث الكتاب تحتاج الى دراسات عميقة جدا ٠

فتحية صادقة الى المستشرق الكبير العلامة رودلف زلهايم داعيا له بالموفقية كي يزف الى عالمي العروبة والاستشراق بما تدبجه يراعه من بحوث عميقة جذورها قيمة في معناها ، والى كتابه اشير كرة اخرى لمحبي البحث والتحقيق ٠

# آراء وتعقيبات

## رأي في الادب الجاهلي

نوري حمودي القيسي

لا أريد ان اجعل موضوع الادب الجاهلي ، ودراسة هذا الادب مجالا للمناقشة التي لا تقوم على اسس قويمة ، ولا أرغب ان يكون الكلام في هذا الموضوع ضرباً من الحدس والتخمين ؛ لان النتاج في كلتا الحالتين محكوم عليها بالفشل ، وانما الذي دفعني الى وضع الموضوع بهذا الشكل هو الافكار التي تدور في اذهان كثير من مثقفينا وادبائنا ، وتبرز في أحاديثهم الخاصة والعامة ، وتتمثل هذه الافكار بما نسمعه من ان الادب الجاهلي قد درس ، وان الدارسين قد خاضوا جوانبه ، واستقصوا ابعاده ، وخرجوا منه بنتائج حاسمة ·

والفكرة بهذا الشكل خطرة ، والمفهوم بهذا القالب مفزع ومخيف ؛ لان هذا الادعاء سيجعل القائمين على دراسة الادب الجاهلي متهيبين خوض غماره ، لانهم يعتبرون الخوض في هذه الفترة ــ على الرغم من الجهود التي تبذل فيها لوعورتها وتفهم نصوصها ــ غير مجد ، وانه لا يعود على الادب بشيء · وبتوالي السنين ، وباهمالنا ــ عن قصد أو غير قصد ــ هذا التراث ، نكون قد اهملنا عنصرا اصيلا من عناصر وجودنا ، وقيماً ثرة من قيم حياتنا ، وأساساً متيناً يقوم عليه أدبنا الحاضر ، الذي يعتبر الثمرة الناضجة لكل قيمنا وتقاليدنا عبر القرون الطويلة ·

هذه الدوافع هي التي دفعتني الى الكتابة ولا اريد ان يكون الموضوع مهماً الى الدرجة التي تجعل القاريء يعتقد بما يسمع ، ويؤمن بما يتبادر الى ذهنه ، فالادب الجاهلي لا يزال ( خاماً ) لم تتعاون على كشفه ( الاقلام ) ، ولم تبادر الى احيائه ( العقول ) ولم تنتظم منهجه ( الدراسات ) · فاذا قدر لنا ان نقرأ بحثاً أو ابحاثاً عن امريء القيس ( الشاعر ) وزهير ( الحكيم ) والاعشى ( المداح ) وطرفة ( الشاب ) وغيرهم ممن تعارفنا على قراءتهم ودراستهم ، وتحليل نماذج من اشعارهم ، فلا يعني هذا اننا استقصينا شعراء الجاهلية ، واذا كتب لنا ان ندرس شعراء المعلقات أو من دار في هذا

الفلك ، فلا يدل هذا على المامنا الشامل بتلك المجموعة الكبيرة من شعراء الجاهلية ٠

ولا نريد ان تكون الاحكام غير واقعية وبلا حجج ، أو ان الكلام يلقى على عواهنه بلا ادلة - كما يقال - ولكن لندعم القول بالبرهان والحكم بالدليل والحجة ، ولنقف عند كتاب واحد من كتب المجاميع ، الموثوق في روايته ، وليكن هذا الكتاب المفضليات ( للمفضل الضبي )[1] لقد ضم هذا الكتاب سبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة واربعون شاعرا جاهليا ، ولو وقفنا عند عدد من هؤلاء الشعراء لما تمكنا من معرفة بعضهم ، أو قراءة أسمائهم على أقل تقدير ٠

فمن هو ( مقاس العائذي ) و ( يزيد بن الخذاق ) و ( الكلحبة العرني ) و ( أبو قيس بن الاسلت ) و ( عبد يغوث بن وقاص ) و ( ضمرة بن حمزة النهشلي ) و ( الاخنس بن شهاب ) و ( الاسود بن يعفر ) و ( الجميح الاسدي ) وعشرات غيرهم من الذين ترجم لهم كتاب المفضليات ٠

وحتى الشعراء الذين يعتقد البعض ان دواوينهم قد حققت وطبعت ، فان الكثير من هذه الدواوين لا زالت بحاجة الى اعادة طبعها طبعات علمية دقيقة ، فعامر بن الطفيل ، والطفيل الغنوي ، والمتلمس وحاتم الطائي ، واوس بن حجر ، وغيرهم ممن طبعت دواوينهم لا زالت هذه الدواوين تفتقر إلى التحقيق العلمي الدقيق ، والدراسة المستفيضة لاصحابها ، وجمع مافاتها جمعه من القصائد التي لم تتهيأ لمن اشرف على طبعها ، وتخريج ابياتها تخريجا يعتمد على البحث والدراسة والاستقصاء ٠

وما يقال عن المفضليات ، وما يقال عن هؤلاء الشعراء ، يقال عن الاصمعيات والجمهرة ، والحماسات بكل اشكالها ، فهل بعد هذا نقول ان الشعر الجاهلي قد استنفد ؟ وان الشعر قد درس ؟ وان الشعراء الجاهليين قد قتلوا بحثاً بحيث لم يبق مجال لدراستهم ؟ ٠

هذا جانب من جوانب المشكلة ، وعرض سريع لوجهة واحدة منها ، فاذا تجاوزناها الى الجوانب الاخرى ، وجدنا الامر على الشاكلة نفسها ٠ ولنحاول ان تكون الاغراض هي الجانب الآخر الذي نقف عنده ، ولنبدأ بالرثاء فنقول : هل كتبت دراسة وافية عن الرثاء في الشعر الجاهلي ، والرثاء باب واسع في شعر العرب ٠ فرثاء الفرسان له مفاهيمه ، ورثاء الصعاليك له قيمه وصوره ، ورثاء الاحبة يختلف عن رثاء الابطال والاخوان ، فالعاطفة في كل جانب لها وجه ، والمعالجة عند كل فئة فيها وجهة نظر ، وصور المرثي لدى كل جماعة لها شكل ٠ تطبع القصيدة بطابع معين وصور

---

(١) المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر بن سالم ، الضبي الكوفي اللغوي ، كان علامة راوية للاخبار والآداب وأيام العرب ، موثقاً في روايته قاله محمد بن سلام عنه : أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي ويرجح انه مات سنة ١٧٨ ٠

الموت في خيال كل شاعر لها ابعاد ·

وبعد فالايمان بالموت حقيقة واقعة ، والايمان بالقدر والتسليم باحكامه والخضوع لارادته وجبروته · أصبحت طابعاً لكثير من قصائد الفترة ، افلا تستحق هذه الجوانب دراسات طويلة ؟ وما اقوله عن الرثاء اقوله عن المديح والنسيب والوصف · وفي كل غرض من هذه الاغراض أكثر من موضوع يستحق الدرس والمناقشة والبحث · فدواعي المديح مختلفة ، وبواعث النسيب متباينة ، والناقة لها جانب كبير في الشعر الجاهلي والخيل لها منزلة مؤثلة في القلوب ، والمطر والسحاب والبرق لها صور وآمال في نفس كل شاعر ، وكل هذه الصور اعمدة لها شأن في الادب الجاهلي ، فهل وقفنا عندها الوقفة التي تستحقها ؟ وهل حاولنا التوصل الى تلك الدواعي والبواعث ؟ انها مسألة تحتاج الى أكثر من مناقشة ·

ولنترك هذا جانباً ونعود الى جانب آخر من جوانب البحث في هذا الادب ، فنقول : ان التراث الشعري الذي بين ايدينا يدلنا على جوانب الحياة التي كان يعيشها اسلافنا ، والانماط السلوكية التي كانت تسلك في تلك الفترة ، والطراز الفكري الذي فكر به اجدادنا · ولم نجد بين ايدينا من الوثائق ما يثبت تلك الجوانب والانماط والطرز غير هذه الوفرة القيمة من الشعر ، وهي كما يقول الدكتور شوقي ضيف(٢) « ادخل في الحقيقة من التاريخ ، لان التاريخ لا يعطي الحقيقة مباشرة الا نادرا ، اذ هو دائما موصول بالرواية ، والرواية معرضة للكذب والخطأ والتعصب والهوى ، وهي تعتمد على الذاكرة ، وما يعورها من شوائب النسيان ، ولذلك كان التاريخ يحتاج الى ملكات خصبة ، تستطيع من خلال الدراسة الطويلة ان تتصور الماضي ، وهو تصور يظل فيه مقارباً بحيث لا يأخذ صفة الكمال ، اما الشعر فانه يعرض علينا الماضي بكل جوانبه ، وكأنه مجاميع من شهود شاهدوه بابصارهم ، بل هو نفس هذا الماضي ارتسم في كلمات وانغام ، وفرق بعيد بين ان نشهد الماضي في صوره الحقيقية ، وان نقرأ عنه روايات قد ينقصها صدق الشهادة وقد تدخل فيها دواعي الهوى ·

فالشعر الجاهلي بعد هذا وثيقة لدراسة الحياة الاقتصادية والعقلية والدينية والاجتماعية ، فهل حاولنا استخلاص ذلك من خلال قصائد الشعراء ؟

أفبعد كل هذا يحق لنا ان نقول ان الشعر الجاهلي قد درس ؟ وان الشعراء الجاهليين قد درسوا ؟ وان الاتجاهات الشعرية عند الشعراء قد درست ؟

ان الشعر الجاهلي بحاجة الى كل تلك الدراسات ، وهو بحاجة الى عملية فهرسة كبيرة لكل ابوابه ومعانيه والفاظه ، بحاجة الى فهرسة حيوانه

(٢) مجلة المجلة ــ القاهرة العدد ٩٧ السنة التاسعة ١٩٦٥ ·

ونباته واشجاره وجباله ، بحاجة الى فهرسة أدوات الحرب ومعادنها واقسامها واصولها ، بحاجة الى فهرسة اراجيزه واشطره ومقطعاته وعيوبه لبناء الدراسات العروضية عليها ، ومعرفة الفترة التي وصل الينا شعرها ، والفترة التي انقطع عنا شعرها ، واولية الشعر ومراحل تطوره ·

انه بحاجة الى كل ذلك ، لانه لا يزال ( خاماً ) ولا تزال الدراسات غير مسلطة الا على مظاهره الخارجية ، اما الاصول الجوهرية لهذا الادب ، فانها لا تزال بانتظار ( الاقلام ) و ( العقول ) و ( المناهج القويمة ) التي بدأت تمتد الى هذا التراث القيم ·

# ما لم ينشر من شعر التهامي

## جليل العطية

يذكرك التهامي بامرىء القيس ورحلته الطويلة تارة وبأبي الطيب المتنبي تارة أخرى ، فيما عرف عنه من حب للخلافة ، فحالت منيته دون تحقيق أمنيته ، كما يقولون ·

كان مظلوما في حياته ـ وقد قتل سرا ـ ومظلوما بعد وفاته ، فاطول ترجمة له لا تزيد على الصفحتين والا فاسطر معدودات ·· واختلف الرواة في اسمه وسنة وفاته اختلافهم في مكان ولادته ، ونسخ ديوانه ـ على قلتها ـ مبعثرة في خزائن المعمورة !·· فكان التهامي ـ بعد وفاته ـ أقل حظا ممن « الملك الضليل » ومن « مالىء الدنيا وشاغل الناس » وغيرهما من الشعراء العرب ·

هو أبو الحسن علي بن محمد الحسن الكاتب التهامي(١) ، من شعراء القرن الخامس الهجري ·

قال ابن عساكر في الجزء الثاني عشر من (تاريخه) الورقة [٢٦٩أ] ما نصه :

( كان من أهل تهامة وخرج الى الشام وقدم دمشق وامتدح بها الشريف أبا عبدالله محمد بن الحسين بن النصيبي وابا غانم محمد بن الحسين بن البابلي الكاتب وامتدح بطرابلس هبة الله بن علي وامتدح جماعة من آل الجراح الطائيين منهم المفرج بن دغفل وابنيه وبدرالدين ربيعه وحسان بن [جراح] وكان حافظا للقرآن ومنته نفسه ، طلب الخلافة وخرج معه جماعة وآزروه على أمره ثم غدر به آل الجراح وحملوه الى مصر فالقي في خزانة البنود الى أن مات بها وقيل بل عفي عنه وخلي سبيله وبلغني انه كان في مدة كونه في الحبس يعلم جماعة من المسجونين القرآن ··· ) أ هـ ·

وذكر صاحب ( وفيات الاعيان )[٣] : ان التهامي شوهد من قبل أحد أصحابه في النوم ( فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال بقولي في مرثية ولد لي صغير :

جاورت اعدائي وجـاور ربـه      شتان بين جواره وجواري .. ) .

وقصيدته هذه مشهورة وتقع في حوالي التسعين بيتا ولابن الوردي قصيدة طويلة على وزنها نشر أبياتا منها في تاريخه وأورد « ابن خلكان » و « ابن العماد » أبياتا منها وذكرا أن ما يمنعهما من الاتيان بها أن الناس يقولون هي محذورة . وهناك شرح لها وضعه محمود شريف ، نشر في القاهرة سنة ١٣١٠هـ[٤] .

وقد أجمع كل من ترجم التهامي انه مات مقتولا في دار البنود بالقاهرة سنة ٤١٦هـ الا « الذهبي » فقد ذكر انه توفي سنة ٤١٠هـ[٥] .

اما ديوانه فلعل اقدم من اشار اليه الحاج خليفة[٦] ويبدو أنه لم يقف عليه اذ قال أن ( ديوانه صغير وأكثره نخب ) .

وعدد بروكلمان بعض نسخ الديوان[٧] وأضيف اليها في ١ ـ المكتبة العباسية بالبصرة[٨] ٢ ـ الموصل[٩] ٣ ـ الخزانة الظاهرية بدمشق[١٠] ٤ ـ وتوجد بعض قصائده في مجموع أدبي بمكتبة السيد محمد البغدادي في النجف[١١] .

وقد طبع الديوان لاول مرة في مطبعة الاهرام بالاسكندرية عام ١٨٩٣م ثم اعاد طبعه الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر ( طبعة خاصة ) . وفي العام الماضي أعيد طبعه ـ على نفس النسخة ـ من قبل المكتب الاسلامي بدمشق وأدعى الناشر ان هذه الطبعة ( امتازت على سابقتها ، بجودة الطبع ، وزيادة التحقيق وجمال الاخراج ) .. والحق ان الديوان بحاجة الى تحقيق علمي جديد على اكثر من نسخة .

وقد نسخ لي أحد الاصدقاء نسخة « ديوان التهامي » الموجودة في المكتبة العباسية بالبصرة [ أ ـ ٤٤ ] والتي وصفها الاستاذ علي الخاقاني قائلا : ان الديوان ( مرتب على حروف الهجاء في ١٤٤ص ٢١/٧٠سم ١٥٠سم ١/٤ سم ) .

وجدير بالذكر ان النسخة ليست كاملة اذ اكتنفتها عدة بياضات في الورقة [٤٥] والورقة (٥٥) والورقة (٦٦) والورقة (١٠٢) لا يعلم مقدارها .

وقد كتب على الصفحة الاولى من هذه النسخة ما نصه [ قد دخل هذا الديوان في حوزة الراجي عفو ربه وغفرانه محسن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالنبي الذهبي ] وفي أسفل الصفحة كتب ما نصه [ بيان ـ ان هذا الديوان وان لم يعرف جامعه لكن يجب الاعتناء بشانه تماما ـ التوقيع الشيخ محمد علي النائيني ] .

أما خاتمة الديوان فقد كتبها ممتلكه ـ المار الذكر ـ أيضا وبعدهما

أربعة أبيات تليها أبيات وتخميسات لا تمت الى الديوان بصلة . وقد كتب الديوان بخط معتاد ، لا يخلو من أغاليط .

ونسخة الديوان التي أمتلكها ، تم نسخها بتاريخ ٨-١٢-١٩٦٢

وعند مقارنتي النسخة المخطوطة بالمطبوع الفيت عددا من القصائد التي لم تنشر رأيت أن أقدمها لقراء « الاقلام » ذاكرا أرقامها والصفحات اللاتي شغلتهن في الاصل ولا شك أن الارقام ليست فيه ولكنها من وضعي .

**الورقـة [ ٥ ]**

**[ ٣ ]** **[ من الطويل ]**

... وقال في حرف الباء يمدح حميد بن محمود الطائي :-

هو الشعب فانظر دونه هـل هـو الشعب
وذا الشرق فانظر عنـده هل هـو الغرب

وان انـت آنسـت الاوانس فاحتـرز
لهن فكم صالت علـى الاثر النقب

وخـذ عن مجال اللحظ بالحظ انهـا
وان عاهـدت غـدر ان سـالمت حـرب

صـوارم والالحـاظ منهـا صـوارم
فهذي(١٢) بلا وصـل وهاتيك ما تنبـو

ومـا دام هـذا الحـي داراً لحبنـا
ودون مرامي اللحظ ما ضمت الحجب

**الورقـة [ ٦ ]**

أأحبابنـا فـي قربـكم وبعـادكم
رجاء وخـوف هـام بينهمـا القلب

وانـي لألتـذ التجنـي في الهـوى
واعتـده الاسعاف ما ساعف القـرب

وقد كنت اعطيت الهوى فضـل مقـودي
واسـخطت عـذالي فهـل رضـي الحب

الا ايهـذا الراكـب الموضـع الـذي
دعـاه المحيـا الطلـق والموضـع الرحب

اراك رجوت العـرف مـن حيث يرتجـى
لـه فمـداه منـك حيث انتهـى الركب

علـى ضامر لم يعتـرف نصـب السـرى
بحيث ابن محمود حميـد الفتى(١٣) يصبو

بحيث الجـواد الجعـد يسترفد النـدى
بمـا لم يرد معن [ وما لم يرد ](١٤) كعب

بحيث الأمير السالمي اذا غدت
يدين له صعب الجماجم والصعب
بحيث الذي لو جادت السحب جوده
على الارض لم يذكر بساحته جدب
ويحتقر الهول الذي لو تمثلت
له الارض رحباً ما نأت[١٥] شأوه حرب
فتى حل من قحطان حيث تلألأت
كواكبه أسيافها الشرق والغرب
وما طيء الاخيار الا صواعق
كما الفلك الدوار وهي لها قطب
وآل ابي الداود حسبك انهم
اذا انتصروا سدوا او انتجعوا[١٦] سحب
اذا استرفدوا اعطوا او استعفيوا عفوا
أو استنهضوا قاموا او استصرخوا هبوا
اكفهم بسط واعراضهم حمى
واراؤهم فضل وأموالهم نهب
وأوجههم سعد ولكن سيوفهم
اذا استبقيت ذلت لسطوتها القلب[١٧]
شموس كأن الارض حيث تدبرت
لها افق والشرق ان شرقت غرب
لشبانهم حلم الكهول وشيبهم
على كل حد في العلى رتب رتب
ويلقى المعالي والرماح وليدهم
فيسمو كما يسمو ويخبو كما يخبو
أبا « طيء » غوث العفاة دعاك من
موارده رفق وأيامه السب
ومن كل ما قل امرؤ شكر نعمة
حداه لسان بالثنا فيكم رطب
تركت بلاد الشام زهراً مكارماً
أضاءت لها تلك السباسب والهضب[١٨]
فلو انها اسطاعت أتتك وأهلها
تفر وترجو القرب منك ..... [١٩]
ولكنها تطوي من الشوق مهجة
على زفرات ما بدت نارها تخبو
فيقدم بالمثنى اليك هدية
كما يتهادى الراتع الماء والعشب

الورقــة [ ٢٠ ]

[ ١١ ] [ من الرجز ]

وقال أيضا في شأن الدهر وذمه :

مـا أصعب الدهـر عـلى مـن ركبـه
حدثنـي عنـه لسـان التجربـة
لا تحمـد الدهـر لخـير سـببه
فانـه لـم يعتمـد للوهبـه
والسيل قـد يسـعى مكـان الحربـه
[ واليم ] (٢٠) يستشـفي به من شـربه

الورقــة [ ٩٩ ]

[ ٤٥ ] [ من الطويل ]

وقال يرثي قطاً لــه :

ولما طـواك البيـن واجتاحـك الـردى
بكينـاك ما لـم نبك قـط عـلى قـط
لقـد كنت انسي في الفـراش لوحدتي
اذا بعدت [ ذات ] الوشـاحين والقرط(٢١)
وقـد كنت تحمـي ما يـنب من الأذى
بقـرب مكـان منك اذ كـان في شـحط
وتحرسـني كالليث يحـرس شـبله
ويقتـل مـن ناداه باللطـم والخبـط
ولـو كنـت أدري أن بـيرا تقودنـي
بمهـواك فيهـا لاحتبسـتك بالربـط
ولكن أيـدي الحادثـات مصـيبة
اذا ارسـلت سـهم المنيـة لم تخـط
فمـاذا الـذي أبقاه منـك ومـا الـذي
أعـدده مـن كفـك الباطش السـبط
ومـن حسـن نـور في قميصـك زانـه
قلائـد كالـدر المنظـم في السـمط

[ ١٠٠ ]

وهـل نافعـي انـي لارثيك بعدمـا
رأيتـك تـوفي لـي وتحـكم بالقسـط
ومـا انت الامثـل حظـي الـذي نـأى
وتصـحيفه بـاق يصـور بالخـط

**الورقـــة [ ١١٣ ]**

**[ ٥٤ ]** **[ من الطويل ]**

وقال أيضـــا :

أبـــى اللـــه أن يأتـــي بخير فيرتجـــي
أمـــام فـــروع قـــد ذممنـــا اصولهـــا

اذا الـــدار من قبـــل العفـــاء نبت بنـــا
فكيـــف ترجـــى للمقـــام طلولهـــا

هـــززت المواضـــي فانثنت عن مضـــاربي
فمـــا اربـــي في أن أهـــز كليلهـــا

اذا قيـــل دار الفخـــر كنتـــم ضيوفـــه
وان قيـــل دار اللؤم (٢٢) كنتـــم حلولهـــا

وقولـــة خـــزي فيـــكم تســـتفزني
واعلـــم أن لابـــد مـــن أن أقولهـــا

---

(١) انظر ترجمته في ( وفيات الاعيان ) لابن خلكان ( ط ـ محمد محي الدين عبدالحميد ) جـ ٣ رقم الترجمة (٤٤٤) والنجوم الزاهرة ( ط ـ دار الكتب ) جـ ٤ ص ٢٦٣ وما بعدها و ( شذرات الذهب ) لابن العماد ( ط ـ مكتبة المقدسي ) جـ ٣ ص ٢٠٤ وما بعدها وتاريخ ابن الوردي جـ ١ ص ٣٣٧ ومرآة الجنان لليافعي ( ط ـ الهند ) جـ ٣ ص ٢٩ ومعجم البلدان للحموي في [ دار البنود ] و [ الرملة ] والبداية والنهاية لابن كثير ( ط ـ السعادة ) جـ ١٢ ص ١٩ وما بعدها .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ( مخطوط بخزانة الظاهرية برقم [١٨] تاريخ ج ١٢ : ٢٦٩ أ .

(٣) وفيات الاعيان لابن خلكان . ج ٣ . رقم الترجمة « ٤٤٤ » .

(٤) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ( الترجمة العربية ) ج ٢ ص ٨٠ .

(٥) سير النبلاء للذهبي ـ مخطوط ـ الطبقة الثانية والعشرون ( عن الزركلي ج ٥ ص ١٤٥ ) .

(٦) كشف الظنون ( ج ١ ص ٧٧١ ) .

(٧) انظر رقم (٤) اعلاه .

(٨) مخطوطات المكتبة العباسية للخاقاني ( مجلة المجمع العلمي العراقي ) مجـ ٨ ص ٢٤٢ .

(٩) مخطوطات الموصل للمرحوم داود الجلبي ص ١٥١ .

(١٠) مخطوات الظاهرية ( قسم الشعر ) للدكتور عزة حسن ص ١٢٥ .

(١١) مخطوطات مكتبة البغدادي للاميني ص ١٣٤ .

(١٢) في المخطوط دون نقط ولعل ما اثبته هو الصواب .

(١٣) كتبت كلمة ( الفتى ) في الاصل المخطوط بشكل يمكن ان تقرأ ( الغنى ) أيضا .

(١٤) في الاصل المخطوط ( بما لم يرد معن ولا كعب ) وهو غير مستقيم ولعل الصواب ما اثبت .

(١٥) في المخطوط ( ننت ) ولعل الصواب ما أثبته .

(١٦) في الاصل ( اذا انتصروا سدوا وان التجموا سحب ) وبه لايستقيم وزن البيت ولعل الصواب ما اثبت ٠

(١٧) كذا في الاصل ولعل الاصوب ( اذا انتضيت ٠٠ )

(١٨) في المخطوط ( والعضب ) ولعل الاصل ما ذكرت ٠

(١٩) بياض في الاصل ٠

(٢٠) في المخطوط ( الم ) ولعل الصواب ما اثبت ٠

(٢١) في الاصل : ذا الوشاحين ٠

(٢٢) في المخطوط ( اللوم ) دون همز ٠

# حول عكبرا

## موسى الموسوي

في التعليق الذي أوردته مجلة الاقلام الغراء على بحثي عن ( عكبرا ) المنشور في الجزء الحادي عشر من السنة الاولى ٠ اشارة الى تغيير نهر دجلة مجراه عدة مرات قبـــل تحوله في أواخر القرن السادس الهجري ، وان الحموي لم يكن واهما في تحديد موقع عكبرا على الجانب الغربي من النهر « لانه وضع كتابه ( معجم البلدان ) في مستهل القرن السابع للهجرة في الوقت الذي قام فيه الخليفة المستنصر بالله بحفر أقنية ، وبناء جسر حربي على أحدها لايصال الماء الى المناطق التي ابتعد عنها دجلة في تغيير مجراه الى الشرق » ٠

وأنا اذ أشكر الاستاذ المعلق أود أن اؤكد أن أحدا لا يستطيع الا أن يكبر الحموي وجهده العظيم الخالد في كتبه وبالاخص معجم البلدان ٠ الا أن ذلك لا يبرؤه من الوقوع في الوهم في كثير من المواضع لا سيما في كتاباته عن مدن العراق وقراه وأنهاره ٠ فقد كان جماعاً للاخبار ناقلا عن غيره ممن سبقه ٠ ولم يعن الا قليلا بتحقيق هذه النقول التي ربما طرأ على بعضها تغيير كبير في مواقعها أو أوصافها بحكم تقادم الزمن وتعــاور الاحداث ٠

وقد تعقب صفي الدين بن عبدالحق الحنبلي البغدادي هذه الاوهام ونبه عليها في مراصده وصححها ٠ ومن ذلك موقع عكبرا فلقد كانت بلا شك على الضفة الشرقية من النهر قبل تحوله ٠

أما أن يكون الحموي قد وضع كتابه بعد تحول النهر مع علمه بهذا التحول فأمر يحتاج الى تأمل وذلك لانه ثبت مواقع قرى ومدن اخرى — في مواضعها الصحيحة سواء في شرقي النهر ضمن طسوج بزرجسابور أو في

غربيه ضمن طسوج مسكن • ومعلوم ان تحول النهر قد جعل هذه المواضع كلها في جهة الغرب • ثم انه لم يشر في أي موضع من كتابه الى هذا الحدث المهم الحري بالقيد والتسجيل •

أما اذا أخذنا بالرأي القائل بأن تحول النهر وقع في زمانه ولكنه لم يقف على خبره ، فلا مندوحة حينئذ من التسليم بأنه كان جماعاً للاخبار ناقلا لها غير متثبت في نقله مما يسمح للوهم أن يطال كتاباته •

**ملحوظة :ـ** من المعروف ان جسر حربى انشيء على المجرى الرئيس لنهر دجيل وليس على احدى الأقنية التي فرعها المستنصر منه •

## تصويب

**طه محسن**

لقد كان البحث ( الغزالي والتربية والتعليم ) بقلم ( عليه الكياره ) والذي نشر في الجزء التاسع من مجلة الاقلام ـ السنة الاولى ١٩٦٥ ـ ذا قيمة بالغة في مجال التربية الخلقية ، خصوصا وان معالجة هذه الناحية انما قامت على أساس من تراثنا الاسلامي الحافل بالمثل الخلقية الرفيعة • واتماما لفائدة البحث فقد بدا لي أن انبه الى بعض الاخطاء الواردة فيه :

١ ـ ورد في السطر العشرين من الصفحة الاولى قوله صلى الله عليه وسلم : « أوصى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام ••• » والصواب : « أوحى ••• » كما جاء في الاحياء جـ١ ص١٣ •

٢ ـ ورد في السطر الثالث والعشرين من نفس الصفحة قوله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من امتي اذا ( أصلحوا اصلح ) الناس واذا فسدوا ( افسد ) الناس ، الامراء والفقهاء » والصواب ـ كما جاء في الاحياء جـ١ ص١٣ ـ هو : « صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس ، الامراء والفقهاء » •

٣ ـ جاء في الصفحة الثانية ان : « من أهم النظريات التربوية التي جاءتنا من الغزالي قوله :

« أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ، ثم العمل ثم نشره » وقوله « علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل ، فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت » والامانة العلمية تفرض أن أشير

الى أن العبارتين المذكورتين قد سبق اليهما الجاحظ الغزالي ، فقد وردت الاولى في البيان والتبيين ـ جـ٢ ص١٩٨ ـ كما يلي : « وكان يقال : أول العلم الصمت والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره » وجاءت العبارة الثانية في جـ١ ص٢٧٤ من المصدر المذكور : « وقالوا : علم علمك ، وتعلم علم غيرك ، فاذا أنت قد علمت ما جهلت ، وحفظت ماعلمت » .

* * *

# اضواء على السياسة العالمية

لعل أهم احداث الشهر المنصرم هو اعلان الاتفاق الذي تم بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية حول مشكلة اليمن فمن المعلوم ان موضوع اليمن دخل مرحلة جديدة منذ أن اعلن الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه الاخير تصميمه على انهاء حرب اليمن حتى لو اضطر الى نقل المعركة خارج حدودها الحالية وكان معلوما ان الملكيين اليمانيين يجدون العون من من جهة المملكة العربية وكانت تصريحات الرئيس عبدالناصر بمثابة الانذار لتلك الجهة ، وقد شعر العرب كل العرب ان خطرا ما يحدق بالكيان العربي وأن الخطوات التي قد تتخذ لا تعني بحال من الاحوال مهما حققت من نصر نصرا حقيقيا لامة العرب وبدأت الاصوات تتعالى من المخلصين بوجوب ايجاد الحل السلمي في المنطقة ثم كان اعلان الرئيس جمال عبدالناصر في استعداده للالتقاء بالملك فيصل ووضع حد لهذه المشكلة التي لا يفيد منها الا اعداء العرب واعداء الامة العربية من صهيونية واستعمار ورجعية ،ومن هنا تبدو اهمية اللقاء التاريخي بين المسؤولين العربيين ومن هنا كذلك تظهر اهمية هذا اللقاء في نفوس العرب في كل مكان .

لقد كان الاتفاق الذي تم بين الجانبين محققا لاهداف الامة العربية من محيطها الى خليجها وكانت تبدأ بايقاف القتال فورا والرجوع الى الشعب اليمني ليختار نمط الحكم الذي يشاء في خطوات نص عليها في البيان المشترك الذي وضع موضع التنفيذ فورا .

وبذلك تدخل مشكلة اليمن مرحلة جديدة نحو الحل الصحيح الذي طالما انتظره ابناء العروبة وكان لابد من بادرة يبدؤها الرئيس العربي الكبير وتجد صدى لدى الملك فيصل فيكون الاجتماع التاريخي العتيد وتكون نقطة الانطلاق الجديدة فى طريق الامة العربية نحو الحياة الافضل والعيش بسلام .

### مؤتمر القمة الثالث

اعلن في العواصم العربية تشكيل الوفود الى مؤتمر القمة العربي الثالث الذي ينعقد في الدار البيضاء في اقصى الشاطئ الافريقي على المحيط حيث حدود الوطن العربي الغربية ونتمنى ان يكون الاجتماع القادم في اقصى الشرق في بغداد أو أقصى الجنوب في صنعاء وكان بالامس فى القاهرة والاسكندرية وهذا وحده مفهوم من مفاهيم وحدة الوطن العربي ووحدة الشعب العربي .

ان اجتماع القمة الذي سيكون في الدار البيضاء ينتظره جدول أعمال مشحون بالاعباء الجسام وقد طرأت خلال هذا العام احداث في العالم العربي اساءت الى وحدته من جهة وخدمت اتجاهاته في مجالات الاخرى ٠

فموضوع الاعتراف الالماني باسرائيل اخذ من اعمال مؤتمر القمة جزءا ليس يسيرا والمؤتمر القادم سيأخذ منه هذا الامر جزءا آخر في النتائج التي ترتبت على اعتراف حكومة بون باسرائيل وهو العمل المعادي الذي ترتب عليه قطع العلاقات مع بون من قبل اكثرية الدول العربية عدا تونس والمغرب وليبيا ٠

وستكون الخطوات التي اتخذت في استثمار روافد نهر الاردن وحماية المشاريع العربية واعتداءات العصابات الصهيونية من الامور التي يبحثها مؤتمر القمة ٠

ان بعض الجهات العربية ما زالت تتكهن في النتائج التي سيتوصل اليها المؤتمر فقد اجمع الكل على ان المؤتمر الاول كان يتميز بروح ايجابية بناءة والمؤتمر الثاني ظهرت فيه المشاكل والعرب يأملون ان يكون المؤتمر الثالث خيرا من المؤتمرين واكثر تحقيقا للاهداف العربية ٠

وكثير من المراقبين يعلقون الآمال على المؤتمر وهم يقولون ان على العرب جميعا العمل على انجاحه مهما كلف الامر فهم يرون ان انعقاد المؤتمر الرابع منوط بهذا المؤتمر ٠



## السياسة العالمية ( مشكلة كشمير )

انفجر الموقف بين الهند وباكستان في كشمير وكل من الهند وباكستان تدعي الانتصار واحراز التقدم وقد أسفر كل من الطرفين بقواته الحربية واصدر البلاغات والبيانات ٠

ان مشكلة كشمير من المشاكل المعقدة التي خلفتها عهود الاحتلال البريطاني فقد تمخض عن احتلال الهند مئات من السنين ان بقيت الهند بقرة حلوبا لبريطانيا ، ثم حينما حمل الاستعمار عصاه عن تلك القارة الغنية ترك وراءه مشاكل لا تنتهي ومناطق قلقة تنذر بالانفجار في كل يوم فهناك مشاكل دينية وطائفية وعنصرية وحتى مشاكل جغرافية فمناطق تبعد مئات الكيلومترات لا تتصل بحدود مع الجهة التي تتبعها فنشأت باكستان الغربية وباكستان الشرقية ووزعت كشمير في منطقة خاصة واعتبر الحكم فيها تابعا للهند في الوقت الذي سكانها من المسلمين وهي أمور لا تخلو من يد خبيثة صنعت فعلها في هؤلاء القوم وفي الوقت الذي صعدت الاقمار حول الكرة الارضية ترى في تلك المناطق تتقاذفهم شتى انواع المجاعات والخلافات والقتال كل ذلك بسبب الاستعمار واعماله وبسبب دسه وخبثه ولؤمه ٠